

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الحائق ثروت - القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٢٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقية : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة
رقم الإيداع : ١٩٩٧ / ٩٠١٩
الترقيم الدولي : 9 - 376 - 270 - 977
طبع : **المحدث**
العنوان : ٦٨ ش العباسية
تليفون : ٤٨٢٧٨٥١
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ربيع آخر ١٤١٨ هـ - يوليو ١٩٩٧ م

الكتاب الثاني
في الفقه

الى رُوحِ وَالدي المرحوم

قَوَائِدِ

مراثد علم المخطوطات في مصر
الذي تعلمت منه عشق المخطوطات
والبحث في أسرارها

فهرست الموضوعات

صفحة	مَقْدَمَةٌ
١٠-٦	
الباب الأول الكتاب العربي المخطوط في المصادر	
٤٦-١٣	صناعة المخطوط العربي
٣١-٥	الورق (البردي-الرق-الكاغذ)
١٨-١٦	البردي Papyrus
٢٠-١٨	الرق Parchemin
٣١-٢٠	الكاغذ Kagad
٣١-٢٣	أنواع الورق
٣٦-٣٢	الحبر والحداد
٣٦-٣٥	صنعة الحداد
٤٤-٣٦	صناعة التجليد (التشجير)
٤٠-٣٨	التجليد المبكر
٤١-٤٠	تطور صناعة التجليد
٤٥-٤١	ازدهار التجليد في العصر المملوكي
٤٦-٤٥	التعليقة
٦٧-٤٧	الخط العربي وتطوره
٤٩-٤٨	الخط العربي المبكر

صفحة	
٥١-٤٩	خطوط المصاحف المبكرة
٥٢-٥١	كتاب المُصنّف
٥٤-٥٢	الشكل والإعجام
٧٢-٥٥	تطور الخط العربي
٩٤-٧٣	نقاء التدوين وطرق التأليف عند المسلمين
٧٨-٧٣	تدوين الحديث والتاريخ
٨٠-٧٨	تدوين الشعر
٨٤-٨٠	طرق التأليف
٨٥-٨٤	الترجمة والنقل
٩٤-٨٥	الإسلام
١٤٥-٩٥	اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية
١٠٢-٩٦	مصادر البحث
١٠٢	عدم استخدام القدماء للفظ مخطوط
	النسخ الأصلية عند
١٠٥-١٠٣	ابن النعم
١١٠-١٠٦	ياقوت الحموي
١١٨-١١٠	القنطري
١١٩-١١٨	ابن أبي أصيبعة
١٢٣-١١٩	الصقدي
١٢٦-١٢٣	المكسرزي
١٣١-١٢٦	السخاري
١٣٢-١٣١	السيرطي
١٣٣	المقري

صفحة	
١٤٥ - ١٣٤	نقاسة المخطوطات بما عليها من تقييدات وسماعات وقراءات وإجازات ومعارضات
٢٣٢ - ١٤٧	الوراقسة والوراقسون
١٥٢ - ١٤٧	تعريف الوراقسة
١٥٥ - ١٥٣	الوراقسون من خزنة دور الكتب
١٥٧ - ١٥٥	وراقو المؤلفين
١٦١ - ١٥٧	سوق الوراقين
١٦٤ - ١٦١	تدليس الوراقين
١٦٦ - ١٦٥	الكتيبون
٢٢٩ - ١٦٧	الوراقون والعلماء المشهورون بجودة الخط
١٧١ - ١٦٨	الخط الوراقى
٢٣٢ - ٢٣٠	النساجون المحدثون
٢٣٨ - ٢٣٣	المكتبات الإسلامية وهواة الكتب
٢٤٦ - ٢٣٣	المكتبات العامة
٢٣٤ - ٢٣٣	بيت الحكمة
٢٣٧ - ٢٣٤	دار العلم
٢٤٦ - ٢٣٨	المكتبات وعزاتن الكتب
٢٥١ - ٢٤٦	مكتبات المدارس في المصيرين الأيوبي والملوكي
٢٥٣ - ٢٥١	مكتبات المساجد والخلفاء والزوايا
٢٥٧ - ٢٥٣	شروط وقف الكتب
٢٦١ - ٢٥٧	المكتبات في المصير العثماني
٢٨٨ - ٢٦١	هواة الكتب والمكتبات الخاصة
٢٧٨ - ٢٦١	في المصير المتقدمة
٢٨٨ - ٢٧٨	في المصير الحديث

الباب الثاني
الكتاب العربي المخطوط
كما وصل إلينا

صفحة	المصنف الشريف
٢٩٩-٢٩٦	جمع الصحف
٢٩٨-٢٩٦	المصاحف العثمانية
٢٩٩-٢٩٨	كتاب الصحف
٢٠١-٢٩٩	مصاحف صنعاء
٣٠٣-٣٠١	تطور شكل المصحف
٣٠٦-٣٠٣	مجموعات المصاحف في العالم
٣١٣-٣٠٧	مصحف ابن الزكّاب
٣١٦-٣١٣	مصحف بريس الجاشنكير
٣١٨-٣١٦	مصحف الأمانة السنة
٣١٩-٣١٨	مصحف أوجاير
٣٢٤-٣١٩	المصاحف الملوكية
٣٢٤	المصاحف العثمانية
٣٢٩-٣٢٥	زخرفة المصاحف
٣١٨-٣٣١	المسودات والمصحفات ومخطوط المؤلفين والعلماء
٣٤٧-٣٣١	المسودات
٣٣١	تعريف المسوّدَة
٣٣٢-١٣١	مسودات وأما ابن النديم
٣٣٢	مسوّدَة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
٣٣٢-٣٣٢	مسوّدَة كتاب البارع لأبي علي الغالي
٣٣٣	مسوّدَة كتاب التعلیم الثانی للفارابی

فهرست المراجعات

ك

صفحة	
٣٣٤	سُورَةُ عَطْفِ الْقَاهِرَةِ لآبِنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ
٣٣٤	سُورَةُ عَطْفِ الْقَاهِرَةِ لِلْأَوْحَدِيِّ
٣٣٥ - ٣٣٤	كُتَابُ «الْعَيْنِ» لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ
٣٣٦ - ٣٣٥	سُورَةُ كُتَابِ «الصَّحَابِ» لِلجَوْهَرِيِّ
٣٣٦	سُورَةُ كُتَابِ «وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ» لِآبِنِ خَلْكَانَ
٣٣٧ - ٣٣٦	عِيُونَ الْأَيَّامِ لِآبِنِ أَبِي أُصَيْبَةَ
٣٣٧	سُورَةُ الرَّافِيِّ بِالْوَفِيَّاتِ لِلصُّعْدِيِّ
٣٤٠ - ٣٣٧	تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونَ
٣٤١ - ٣٤٠	سُورَةُ تَارِيخِ ابْنِ الْقَرَاتِ
٣٤٤ - ٣٤١	سُورَاتُ الْقَرِيزِيِّ (الْقَفِيُّ الْكَبِيرُ - الرَّوَاعِظُ وَالْإِحْتِبَارُ - التَّمَاظُ الْخَفِيَّةُ)
٣٤٥ - ٣٤٤	سُورَاتُ ابْنِ حَبْرَةَ الْعَسْقَلَانِيِّ (فَيْلُ الدَّرَجِ الْكَامِنَةُ - تَرْهَةُ الْأَكْيَابِ فِي الْأَقْتَابِ - تَبْصِيرُ الْمَتْبُوعِ)
٣٤٦	سُورَةُ كَشْفِ الظُّنُونِ لِجَاهِي عُلَيْقَةَ
٣٤٧	سُورَاتُ مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ لِلدَّهْمِيِّ - عَجَائِبُ الْأَثَارِ لِلجَبْرِتِيِّ - مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ لِإِبْرَاهِيمَ
٣٥٩ - ٣٤٨	الْمَبْيُوضَاتُ
٣٥٠ - ٣٤٨	الدَّرُ الْقَرِيدُ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ لِحَمْدِ بْنِ إِدْمُنَ
٣٥٢ - ٣٥٠	بَيْقَاتُ الطَّلَبِ لِآبِنِ الْعَدِيمِ
٣٥٤ - ٣٥٢	القَرَبُ فِي حَقِّ الْمَغْرِبِ لِآبِنِ سَعِيدِ
٣٥٦ - ٣٥٥	جَامِعُ الْأَصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرُّسُولِ وَالرُّصُوعِ وَالنِّهَالَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِحَمْدِ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ
٣٥٧	أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَعْرَابُ الْعَصْرِ لِلصُّعْدِيِّ
٣٥٨ - ٣٥٧	كُتَابُ الْخَوَاتِيمِ لِآبِنِ الْجَوْزِيِّ
٣٥٨	مَجْمَعُ الْأَقْوَالِ فِي مَعَانِي الْأَمْثَالِ لِلْمَكْتَبِيِّ
٣٥٨	شَرْحُ اعْتِبَارَاتِ الْمُتَعَمِّلِ الْفُسْتِيِّ لِلخَطِيبِ التَّبْرِيذِيِّ
٣٥٩ - ٣٥٨	فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ لِآبِنِ شَاكِرِ الْكُتَيْبِيِّ
٣٥٩	بَدَائِعُ الزُّهْرِ فِي وَقَائِعِ الدَّهْرِ لِآبِنِ إِيسَى

صفحة	
٣٥٩	التعلُّل في شرح المُعْجَل للقزويني
٣٦٢-٣٦٠	التُسْنِخُ المعارضة على أصول المؤلفين
٣٦٣-٣٦٢	التُسْنِخُ المنقولة عن أصول المؤلفين
٣٦٦-٣٦٤	التأليف الأول والتأليف الثاني
٣٦٨-٣٦٧	الفهرست لابن النديم
٣٦٩-٣٦٨	المخطوطات السَّوَدِيَّةُ بِالْمَتْنِمَاتِ
٣٧١-٣٦٩	عناية القدماء بتزويق المخطوطات
٣٧٣-٣٧١	الكتب الأدبية
٣٨٣-٣٨٢	الكتب العلمية
٣٨٩-٣٨٨	المخطوطات السَّوَدِيَّةُ
٤٠١-٤٠٠	المخطوطات المؤرخة في القرون الأولى
٤٠٢-٤٠١	عدم الاهتمام بعمل فهرس للمخطوطات المؤرخة
٤٠٥-٤٠٢	الصَّيْحُ المختلفة في كتابة تاريخ المخطوطات (Colophon)
٤١٩-٤١٥	الإستاد أو رواية الكتاب نسط لتأريخ المخطوطات
٤٢١-٤٢٠	المخطوطات الموقوفة
٤٢٢-٤٢١	الوقف في الشريعة الإسلامية
٤٢٣-٤٢٢	وقف المصاحف والكتب
٤٢٥-٤٢٣	دار الحكمة بالقاهرة
٤٢٥	مكتبة الوزير أبي القاسم المغربي بهماجرين
٤٢٧-٤٢٦	البيمارستانات
٤٥١-٤٢٧	طُرُقُ إِيَّاتِ الوقف
٤٤٢-٤٢٨	كتابة نَسْمِ الوقف على الصحف أو الكتاب نفسه

فهرست الموضوعات

صفحة	
١١٨ - ١١٣	وثائق الرقب الشاملة
١٥٠ - ١٤٨	ختم المخطوطات بختم يُحدّد الرقب
١٧٢ - ١٥٣	المخطوطات الخراسانية وقبور التملك
١٥٤ - ١٥٣	صنع التملك والنسخ الخراسانية
١٥٨ - ١٥٥	كتبه لنفسه
١٦٦ - ١٥٨	التملك والتبع والشراء
١٦٦	الاستعارة والاصطحاب
١٦٧ - ١٦٦	الهيئة
١٦٩ - ١٦٧	النسخ المكتوبة لخزان العلماء
١٧٢ - ١٦٩	النسخ المكتوبة لخزائن الملوك والأمراء والسلاطين
٥٠٧ - ٤٧٣	إجازات السماع والقراءة والمأولة وقبور المقابلة والمطالعة
٤٧٦ - ٤٧٣	إجازات التعليم في الحضارة الإسلامية
٤٨٠ - ٤٧٧	السماع وشروطه
٤٨٥ - ٤٨١	الدراسات السابقة حول إجازات السماع
٤٩٣ - ٤٨٥	فناجج السماعات
٤٩٤	القراءة
٤٩٨ - ٤٩٤	فناجج لإجازات القراءة
٥٠٠ - ٤٩٨	المأولة
٥٠١ - ٥٠٠	الرؤايس
٥٠٤ - ٥٠١	قبور التصحيح والمقابلة والمعارضة
٥٠٦ - ٥٠٤	قبور المطالعة والنظر والانتقاء
٥٠٧	التقييدات والفوائد العلمية

صفحة	
٥٤٤-٥٠٩	المخطوطات العربية في العالم ومهارة المخطوطات
٥٢٠-٥٠٩	مجموعة المخطوطات العربية في العالم
٥١٢-٥١٠	تركيا
٥٢٠-٥١٢	أوروبا
٥١٥-٥١٢	فرنسا
٥١٦-٥١٥	أسياتيا
٥١٨-٥١٦	المانيا
٥١٨	المملكة المتحدة
٥٢٠-٥١٩	البيتريني
٥٢٧-٥٢١	قَهْرَسَة المخطوطات
٥٢٥-٥٢١	فهارس المكتبات القديمة
٥٢٧-٥٢٦	قهرست خزائن التربة الأشرقية
٥٢٠-٥٢٧	سجل مكتبة جامع القيروان
٥٢٣-٥٢٠	قَهْرَسَة المخطوطات في العصر الحديث
٥٢١-٥٢٠	قَهْرَسَة المخطوطات في أوروبا
٥٢٣-٥٢٢	قَهْرَسَة المخطوطات في الشرق
٥٢٧-٥٢٣	القهرسة وعلم الكوديكولوجيا
٥٢٤-٥٢٣	تفاوت أنواع الفهارس
٥٢٧-٥٢٥	البيانات الأساسية لقهرسة المخطوطات
٥٢١-٥٢٨	نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط
٥٢٢-٥٢١	إتاحة المخطوطات
٥٢٤-٥٢٢	صيانة المخطوطات وترميمها

فهرست الموضوعات

س

صفحة	
٥٥٦-٥٤٥	تحقيق المخطوطات ونشرها أو الدراسة الفيلولوجية للمخطوط
٥٤٥	مفهوم التحقيق
٥٤٨-٥٤٦	المحاولات الأولى لوضع قواعد وأصول لنقد الكتب العربية
٥٥٥-٥٤٨	قواعد تحقيق التراث
٥٤٨	ضوابط تحقيق ونشر التراث
٥٥٢-٥٤٨	جمع الأصول و ضبط النص وتأديته
٥٥٤-٥٥٣	التعليقات والهوامش
٥٥٤	الفهارس التحليلية (الكشافات)
٥٥٥	مقدمة التحقيق
٥٥٥	ثبت المصادر والمراجع

الباب الثالث
الكتاب العربي المخطوط
النماذج

٥٦٠-٥٥٩	تقديم
	النماذج واللوحات
٥٩٠-٥٦١	شرح النماذج واللوحات
٦١٤-٥٩١	ثبت المصادر والمراجع و بيان طبعاتها
٦٠٦-٥٩١	المصادر العربية
٦٠٨-٦٠٢	المراجع العربية والمعرية
٦١٣-٦٠٩	المراجع الأجنبية
٦١٤	الرموز والاختصاصات

AVANT - PROPOS

V - VII

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

اقتصرت الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتى الآن على بحث متون هذه المخطوطات والدراسة الفيلولوجية لما تُقدِّمُه من مادة علمية . أما الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقة أثرية حضارية فلم يَلْقَ بعد ما يناسبه من عناية واهتمام .

وقد نشأ في الغرب الأوربي علمٌ خاصٌ بدراسة الشكل المادي للمخطوطات اليونانية واللاتينية هو علم الكوديكولوجيا Codicologie وهو لَفْظٌ مركبٌ من مقطعين : Codex اللاتينية وتعني كتاب و Logos اليونانية وتعني علم وبحث ، ولم يدخل هذا المصطلح المحدث إلى المعجم الفرنسي - *Le grand dictionnaire encyclopédique* إلا في عام ١٩٥٩ .

وقد تَخَلَّفَ المتخصصون في دراسة المخطوطات العربية والإسلامية بالنسبة لمن درسوا المخطوطات اليونانية واللاتينية في هذا المجال الذي يتطلب قواعد أخرى للتعامل مع الكتاب المخطوط غير تلك المستخدمة في دراسة نَصِّ المخطوطات . وتساءل فرانسوا دي روش François Deroche في مقدمة كتاب *Les Manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie* فيما إذا كانت ضخامة حجم الوثائق المطلوب مراجعتها وعظْمُ مهمة إعداد هذه المواد ودراستها هي التي صرَّفت هؤلاء المتخصصين حتى الآن عن الإقدام على هذه المخاطرة؟ خاصة إذا علمنا أن حَجْمَ المخطوطات العربية في العالم يُقدَّرُه العارفون بها بنحو ثلاثة ملايين مخطوط ، وقد سبقَ أن ذكر مثل ذلك القَلَقُ شَنْدِي

الكتاب العربي المخطوط - ١

في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حيث قال :

«واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُحصَر؛ لا سيما الكتب المصنفة في اللغة الإسلامية فإنها لم يُصنّف مثلها في ملّة من الملل، ولا قام بتظهيرها أمة من الأمم؛ إلا أن منها كتباً مشهورة قد توفّرت الدواعي على نقلها والإكثار من نسخها وطارت سمعتها في الأفاق ورُغِبَ في اقتنائها» (تلفندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١ : ٤٦٧).

والكوديكولوجيا Codicologie هي علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، أي أنه يُعنى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثلة في: الورق - الحبر والمداد - التذهيب - التجليد، وأيضاً حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل ما دوّن على صفحة الغلاف (الظَهْرِيَّة) من سماعات وقرءات وإجازات ومناولات ومقايلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتملّكات وتقييدات ووقفيات، وما يُسجّل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفون Colophon (قَيْد الفراغ من كتابة النسخة) من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنسخة المنقول عنها، وكذلك معرفة المصدر الذي جاء منه النسخة والجهة التي أتت إليها، وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك، وقد أطلق الأوربيون عليها اسم خوارج الكتاب Ex-libris.

وتبدو أهمية هذه الدراسة إذا عرفنا أن عصر الكتاب المخطوط في العالم العربي والإسلامي استمر حتى وقت قريب، فلم تكتسب طباعة الكتب في العالم العربي والإسلامي أهمية إلا مع بداية القرن التاسع عشر. كما أن أعمالاً مثل كتاب كارل بروكلمان: «تاريخ الأدب العربي» وكتاب فؤاد سزجين: «تاريخ التراث العربي» التي كتبت في الأصل باللغة الألمانية، يتركز اهتمام مؤلفيها على تصنيف الكتب وفقاً للموضوعات والتسلسل الزمني، ولا نجد فيها مقدمات أو فصول مستقلة تتناول الشكل المادي للمخطوطات المدروسة أو أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها أو وصف الأساليب الخطية أو الأشكال الزخرفية.

كذلك فإن فهارس المخطوطات العربية، سواء في أوروبا أو في البلاد العربية، نادرًا ما تحتوي على إشارة إلى الشكل المادي للمخطوط، كما أنها لا تتعرض إطلاقًا لتواريخ المجموعات وتكوّنها وخواصها المميزة وتبذ عن حياة جامعي هذه المخطوطات.

وعلى ذلك فإنه ما زال أمامنا وقتٌ طویل قبل أن نمتلك مدونات corpus تُعرفنا بـ :

- المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها Autographes .
- المخطوطات المنقولة عن نسخة المؤلف Apographes .
- المخطوطات المؤرّخة .
- المخطوطات التي بخطوط العلماء .
- المخطوطات الوحيدة Uniques .
- المخطوطات المكتوبة على الرق .
- المخطوطات المكتوبة على الكاغذ .
- المخطوطات الخزائنية .
- المخطوطات المصورة (المزينة) .
- المخطوطات الموقوفة .
- أسماء النسخ والمخطوطات التي نسخوها .

٢

حقيقةً لقد قامت محاولاتٍ لوضع بداية جادة لهذا العلم تُقدّم لنا كيفية هذه الدراسة وبعض تطبيقات عملية لها، أولها المؤتمر الذي عُقد في استانبول واستضافه المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية ونظّمه الباحث الفرنسي فرانسوا دي روش في الفترة من ٢٦-٢٩ مايو سنة ١٩٨٦ ونشرت بحوثه سنة ١٩٨٩ بعنوان :

Les manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie.
Actes du colloque d'Istanbul (26-29 mai 1986), édités par Fr. Déroche. Istanbul, I F E A (Varia Turcia VII) - Paris, Bibliothèque Nationale et C N R S, 1989.

ثم الندوة الدولية التي عقدتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس في الفترة من ٢٧ - ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٢ حول موضوع: المخطوط العربي وعلم المخطوطات ونشرت أعمالها سنة ١٩٩٤ تحت عنوان:

«المخطوط العربي وعلم المخطوطات»، تنسيق أحمد شوقي بئين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومنتظرات رقم ٣٢ - جامعة محمد الخامس ١٩٩٤.

ثم عقدت مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن في الفترة بين ٤ - ٥ ديسمبر سنة ١٩٩٣ مؤتمرها التخصصي الثاني وكان موضوعه: The Codicology of Islamic Manuscripts وتشرّت الجزء الأول من الأبحاث المقدمة بلغات أجنبية إلى المؤتمر سنة ١٩٩٥ بعنوان:

The Codicology of Islamic Manuscripts. Proceedings of the second conference of al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 4-5 December 1993, general editor: Yasin Dutton, London - Al - Furqan Islamic Heritage Foundation 1995.

وتشرّت الجزء الثاني مشتملا على الأبحاث المقدمة باللغة العربية سنة ١٩٩٧ بعنوان:

«دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر»، إعداد الدكتور رشيد العناني، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧.

وقد سبقت هذه الدراسات محاولات لتقديم صورة لشكل المخطوط وتطور الخط العربي عبر القرون، كان أسبقها كتاب برنارد موريتز Bernard Moritz

مقدمة

الضخم عن « الخطاطة العربية » الذي عرّض فيه لوحات مختارة من ذخائر دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية من المصاحف والمخطوطات المختلفة تُمثّل نماذج للخط العربي عبر القرون ولكن دون أية دراسة تحليلية .

Moritz, B., *Arabic Palaeography*, Publications of the khedivial Library N° 16. Cairo - Wien 1905.

ثم كتاب جورج فايدا الذي يُقدّم نماذج للخط العربي من خلال مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس

Vajda, G., *Album de palaeographie arabe*, Paris B. N. 1958.

وكتاب الدكتور صلاح الدين المتّجّد الذي جَمَعَ فيه من خلال مصورات «معهد المخطوطات العربية» نماذج تُوضّح الخطوط التي كتب بها المخطوط العربي عبر القرون وبعض المخطوطات الخزائنية أو ذات الخطوط المنسوبة .

صلاح الدين المتّجّد : الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري ، الجزء الأول - النماذج ، القاهرة - معهد المخطوطات العربية ١٩٦٠ .

وقد وعدّ في المقدمة بجزء ثانٍ يتناول دراسة مُوسَّعة للموضوع لم تصدر إلى الآن .

والفهرس الذي أعدّه المستشرق الإنجليزي آربري Arberr لمخطوطات مكتبة شيبستر بتي حيث زوّد كل جزء من أجزائه السبعة بنماذج لخطوط المؤلفين والعلماء الموجودة في المكتبة

Arberr, A. J., *A Handlist of the Arabic Manuscripts in the Chester Beatty Library*, I-VII, Dublin 1955-66.

والكتاب الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بمناسبة المعرض الذي أعدّه للخط العربي بعنوان

الخط العربي من خلال المخطوطات ، الرياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

وأخيراً الدراسة التي أعدّها عالم المخطوطات والأثري المعروف إبراهيم شيوخ عن «المخطوط العربي 14 قرناً من حضارة الإسلام» والتي عرّضَ فيها ودرّسَ نماذج مختارة من مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس ، وصدرت بعنوان

إبراهيم شيوخ : **المخطوط** ، من نفائس دار الكتب التونسية - ١ ، تونس - الرقعة القومية لإحياء واستغلال التراث الأثري والتاريخي ألف 1989

وهناك أيضاً دراسات مهمة حول الموضوع تُمثّل أساساً قوياً لتطور هذا العلم من أهمها كتاب

Arnold, Th. and Grohmann A., *The Islamic Book: A Contribution to its Art and History from the VII - XVIII century*, Germany - The Pegasus Press 1929.

وكتاب يوهانس بيديرسون الذي صدر أولاً باللغة الدانماركية سنة 1946

Pedersen, J., *Der Arabische Bog*, Copenhagen 1946.

ونُقلَ إلى اللغة الإنجليزية عام 1983

Pedersen, J., *The Arabic Book*, translated by Geoffrey French, Princeton University Press N. J. 1983.

كما نقله إلى العربية السيد حيدر غيبة بعنوان «الكتاب العربي» وصدر في دمشق عام 1989 عن مطبعة الأهالي .

ومقال حبيب زيات عن الوراقة والوراقين في الإسلام

حبيب زيات : **الوراقة والوراقون في الإسلام** ، مجلة المشرق 11 (فوز - أيلول 1947) ، 305-350.

وكتاب عبدالستار الحلوجي عن المخطوط العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي تناول فيه ظهور المخطوط العربي وصنعتة في الفترة الإسلامية المبكرة .

عبد الستار الحلوجي : **المخطوط العربي من النشأة إلى القرن الرابع الهجري** (ط ١)
الرياض ١٩٧٨ ، ط ٢ ج ٢ (١٩٨٩).

ثم كتاب محمد المثنوي عن صناعة المخطوط المغربي من الفتح الإسلامي
إلى العصر الحديث .

محمد المتوني : **تاريخ الوثائق المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط
إلى الفترة المعاصرة** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس
١٩٩١ .

ويُعَدُّ كتاب كوركيس عَوَّاد عن أقدم المخطوطات العربية في العالم حتى
نهاية القرن الخامس الهجري ومقال فرانسوا دي روش عن المخطوطات المؤرخة
في القرن الثالث الهجري أول محاولة لحصر المخطوطات المؤرخة في هذه
الفترة .

كوركيس عَوَّاد : **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر
الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م)** ، بغداد ١٩٨٢ .

Déroche, F., « Les manuscrits arabes datés du III^e/ IX^es. », *REI*, LV- LVII
(1987- 89), pp. 343-379

وأخيراً كتاب أحمد شوقي بنين عن علم المخطوطات والبحث
البيبلوجرافي الذي يُعَدُّ أول كتاب عربي يتناول موضوع الكوديكولوجيا بفهم
وتتبع .

أحمد شوقي بنين : **دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبلوجرافي** ،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس ، سلسلة بحوث ودراسات
رقم ٧ ، ١٩٩٣ .

وإلى جانب هذه الدراسات كان ظهور «مجلة معهد المخطوطات العربية» عام
١٩٥٥ كأول مجلة متخصصة تبحث في شؤون المخطوطات خطوة هامة في

مجال التعريف بالمخطوطات وفهرستها، ولكن أوّل مجلة متخصصة في كوديكولوجيا المخطوطات الشرقية بمعنى الكلمة كانت مجلة *Manuscripts of the Middle East* التي صدّرت عددها الأول عام ١٩٨٧ بإشراف المستشرق الهولندي Jan Just Witkam وهي مليئة بالأبحاث المتخصصة عن التاريخ المادي للمخطوط العربي والشرقي على العموم.

وتقدّم لنا الدراسات الخاصة بتاريخ المكتبات الإسلامية الكثير من المعلومات حول تكوّن مجموعات أشهر المكتبات الإسلامية في الشرق والغرب (الملكية والخاصة والعامّة) وكيفية تنظيمها وموارد صرفها وأسماء خزّانها وأهم الكتب التي كانت تحتوى عليها.

وقد وجّدت مخطوطات بعض المكتبات حظاً كبيراً في دراستها دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات مكتبات استانبول والأناضول ومخطوطات مكتبة شيبتريني ومخطوطات المكتبة الوطنية في باريس، بفضل جهود علماء من أمثال ريشتر Reacher وريتير Ritter وأربيري Arberry وفايدا Vajde على التوالي. وما زالت هناك العديد من المكتبات الشرقية التي تحوي رصيداً هاماً من المخطوطات القديمة ذات القيمة المادية الكبيرة لم تُدرس بعد دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الأزهرية بالقاهرة ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومخطوطات الخزانة العامة بالرباط ومخطوطات الجامع الكبير بصنعاء.

ولعل من أهم الأعمال التي تساعد على تقدّم هذا النوع من الدراسات هو إخراج «ألبومات Albums» تحتوي على نماذج مصورة طبق الأصل Facsimilé للصفحات الأولى لهذه المخطوطات (الظهيرية) والصفحات الأخيرة لها (الغاشية)، وهي عادة الصفحات التي تحتوي على خوارج الكتاب Ex-libris

لتساعد الباحثين على دراسة هذه الظواهر التي سنشير إليها تفصيلاً في فصول هذا الكتاب.

٣

وهذا الكتاب محاولة لدراسة كوديكولوجيا الكتاب العربي المخطوط، في الشرق على وجه خاص، من خلال المصادر وكما وصل إلينا وجعلته في ثلاثة أبواب:

الباب الأول - الكتاب العربي المخطوط في المصادر، درست فيه: «صناعة المخطوط العربي» و«تطور الخط العربي» و«نشأة التدوين عند المسلمين وطرق التأليف» و«اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية» و«الوراقة والوراقين» ثم «المكتبات الإسلامية وهواة الكتب».

الباب الثاني - الكتاب العربي المخطوط كما وصل إلينا وحلم المخطوطات، درست فيه: «المصحف الشريف» و«المسودات والمبيضات والمخطوطات التي بخطوط العلماء والتأليف الأول والتأليف الثاني للكتاب»، و«المخطوطات المؤرخة وقيد الفراغ من كتابة النسخة الـ colophon»، وكذلك «المخطوطات المؤرخة بالتمنعات» و«المخطوطات الحزائية» و«المخطوطات الموقوفة أو المحيية».

ثم درست ما على المخطوط من قيود مختلفة سواء المتعلقة بنص الكتاب مثل: الرواية والسّماعات والقراءات والإجازات والمقابلة والتصحيح والمطالعة والنظر، أو المتعلقة بشكل النسخة مثل التملكات والبيع والشراء والوقف والتقييدات العلمية، وأيضاً التوقيعات والأختام. وأشارت كذلك إلى كيفية التعرف بهذا التراث التليد عن طريق فهرسته فهرسةً وصفيّةً ونشره نشرًا علميًا ثم صيانتَه وترميمه وعرضه عرضًا متحفياً وإتاحته للبحث العلمي.

الباب الثالث - التمسّاج ويشتمل على نماذج مُصَوَّرة لكل هذه الأشكال والظواهر السابق ذكرها تَمَثَّل مختلف الحَقَب والتطورات التي مرَّ بها المخطوط العربي . وقد حرصت على أن أورد بين النماذج التي نتعرَّف منها على تطور الخط العربي عبر القرون ، نماذج لمخطوط المؤلفين وكبار العلماء التي وصَّلت إلينا سواء من كتبهم التي كتبوها بخطوطهم أو بما سجَّلوه بخطوطهم على ظهور المخطوطات من سماعات وقرارات وإجازات وتقييدات ومملكات . فكما قال العلامة خير الدين الزركلي في مقدمة كتابه الخالد «الأعلام» الذي جمع فيه من خطوط العلماء المترجمين ما يثير الإعجاب والدهشة .

«إن المخطوط إلى جانب قيمتها الأثرية، فلذ من أرواح أصحابها أبدية الحياة، يكمن فيها من معاني النفوس ما لا تُعرب عنه صور الأجسام» .
(الأعلام : ١ : ٤١٦).

وبعد فأرجو أن أكون قد وفَّقت فيما قصَّدت إليه وأن أكون قد أسهمت بجهْد في دراسة علم المخطوطات ، وهو العلم الذي ما يزال في حاجة إلى تضافر جهود المُتخصِّصين والخبراء - على قَلَّتْهم - في دراسة هذا التراث الضخم من المخطوطات العربية والإسلامية دراسةً كوديكولوجية استمراريةً لجهود علماء المخطوطات الرواد من أمثال يوسف العثَّان وصلاح الدين المتَّجِد وفؤاد سيد ومحمد رشاد عبدالمطلب وكوركيس عوَّاد ومحمد بن تاويت العثَّانجي ، وإلى إعداد جيل من شباب الباحثين يستمر في هذه الدراسة التي تحتاج إلى جانب الحب والهواية ، إلى ثقافة ومعرفة واسعة بالمكتبة العربية وطبيعة علاقة كتبها بعضها ببعض .

الدكتور أمين فؤاد سَيِّد

مصر الجديدة في : ٤ شوال سنة ١٤١٧هـ
١٢ فبراير ١٩٩٧م .

الباب الأول
الكاتب العبد المذنب
والصائم

صناعة الكتابات العربية المخطوطة

حدّد القدماء لصناعة الكتاب المخطوط أركاناً أربعة هي: الكاغد (الورق) والمداد (الخبر) والقلم (الخط) والتجليد (التسفير).

ولم يكن حظّ هذه الأركان الأربعة متوازناً في معارفنا، لأنّ القادرين على التمييز والكتابة والوعي بضبط التجارب للأجيال يبدأ اهتمامهم من مرحلة القلم والخط ويخرجون منها إلى التدوين والتأليف، وبهذا كان هذا الجانب كثير الثراء مؤثقة أسراره في أدب حافظ محفوظ بالمصادر الكبرى لشقافة الكتاب.

أما الركائز الثلاث الأولى والأسبق في التسلسل من الخط وهي: الورق والخبر والتجليد، فإنّ المادة التوثيقية عنها كانت في غاية الضحالة ولم تكن في مستوى توضيح تقنيات التراث الضخم الذي سلم لنا على الزمن^١.

ويُعتبر كتاب «عمدة الكتاب وعمدة ذوي الألباب»^٢ الذي ألف على الأرجح للامير الصنهاجي تميم بن المعز بن باديس أشجّل ما وُضِعَ في صناعة الكتاب المخطوط، فقد تناول فيه مؤلفه المجهول بتوازن وإيجاز انتخاب الأقلام الجيدة وبريها على أجناس المخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة، وعمل الليق، وتلوين الأصباغ وخلطها، والكتابة بالذهب

^١ إبراهيم شبروح: «مصدران جديداً عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد» في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ١٦ -
^٢ نشره عبدالستار الحلوجي وعلى عبدالحسن زكي في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٩٧١)، ٤٣ - ١٧٢.

والفضة، وعمل ما تُمَحَى به الكتابة، وإصااق الذهب والفضة وصفة مَصالقه وصقله، وعَمَل الكاغِد وسقِّيه وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

ويعد تصنيف هذا الكتاب بنحو قرن ونصف، صنَّف الملك اليماني المظفَّر يوسف بن عمر بن علي الرسولي المتوفى سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م كتاب «المُخْتَرَج في فنون من الصنَّع»^١ استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب «العُدَّة» استيعاباً حرفياً وبشء من الانتقاء^٢.

وإضافة إلى هذين الكتابين فإن هناك أدباً محدوداً وصل إلينا يُعرَف بصناعة الأحبار والألوان وأساليب التزيين والتجليد لعل أهمها: كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» مؤلف مغربي يدعى محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري^٣، ألف كتابه أثناء إقامته في بغداد في المدرسة المستنصرية سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م، وكتاب «تُحَف الخواص في طُرُق الخواص» لأبي بكر محمد ابن محمد بن إدريس بن مالك القُضاعي المعروف بالقللوسي^٤ وهو أندلسي من أهل إسطابونة (Estepona) (٦٠٧ - ٧٠٧هـ / ١٢١٠ - ١٣٠٧م) وعالم لغوي اشتهر بحفظ كتاب سيبويه وكان حُجَّة في العروض والقوافي. وقد تَوَّه لسان الدين بن الخطيب بهذا الكتاب وقال إنه «رَقِع للوزير ابن الحكيم [أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي] كتاباً في الخواص وصنعة الأمددة وقلع طبع الثياب غريباً في معناه»^٥. كما تحتفظ دار الكتب المصرية بـ«رسالة في صناعة الأحبار» مجهولة المؤلف تحت رقم ١٤ صناعة تيمور.

وفيما يخص التجليد أو التسفير فقد وصَلَّت إلينا بعض المؤلفات ذات القيمة على ندارتها أقدَّمها كتاب «التيسير في صناعة التسفير» للفييه بكر بن إبراهيم

^١ نشره محمد عيسى صالحية في الكويت عام ١٩٨٩.

^٢ إبراهيم شيوخ : المرجع السابق : ١٥.

^٣ توجد منه نسخة بخط مؤلفها Autographe في مجموعة خاصة استفاد منها إبراهيم شيوخ في بحثه المشار إليه أعلاه.

^٤ منه نسخة في الخزانة الملكية بالرياض بالمغرب اعتمد عليها إبراهيم شيوخ في بحثه المشار إليه أعلاه.

^٥ لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ : ٧٦.

الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م^١، وأرجوزة «تدبير السفير في صناعة السفير» لشخص يُدعى ابن أبي حميدة أو ابن أبي حميدة عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي^٢، ثم الرسالة التي كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السقياني سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٦م عن صناعة السفير وحلّ الذهب^٣.

يضاف إلى ذلك الفصل الهام الذي أفرده القلقشندي في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي للحدّث عن آلات الخط ومباده، والآلات التي تشتمل عليها الدواة والقلم وبزّيه، والمداد والحبر وصنعتهما، وليق الافتتاحات، وما يكتب فيه من قراطيس وورق^٤.

السورق

(البَردي - الرقي - الكاغد)

طلّت صناعة الورق (البَردي) في الدولة الإسلامية صناعةً مصريةً خالصةً طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغد) مكانه إلى جانبه. واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطريقة متقطّعة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافساً للبَردي حتى أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عندما حلّ محلّ البَردي وبدأت مطابخ الورق في الظهور وتوقّف إنتاج البَردي.

وإلى جانب البَردي Papyrus كان الرقي Parchemin - وهو ما يُرَقّق من الجلود ليُكتب فيه - يحتلّ حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق وحُصناً متميزاً في صناعة الكتاب العربي المخطوط.

^١ نشره عبدالله كتون في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ٧-٨ (١٩٥٩)، ١-٤٢.

^٢ منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٣١٩/٨ صحايع ونشرها Gacek, Adam, « Ibn Abi Hamidah's didactic poem for bookbinders », MME VI (1992), pp. 41-58.

^٣ نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحلّ الذهب»، باريس - بول جونتير ١٩١٩، Chabbouh, Ibn., op. cit., p. 61.

^٤ القلقشندي - صح الأمل، ١: ٤٤٠-٤٨٨.

البردي Papyrus

والبردي من الحاصلات الخاصة التي كانت تُنتجها مصر وكانت النباتات التي تُسكّل منها الأوراق البردية تلعب في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة وحتى انتهاء زراعته نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نفس الدور الذي لعبه القطن في الاقتصاد المصري حتى وقت قريب.

ففي مستنقعات الدلتا كانت مسطحات واسعة يغطيها البردي papyrus وهو نبات من فصيلة السعد souchet كان يُزرع بين المشاتل. وكان الورق يتخذ من لُبابه وهو لُباب ليفي لرح يقطع إلى شرائح طولية بعد قشرها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم تردف بطبقة ثانية من هذه الشرائح متعامدة مع الأولى، وتطرق الصحائف بمطرقة خشبية لتسويتها ولتتحد أجزاؤها بواسطة اللزوجة الطبيعية. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأفقي منها. فكانت مصر هي البلد الذي يمدّ سائر الأقطار بأوراق البردي^١. وأطلقت المصادر العربية القديمة على البردي المصري «القرطاس المصرية»^٢.

وقد نوّه البيروني بورق البردي المصري وأشاد به قال:

«إن القرطاس معمولٌ بمصر من لبّ البردي يُرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا [توفي البيروني سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م] إذ ليس ينقاد لحك شيء منه وتغييره بل يقسّد به»^٣.

^١ ابن البيطار: التجامع لقرودات الأدوية والأغذية (بولاق ١٢٩١هـ) ١: ٨٦-٨٧، وراجع جروهيمان، أولف: المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ومنها الخطوطة بالدار، تمريب لوفيق إسكارس، القاهرة- دار الكتب المصرية ١٩٣٠، ٩؛ إبراهيم شبرج: «بعض ملاحظات على عطر البرديات العربية الميكرة ومدى تأثيرها بحركات إصلاح الكتابة»، الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٦٤، Sellheim, R., *EP*, ١٦٤؛ *art. Papyrus VII*, pp 268 - 272; Khan, G., *art. Kiris V*, p. 171; Khoury, R. G., *EP*, ١٦٤. «Arabic Papyri», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 1-16.

^٢ ابن النديم: الفهرست ٢٢.

^٣ البيروني: تحقيق ما للهند ٨١.

الأيان ٦ و ٢٩٠، وعده بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة، قال الجواليقي:
«القرطاس - بضم القاف وكسرها - قد تكلموا به قديماً. ويقال إن أصله
غير عربي»^١.

وذكر دوزي Dozy أن لفظ القرطاس أصله من اليونانية chartes ومعناه ما
يكتب فيه، ويقابله في العربية «ورقة» و«صحيفة»^٢.

وكان في الجانب الغربي من بغداد أي في الكرخ درب يعرف به درب
القرطاس، أو «درب أصحاب القرطاس»، ذكره غير واحد من الكتاب
الأقدمين كالجاحظ والطبري والخطيب البغدادي وغيرهم^٣، وأغلب الظن أن
قرطاس مصر كانت تباع فيه.

وذكر أبو سعيد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٦ م في مادة
«القرطاسي» أن «هذه النسبة إلى عمل القرطاس وبيعها»^٤، ثم ذكر غير واحد
من عرف بهذه النسبة وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم إليها، يقول كوركيس
عواد: «فلعل نسبتهم جاءت من سكنهم درب القرطاس أو من صنعهم أو
بيعهم القرطاس ذاتها»^٥.

وأورد الخطيب البغدادي المتوفى قبل السمعاني بمائة عام تراجم سبعة رجال
عرف كل منهم به «القرطاسي» أمرهم أيضاً أمر من ذكرهم السمعاني في استبهم
نسبتهم حيث لم يفصح الخطيب عن ذلك في تراجمهم المقتضبة^٦.

^١ الجواليقي: المغرب من الكلام الأعجمي ٢٧٦.

^٢ Dozy, Suppl. Dict. Ar. II, pp. 351.

^٣ كوركيس عواد: «الورق والكافد - صناعته في العصور الإسلامية»، مجلة الجمع العلمي العربي ٢٣
(١٩٤٨)، ٤١٥.

^٤ السمعاني: الأبناب ورقة ٤٤٥ و.

^٥ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤١٥.

^٦ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ٤٠٩١، ٤٣٠، ١١، ٢٣٣، ١٢، ١٥١، ١٣، ٤٥؛ كوركيس
عواد: المرجع السابق ٤١٥.

وقد وصل إلينا العديد من الرسائل والصكوك المكتوبة على البردي حُفظت لنا في مصر والقليل في فلسطين وكلها أوراق خاصة بمقود بين أفراد أو إيصالات أو دفع ضريبة خراجية أو مراسلات بين الولاة، أقدمها بردية يرجع تاريخها إلى عام ٢٢٢هـ / ٦٤٣م تعرف بـ«بردية أهناسيا» محفوظة اليوم في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا. ولم تصل إلينا للأسف كتب مكتوبة على البردي سوى أجزاء لأعمال مبكرة مثل موطأ مالك بن أنس وصحيفة همام بن منبه وصحيفة عبدالله بن ليهعة، أما أكمل كتاب وصل إلينا على البردي فهو نسخة من كتاب «الجامع في الحديث النبوي» لعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م كُشف عنها عام ١٩٢٢ في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهي اليوم محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٣ حديث^١.

الرَّقْ Parchemin

المادة الأصلية للرَّق Parchemin من أصل حيواني تستخدم فيه جلود الخراف والماعز والبقر والغزال وربما الحمير، وكان جلد الخراف هو الأكثر استخداماً في هذا الغرض. وكان الرَّق يُصنَّع عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجودة عليه باستعمال الجير أو أية مادة تحفظ أخرى ويترك ليجف مع شدّه على إطار خشبي، وعملية الشد هذه في غيبة عملية الدباغة هي التي تفرق بين الرَّق والجلد. وفي كثير من الرقوق التي وصلت إلينا يمكننا التفرقة بين ناحية اللحم وناحية الشعر بسبب بقاء جذور شعر الحيوان. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأملس recto. أما حجم الرَّق فكان يختلف

^١ - Weill, J. D., «Note sur un manuscrit malékite de 'Abd-Allah ibn Wahb ibn Muslim al-Pitri Al-Qurashi», *Mélanges Maspero III* - Orient Islamique, Le Caire - IFAO 1953, pp. 177 - 189
 Weill, J. D., *Le* ونشر دليل قبل الكتاب نصاً وإحداث وتعليقات في ثلاثة أجزاء *Le Djāmi' d'Ibn Wahb* (texte, planches et commentaires, Le Caire - IFAO 1939 - 1948).
 رمضان حوري . Khoury, R. G., *EP*, art. *Papyrus VII*, pp 268 - 272.

باختلاف طول الحيوان المستمد منه ويتراوح ما بين ٨٥,٢ × ٨٢ سم و ٤,٨ × ١,٨ سم^١.

وفي المغرب الإسلامي كان التحوّل لاستخدام الورق متأخراً حيث ظلّ الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بل إن المصاحف المغربية ظلّت حتى وقت قريب تُكتب على الرق طلباً لطول البقاء.

أما المصاحف والكتب المكتوبة على الرق، فهناك نماذج كثيرة لها محفوظة في العديد من المكتبات العالمية وخاصة في المكتبة الوطنية في باريس وفي مجموعة ناصر خليلي بلندن وفي دار المخطوطات بصنعاء وهي تصلح كأساس لعمل مدوّنة corpus للمخطوطات المكتوبة على الرق^٢.

وإذا كان من خواص الرق قدرته على البقاء الطويل، فإن من أهم عيوبه إمكانية محو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى. فيذكر ياقوت الحموي من بين مؤلفات علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح الربيعي النحوي المتوفي سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م شرح كتاب سيبويه ثم قال:

«إلا أنه عَسَلَهُ وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مُنْضِباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إِبْطَانِه وصَبَّ عليه الماء وعَسَلَهُ وجعل يَلْظِمُ به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاته»^٣.

وعندما ترجم ياقوت لأبي طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي

^١ Khouri, R. G. and Wittkam, J. J., *Et c.*, art. Rakk VIII, pp. 422-424; Déroche, Fr., «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 17 - 57.

^٢ Déroche, F., *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983; id., *The Abbasid Tradition. Qur'ans of the 8th to 10th centuries. The Nasir*, ser D. Khalili Collection of Islamic Art, London 1993.

^٣ صنعاء، الكويت ١٩٨٥. ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ١٤: ٧٩.

الشافعي المتوفي سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٨م قال :

«كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحده زمانه في حُسْنِ الخطِ
علي طريقة علي بن هلال التَّوَابِ، سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحدٌ
قبله ولا بعده مثله في قلم التُّلْتِ، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول : إنه كان
خبيراً من ابن التَّوَابِ، وكان ضيقاً بخطه جداً فلذلك قُلُّ وجوده . كان إذا
اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طسّاً ويُتَسَلَّهُ . فأما إذا استغنى فكان
يكسر قلمه ويجهد في تغيير خطه»^١.

ويذكر ياقوت أيضاً أنه لقي في آمد سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م علي بن الحسن بن
عَنْتَر المعروف بشميم الخَلِّي «وكان من العلم بمكان مكين . . . إلا أنه كان لا يقيم
لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً»^٢ ؛ وقد سأله ياقوت لماذا لم
يُصنَّف مقامات يدَحِّضُ بها مقامات الحريري فقال له :

«ها بُنِيَ اعلم أن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التهادي على الباطل، عملت
مقامات مرتين فلم ترضني ففعلتها»^٣.

وأورد الخبير برواية أخرى في ترجمة الحريري قال :

« . . . ولقد أنشأها ثلاث مرات ثم أنامَّها فاستردَّتها ، فأعمد إلى البركة
فأغسلها»^٤.

وتدُلُّ هذه النصوص على أن الرُّقَّ ظلَّ مستخدماً في الشرق الإسلامي وإلى
القرن السادس الهجري ، فعملية الغَسْل هذه لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت الكتابة
على الرُّق .

الكاغد Kagad

أما الورق (الكاغد) Kagad فكان يُعمَل في أغلب الأحيان من الكِتَان أو

^١ ياقوت الحموي : معجم الأديب : ١٧ : ٥٦ - ٥٧ .

^٢ نفسه : ١٥ - ٢٦٨ .

^٣ نفسه : ١٣ - ٥٨ .

^٤ نفسه : ١٥ - ٢٦٨ - ٢٦٩ .

القُتْب وخاصة ما يُعرف منه بالورق الخراساني^١. وقد أورد صاحب كتاب «عمدة الكتاب» طريقة لعمل نوع من الكاغد وصفه سقيه وتعتيقه^٢.

وقد وَجَدَ الرَّقَّ منافسةً شديدةً من الكاغد عند ظهوره وخاصةً فيما يتعلّق بالكتابات التي تُنظَّم معاملات الناس وتوثّقها ويقع التفاضل بها إذ أصدر الخليفة هارون الرشيد أمراً بـ:

«ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها ثقيل المحو وإعادة فتحيل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحي قَسَدَ، وإن كُشِطَ ظهر كَتَمُهُ»^٣.

وقبل ذلك كانت القراطيس المصرية هي الأكثر استخداماً في دواوين الدولة الإسلامية^٤. يقول الجهشيارى:

«ووقف أبو جعفر [المصور] على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعى بصالح صاحب المصلى فقال له: إنني أمرت بإخراج حامل القراطيس في خزائنتنا فوجدته شيئاً كثيراً جداً فتولى بيعه وإن لم تُعْطَ بكل طومار إلا دانقاً، فإن تمصيل ثمنه أصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم فانصرفت من حضرته على هذا؛ فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكّرت في كتبنا وأنها قد جَرَّت في القراطيس وليس يؤمن حادثٌ بمصر فتقطع القراطيس عتاً بسببه فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تُعَوِّدَ عمالنا فدفع القراطيس استظهاراً على حالها.

^١ ابن النديم: الفهرست ٢٢.

^٢ المعز بن باديس (المسروب ل): عمدة الكتاب ١٤٧ - ١٤٩ وانظر كذلك Huart, Cl. & Grohmann, A., *El², art. Kāghad VI*, pp. 437 - 438.

^٣ الفلّشتدي: صبح الأعيان ٢: ٤٨٦ وقارن مع ابن خلدون: المقدمة ٢: ٩٧٤، الفلّشتدي: صبح ١: ٥٨٧، ٢: ٥٨٧، القزويني: الخطط ١: ٩١.

^٤ الفلّشتدي: صبح ٦: ١٨٩. وفيه (أن الخلفاء لم تزل تستخدم القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية).

ولهذه العلة كانت المُرسُ تكتب في الجلود والرَّق وتقول: لا تكتب في شيء ليس في بلادنا^١.

ويذكر الثَّعالبي أن:

«من خصائص سَمَرْقَنْد الكواغيد التي عَطَلَّت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأتم وأرق وأوثق ولا تكون إلا بها والصين».

ذكر صاحب كتاب «المسالك والممالك» أنه وَقَّع من الصين إلى سَمَرْقَنْد في سَنِي سباهم زياد بن صالح من أَهْلِ الكواغيد بها، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سَمَرْقَنْد فَعَمَّ خيرها والارتفاق بها في الأفاق^٢.

ولكن إذا كانت قراطيس مصر قد انقطعت عن مشرق العالم الإسلامي بسبب ظهور الكاغد (الورق) فإنها ظَلَّت تُصَدَّرُها إلى المغرب الإسلامي فيورد الثَّعالبي نقلاً عن الجاحظ قوله:

«وقراطيس مصر للمغرب ككواغيد سَمَرْقَنْد للمشرق»^٣.

وقد قَطَعَ أبو سَعْد السَّمْعاني بكون الكاغد لا يُعْمَل في المشرق إلا في هذه المدينة. قال في مادة «الكاغدي»:

«هذه النسبة إلى عمل الكاغد الذي يُكْتَب عليه وَيَبَعه، ولا يُعْمَل في المشرق إلا بِسَمَرْقَنْد»^٤.

وكان الوزير المصري أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن

^١ الجهشيارى: كتاب الوزراء والكتاب ١٣٨.

^٢ الثَّعالبي: لطائف المعارف، بريل ١٨٦٧، ١٣٦، وقارن مع الجاحظ: البصر بالبحار، ٣٦، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد (نشرة ومنتقد - جوتجن ١٨٨٨، ١٣٦٠) التبريزي: نهاية الأرب ١: ٣٥٤.

^٣ نفسه ٩٧، وقارن: السيرطي: حسن للحاضرة ٢:

^٤ السمعاني: الأسباب: ورقة ١٧٢ و١، وانظر كوركييس عواد: المرجع السابق، ٤١٩ - ٤٢٠.

حزبابة المتوفى سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م يستورد الورق من سمرقند لانتخاذه فيما يستسخه له الوراقون لخزائنه قال :

«قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت أبا إسحاق الحبال يقول : كان يستعمل للوزير أبي الفضل ، الكاغد بسمرقند ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة . وكان في خزائنه عدة من الوراقين ، فاستعفى بعضهم ، فأمر بأن يحاسب ويصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء . قال : وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال يقول : خرج أبو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ ، لم يبق منهم غيري . وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب وكتبها في كاغد عتيق . فسألت الحبال عن الكاغد ، فقال : هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند ، وقعت إلى من كتبه قطعة ، فكتبت إذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعها ، إلى أن اجتمع هذا . فكتبت فيه هذه الفوائد»^١ .

وهذا يدل على أن البردي قد قلَّ استخدامه في مصر نظراً لارتفاع ثمنه عن الكاغد وقلة إنتاجه .

وتحتفظ دار الكتب المصرية بأقدم كتاب وصل إلينا على الكاغد وهو «الرسالة» في أصول الفقه للإمام الشافعي والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثالث الهجري وهو محفوظ بالدار تحت رقم ٤١ أصول فقه م .

أنواع الورق (الكاغد)

ذكر ابن النديم أن المادة التي كان يُعمل منها الورق المعروف بـ «الورق الخراساني» هي «الكثان» وأن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . وعَدَّ بعد ذلك ستة أنواع منه هي : «السكيمانى والطلحي والتوحي والفرعوني والجعفري والطاهري»^٢ .

ولا شك أن هذه هي أنواع الورق التي كانت شائعة الاستعمال في البلدان الإسلامية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وهي الفترة التي كتب فيها ابن النديم كتابه .

^١ باقوت : معجم الأديب، ٧ : ١٧٦ - ١٧٧ .

^٢ ابن النديم : الفهرست ٢٢ .

أما الورق السُّلَيْماني فمُنسوب إلى سُلَيْمان بن راشد والي خُرَاسان في أيام هارون الرشيد.

والورق الطُّلُحي يُنسب إلى طَلْحَة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطَّاهرية في خُرَاسان (٢٠٧ - ٢١٣ هـ / ٨٢٢ - ٨٢٨ م).

والورق التُّوحي كان منسوباً إلى أحد أمراء الدولة السَّامانية التي حكمت تُرْكُستَان وفارس، «نوح الأول السَّاماني» (٣٣١ - ٣٤٣ هـ / ٩٤٢ - ٩٥٤ م) أو «نوح الثاني السَّاماني» (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧ م).

أما الورق الفرعوني فمضروبٌ آخر نافع ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عُثِرَ عليها مَدُونَةٌ في هذا النوع من الورق يرتقي تاريخها إلى نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وظلَّ هذا النوع يستخدم بعد ذلك. فقد جاء في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا عند ابن أبي أصيبعة قول تلميذ له:

«... وأمرني الشيخ بإحضار البياض [يعني الورق] وقطع أجزاء منه،

فشدت خمسة أجزاء، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني»^١.

وُنسب الورق الجُعْفَري إلى جعفر بن يحيى بن خالد البُرُمُكي الذي قُتل عام ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م في نكبة البرامكة.

والورق الطاهري يُنسب إلى طاهر الثاني أحد أمراء الدولة الطاهرية في خُرَاسان (٢٣٠ - ٢٤٨ هـ / ٨٤٤ - ٨٦٢ م)^٢.

وأشار ياقوت الحموي إلى «الورق الجَيْهاني»^٣، الذي يُنسب إلى مدينة جَيْهَان إحدى مدن خُرَاسان، و«الورق المأموني»^٤ المنسوب إلى الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م).

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢: ٨.

^٢ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢١ - ٤٢٢.

^٣ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢: ٩٥.

^٤ ياقوت الحموي: معجم الأدياء ٦: ٢٨٥.

وذكر السمعاني ضرباً آخر من الورق سماه «الكاغد المتصورى» وهو مشهور بسمرقند، وينسب إلى أبي الفضل منصور بن نصر بن عبدالرحيم الكاغدي المتوفى بسمرقند سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م^١.

وكانت خزائن الكتب لا تخلو من أنواع الكواغيد المختلفة فقد كان علي بن هلال البواب الخطاط المشهور يتصرف في خزائن كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز وأثناء بحثه فيها وجد مصحفاً من ثلاثين جزءاً بخط ابن مقله ينقص جزءاً فحمله إلى بهاء الدولة الذي طلب منه أن يتممه له فقال له:

«السبح والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه فانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظريف عجيب فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء وذهبت وعثقت ذهبي، وقلعت جلدًا من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعثقته، ونسى بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقله فقال لي: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعطيني: فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي يخطئ ثم قال لي: أيما هو الجزء الذي يخطئ؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقله ونكتتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركة في ريمة عند رأسه ولن يعده إلى الخزانة، وأقتت مطالباً بالخلعة والدينانير وهو يخطئ ويعدني، فلما كان يوماً قلت يا مولانا في الخزانة بيضاء صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدينانير. قال مرّ وعده. فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه ستين»^٢.

^١ السمعاني: الأسباب ورقة ٤٧٢ و٤ كوركيس عواد: المرجع السابق ١٢٣.

^٢ ياقوت الحموي: معجم الأسماء ١٥ : ١٢٣ - ١٢٤.

وحدّد القلقشندي جودة الورق بقوله:

«وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرقاً صقيلاً متناسب الأطراف صبوراً على مرور الزمان.

وأعلا أجناس الورق فيما رأيناه «البغدادي»، وهو ورق تخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاءه وقطعته وأمر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة. . . .

ودونه في الرتبة «الشامي» وهو على نوعين: نوع يعرف بـ«الحَمَوي» وهو دون القَطْع البغدادي، ونوع دونه في القدر هو المعروف بـ«الشامي» (٤) وقطعه دون القَطْع الحموي.

ودونهما في الرتبة «الورق المصري» وهو أيضاً على قطعين: القطع المنصوري وقطع العادة، والمنصوري أكبر قطعاً وقلماً يُصنَّق وجهه جميعاً، وأما العادة فإن فيه ما يُصنَّق وجهه ويسمى في عُرف الورّاقين «المُصلَّوح»^١.

ولكن صناعة الورق لم تلبث أن انتشرت في سائر الأمصار الإسلامية ولم تعد حكراً على خراسان وسمرقند خاصة بعد أن نشأت مهنة الورّاقين، يقول ابن خلدون:

«كثرت التأليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت، وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران.

وكانت السجلات أولاً لا تنسخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرقعة وقلة التأليف في صدر الملة كما نذكره، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع

^١ القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٧.

ذلك، فاقترضوا على الكتاب في الرقّ تشريعاً للمكتوبات وميلاً بها إلى الصحة والإتقان.

ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيب السلطان وصكوكه وضاق الرقّ على ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، وأتخذته الناس من بعده صُحُفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجابة في صناعته ما شاءت^١.

وهكذا انتقلت صناعة الورق (الكاغد) إلى العراق بفضل الفضل بن يحيى البرمكي الذي أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد (توفي الفضل سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م) ولم تمض سوى بضع سنين حتى كان أخوه جعفر بن يحيى البرمكي، الذي أعقبه في دسّت الوزارة، قد أحلّ الورق محل الرقّ في دواوين الدولة^٢.

وكانت بداية صناعة الورق وانتشاره في العراق لأسباب حدّدها الفلقشندي عندما قال:

«أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة - وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس - أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها ثقيل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى سُحِيَ منه فسَدَ وإن كُشِطَ ظهر كُشَطُهُ. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتماطعا من قُربٍ وبَعُدٍ واستمر الناس على ذلك إلى الآن»^٣.

واستمرت صناعة الورق ببغداد في الازدهار وكثرت بها معامل صناعته وحواليت بيعه يقول الصولي:

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٧٣ - ٩٧٤.
^٢ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٦.
^٣ الفلقشندي: صبح الأعيان ٢: ٤٨٦.

«وَقَعَ بِالكَرْبَعِ (في ذي القعدة سنة ٣٣٢) حريقٌ عظيمٌ، من حد طاق التلك السَّمَاكِينِ، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال»^١.

كما كانت «دار القَزَّ» وهي تقع في الجانب الغربي من بغداد، مكانًا لصناعة الكاغد في أوائل القرن السابع الهجري، يقول ياقوت:

«وفيها يُعْمَلُ اليوم الكاغد»^٢.

وأشار ياقوت إلى مكان آخر كان يُصنَع فيه الورق في بغداد في زمانه عند حديثه على «جهاز سوج» يقول إنها:

«من محال بغداد، في قبة الحريرة، غرب ما حولها من المحال، وبقيت هي والنصرية والعنابيون ودار القَزَّ متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد. يُعْمَلُ في هذه المحال في أيامنا هذه الكاغد»^٣.

وفي الشام كانت مدينة طرابلس من أهم مراكز صناعة الورق. وعندما زار ناصر خسرو هذه المدينة في سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م أطرى ورقها بقوله إن أهل هذه المدينة

«يصنعون بها الورق الجميل مثل وَرَقِ سَمَرْقَنْدِ بل أحسن منه»^٤.

وكانت طَبْرِيَّةَ تسميَنَ كذلك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بصناعة الكاغد، وأيضًا كان لدمشق سمعة كبيرة في هذه الصناعة^٥.

ووصف الأستاذ محمد كُرْدُ علي وَرَقِ الشَّامِ وصناعته بقوله:

«وكان الورق يصنع أشكالًا في مكابس صغيرة، ويُعْمَلُ من الخروق البالية أو الحرير، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في

^١ الصولي: أخبار الراضي بالله والمضي بالله من كتاب الأوزاق ٢٦٠.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٢٢.

^٣ نقشه ٢: ١٦٧ وكوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٧-٤٢٨.

^٤ ناصر خسرو: سفرنامه ٤٨، كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٩.

^٥ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٩.

سنة ٧٠٦ م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو . ولا يزال في خزائن دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦ هـ على ورق يُظن أنه من الورق الشامي، وهو أقدم مخطوط عرف بالشام ولا يزال على متانته^١.

وانتشر في مصر كذلك صناعة الورق (الكاغد) حيث انتشر بفسطاط مصر «مطابخ الورق» في القرنين الخامس والسادس للهجرة وخاصة الورق المعروف بـ«الورق الطَّلحي» و«الورق المنصوري»^٢. ويذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر في أول عهد الدولة المالكية أن :

«مطابخ السُّكَّر والمطابخ التي يُصنَع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة»^٣.

وأشار المقرئ في عند ذكره لخطة بني ربيعة بن عمرو بن الحارث إلى أن :

«هذا الموضع اليوم ورآقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر»^٤.

كذلك فقد تحوَّلت دار القنطرة التي أقامها الوزير الأفضل شاهنشاه الفاطمي في الفسطاط إلى ورآقة، يقول المقرئ :

«ثم استجِدَّ للقنطرة دارًا عملت بعد ذلك ورآقة وهي الآن دار الأمير عز الدين الأقرم بمصر قبال دار الوكالة»^٥.

وفي فترة متأخرة وُجِدَ بالقاهرة خان للوراقة يقول المقرئ أيضًا في حديثه عن حُطَّ سويقة أمير الجيوش :

«وهذا الحُطَّ فيما بين حارة برّجوان وحُطَّ خان الوراقة»^٦.

^١ محمد كرد علي : حُطَّ الشام : ٤ : ٢٤٣ كوركيس عواد : المرجع السابق : ٤٣٠.

^٢ Goitein, S. D., A Med. Soc. 1, 81.

^٣ ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حُلَّ حضرة القاهرة : ٢٩ : القرئى : سيرة الواسط والاعتبار ٢٧ والحُطَّ : ١ : ٣٦٧.

^٤ القرئى : الحُطَّ : ١ : ٢٧٧ من ٢٣ : ١ : ٥ : ٥.

^٥ نقسه : ١ : ٤٢٦ من ٢٤.

^٦ نقسه : ٢ : ٣٦ من ٢.

أما الأندلس وشمال أفريقيا فقد انتقلت إليها صناعة الورق في مرحلة متأخرة نسبياً واشتهرت به مدينة شاطبة الأندلسية، يقول الشريف الإدريسي: «ويُحْمَلُ بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويمم المشارق والمغرب»^١.

ويؤكد ذلك ياقوت الحموي حيث يقول:

«ويُعمل الكاغد الجيد فيها، ويحْمَل منها إلى سائر بلاد الأندلس»^٢.

وفي إفريقية ظلَّ الرِّق لفترة طويلة هو الوسيلة الوحيدة لتقييد الكتابة، يقول الرحالة المقدسي البشاري عن أهل إفريقية نحو عام ٣٧٥هـ / ٩٨٥م:

«وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان»^٣.

ويضيف العلامة حسن حسني عبد الوهاب في مقاله الهام عن البردي والرِّق والكاغد في إفريقية التونسية:

«بلغ أهل إفريقية في صناعة تجهيز الرِّق وصنّعه وتمحيره وصنّعه أحياناً بألوان مختلفة ما بين أخضر ولازوردي وأحمر قان، الغاية القصوى في الانتقان والنعمه حتى صار الرِّق من السُّع التي يتجهز فيها ويرتق بها إلى جميع أفاق المغرب والأندلس والعدوة الأفريقية».

ودامت صناعة الرِّق في القيروان - وإفريقية عموماً في نحو وازدهار دهرًا طويلاً، وقد كثبت عليه المصاحف والصكوك والمقود إلى آخر القرن الثامن للهجرة على حين نجد أن الرِّق التقطع استعماله في المشرق

^١ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ٥٥٦.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٣: ٢٣٥.

^٣ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٢٢٧.

على أن وجود الرق واستعماله في كتابات معينة لم يمنع الأفاقة من اتخاذ الكاغد والكتابة عليه فقد كانا مستعملين معاً في وقت واحد.

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن سكان المغرب وحدهم هم الذين حافظوا إلى الآن على تسمية ورق الكتابة (بالكاغد أو الكاغض) وهو اسمه الأصلي في لغة أهل الصين، أما لفظ الورق المستعمل في الشرق العربي فقد أطلقت عليه مجازاً^١.

ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندي في مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي ذم الورق الذي يعمله أهل المغرب، بعد أن وصف ورق العراق والشام ومصر قال:

«ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرجة فهو ردي جداً سريع البلي قليل المتك؛ ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على المادة الأولى طلباً لطول البقاء»^٢.

ورغم هذه الإشارات الهامة إلى الكاغد وأنواعه فإننا لا نكاد نعرف عن صناعته غير وصفات محدودة ومجزأة في بياناتها^٣ لا تعيننا على فهم التركيب الصناعي لأصناف الكاغد العديدة التي كتبت عليها المخطوطات القديمة مع ما فيها من تنوع أساليب الصناعة والمكونات وطرق السقي والصفل والتلوين وقلة الأحماض؛ ولا يمكننا من خلالها أن نحدد النماذج الورقية لتلك المسميات القديمة والأحدث عهداً منذ ابن النديم إلى القلقشندي^٤.

١ حسن حسني عبدالوهاب: «البردي والرق والكاغد في إفريقيا التونسية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦) ٤١ - ٤٥.
٢ قلقشندي: صبح الأمشي ٢: ٤٨٨ وانظر محمد الجزني: «تقنيات إعداد المخطوط العربي»، في كتاب المخطوط العربي وعلم المخطوطات (إعداد أحمد شوقي بدين) ٢٠ - ٢١.
٣ المعز بن باديس (المنسوب ل): عمدة الكتاب ١٤٧ - ١٤٩.
٤ إبراهيم شيوخ: المرجع السابق ١٦.

الحبر والمسداد

والركن الثاني في صناعة الكتاب العربي المخطوط هو الحبر والمداد. يقول القلقشندي:

«الحبر أصله اللون، يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء»

. والحبر: الأثر يبقى في الجلد . . . قال الحنبل: وأنا أحسب أنه سُمِّيَ بذلك لأن الكتاب يُحبر به أي يُحسَّن، أخذًا من قولهم: حَبَّرْتُ الشيء تحبيرًا إذا حَسَّنْتَهُ^١.

«أما المداد فسمي بذلك لأنه يمدُّ القلم أي يُعيته، وكل شيء مددت به شيئًا فهو مداد . . . [و] سُمِّيَ الزيتُ مدادًا لأن السراج يُمدُّ به، فكل شيء أمددت به الليقة^٢ مما يكتب به فهو مداد، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمَاتِ رَبِّي﴾: هو من المداد لا من الإمداد»^٣.

ويعد كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري السابق الإشارة إليه^٤، من أوائل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وقد وصل إلينا في نسخة بخط مؤلفها Autographe وقسمته إلى سبع وعشرين مقالة لم يُتم منها سوى المقالات الست الأولى وعنوان المقالة السابعة وقد تناول فيها أهم الطرائق المستخدمة في تركيب الحبر والمداد.

^١ القلقشندي: صحيح الأعمش ٢: ٤٧٢.

^٢ الليقة: ويسمونها العرب الكُرْسُك تسمية لها باسم العُطُن الذي تتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون أيضًا من الصوف ومن الحرير الحشن لأن انتشارها في الحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة. ويتعين على الكاتب تجديدنها في كل شهر. (نفسه ٢: ٤٦٨ - ٤٧٠).

^٣ نفسه ٢: ٤٧١.

^٤ انظر ما تقدم من ١٤.

ولاحظ الأستاذ إبراهيم شيوخ الذي اهتم بدراسة هذا الكتاب أنه برغم أن المؤلف استطاع أن يدوّن التجارب التقنية وأن يُقدّم عمله بمقدمة موضحة إلا أن معرفته بالعربية والتحكم في استعمالها كانت محدودة لما يتخلّل بعض نصوصه من غموض في المدلولات وتكثف في العبارة وخطأ في الرّسم وارتباك في العائد والموصول وتخلّط وتخلّف في وضع الحركات على الأحرف.

واعترف المؤلف في مقدمته أنه أقبل في هذا التدوين على إثبات المنقول عن العلماء المتقدمين، ولم يسعفه الوقت لتمحيص كل ذلك بإعادة التجربة الشاملة إلا البعض الذي وصل إلى معرفة حقيقته. وينهي ابن ميمون مدخل كتابه ببرنامج مُفصّل لسبع وعشرين مقالة قسّم كلا منها إلى أبواب، وهو أوسع وأشمل ما فُصّل عن فنون الحبر. غير أنه للأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الأبواب غير المقالات الست الأولى متممة وذكر عناوين أبواب المقالة السابعة فقط، وليس الكتاب مبتوراً منقطعاً كما يتبادر إلى الذهن وإنما توقّف المؤلف عامداً كما يقول إبراهيم شيوخ «بطريقة لم أصادف لها شبيهاً ذاكرة بالكتابة والتصريح أنه يمر - كما نصطلح بلغة اليوم - بأزمة عاطفية، عاقته عن مواصلة بسط مقالات الكتاب»^١.

ومن أهم ما يذكره ابن ميمون المراكشي في هذا الكتاب، وصفات لتكوين المداد منسوبة لكبار العلماء والأدباء الذين تركوا في الثقافة الإسلامية أثرًا كبيرًا مثل: عيسى بن عمر النحوي المتوفى سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م، ومسلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م، ومحمد ابن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م، وبختيشوع الطيب المتوفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م، ومسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٥م، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ /

^١ إبراهيم شيوخ: المرجع السابق، ٢١.

٨٨٩م، ومحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، وأبو علي محمد بن مُقَلَّة المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م، وأبو حيان علي بن محمد التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م، وعلي بن هلال البسواب المتوفى سنة ٤٣٢هـ / ١٠٣٢م، وعلي بن هبة الله بن ماکولا المتوفى سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م وآخرون.

ولم يتردد المؤلف بعد ذكره لصفة الخبر الذي كان يستخدمه الوزير ابن مُقَلَّة عن تسجيل أنه من تركيب أهل الهند كما قيل له وهو بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وهي المرة الأولى التي نعرف فيها هذا العدد من الأحبار منسوبة لأصحابها من أهل العلم وقد ارتكزت أمدّة هؤلاء الأعلام على مفردات مشتركة بينها هي: العُصص Noix de galle والرّاج Vitriol والصمغ Gomme Arabique والماء العذب.

وكان بعضهم يستغني عن الصمغ اكتفاءً بتألق السواد وثباته غير محتاج إلى ما يشده إلى الورق أو الرق، وهذا ما كان عليه حبر مُسلم بن الوليد والجاحظ والبخاري^١.

أما كتاب «تُحَف الخواص في طُرف الخواص» للقللوسي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، فنادر في وجوده وترتيبه ووضوح محتواه. وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب، اختص الباب الأول بصناعة الأمدّة، وتناول الباب الثاني كيفية محو (قلع) المداد من الدفاتر والخبر من الكتب والصباغ من الثياب، أما الباب الثالث فقد اشتمل على فوائد تتصل بخواص المفردات المكونة لأصناف من المواد والأصباغ وطرق إعدادها^٢.

^١ إبراهيم شبرج - المرجع السابق ٢١ - ٢٢.

^٢ نفسه ٢٤ - ٢٦.

صنعة المداد

نَقَلَ القلقشندي عن الوزير أبي علي بن مُقَلَّة صفة صنعة للمداد الجيد، قال:

«وأجود المداد ما أُخذَ من سخام النَّفْطِ، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاء تخله وتصفيته، ثم يُلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسك رطلٌ واحدٌ، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم ولا يزال يُسَاط على نار لينة حتى يُخن جرمته ويصير في هيئة العين، ثم يُترك في إناء ويُرفع إلى وقت الحاجة»^١.

وكانت هناك أنواع من الحبر تناسب الكتابة على الرق وأخرى تناسب الكتابة على الكاغد (الورق). وقد أورد القلقشندي كيفية صناعة كل من النوعين.

ففيما يناسب الرق:

«يؤخذ من العفص الشامي رطلٌ واحدٌ فيُجرش، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى يتفجج، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بخاصة ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة»^٢.

صفة حبر سقري: يعمل على البارد من غير نار، يؤخذ العفص فيُجرش جرشاً جيداً ويسحق لكل أوقية عَفْصُ درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربي، ويلقى عليه ويرفع إلى وقت الحاجة. فإذا احتاج إليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعماله»^٣.

^١ القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٧٥.

^٢ نفسه ٢: ٤٧٦ - ٤٧٧.

ففيما يناسب الكاغد :

«يؤخذ من المَقْصُ الشامي قدر رطل يَدَقُّ جريشا وَيُنْقَعُ في ستة أرتال ماء مع قليل من الأس : (وهو المرسين) أسبوعاً، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانية، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج الفيرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة . ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمنع بالصبر وقروح الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر [ثلاث أوقية] بعد أن تسحق الدخان بخلوة تَكُكُّ بالسكر النبات والزعفران الشعر والزجاج إلى أن يجيد سحقه، ولا تصحته في صلاة ولا هاون يَسُدُّ عليك»^١.

صناعة التجليد (التسفير)

لعلَّ من الغريب أن كل المؤلفات التي وصَّلت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس^٢، فرغم أن حرقة «الوراقة» وهي الحرقة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربي قد لعبت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسي، فإنه لم يصل إلينا أدبٌ مشرقيٌ يُعرِّفُ بكيفية صناعة الكتاب المخطوط، وربما تكشف لنا الأيام عن وجود مثل هذا الأدب في الخزائن غير المفهرسة.

ومع ذلك فإن ما وصَّلت إلينا من هذه المؤلفات على نذارتها مفيدٌ ومتكاملٌ ويتعلَّقُ أغلبه بصناعة التجليد (التسفير) التي تُعدُّ الصناعة المتممة للجهد والمحافظة على حصيلة الفكر والمحافظة لأوراق الكتاب من التلف، والتي تهتم

^١ الفلستدي: صبح ٢ : ٤٧٦.

^٢ انظر فيما سبق من ١٣ - ١٥.

كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجى بحيث يتلاءم مع قيمته ومحتوياته ، وتظهر آثار هذه الصناعة الفنية على الخصوص فيما وصل إلينا من مصاحف كريمة وربعات شريفة .

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد المفردة مثل : الجلد والخير والورق الملبّد والخشب والخيط والغراء ، بالإضافة إلى حرقية المصانع فى الحَبْك والقَصّ والرّشْم والرّشْم وغير ذلك .

وإذا كان الفصل الثانى عشر من كتاب «عمدة الكتّاب» الذى ألّف للامير الصنّهاجى تميم بن المعز بن باديس ، يُعدُّ أقدم نصّ متكامل ويبيّن عرض آلات المُجَلِّد ومناقشه ويشرح طريقة الحَبْك وكيفية اختيار الجلود الملائمة وإعدادها وتبشّرها وتبشّرها وطريقة تثبيتها^١ فإن كتاب «التيسير فى صناعة التفسير» للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م هو أشمل كتاب تناول موضوع تجليد الكتب ، وكان مؤلفه ، كما يقول ابن الزبير : «يحترف تفسير الكتب» فلا عجب أن يُؤلّف كتاباً يشرح فيه خطوات عملية تجليد الكتب وصناعتها . ويقع الكتاب فى عشرين باباً ينقسم بعضها إلى فصول فيما يلى بياناتها :

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| ١ - باب الأداة . | ٢ - باب الأغرّة . |
| ٣ - باب التخزيم وحكمه . | ٤ - باب التفقية . |
| ٥ - باب التسوية . | ٦ - باب الحيك وحكمه . |

^١ انظر ما تقدم من ١٣ وكذلك عبدالستار الحلوجي : الخطوط العربية ٢٣١ - ٢٤٧ عبدالمطيف إبراهيم : «التجليد فى مصر الإسلامية - جلد مصحف بدار الكتب المصرية» فى كتاب «دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية» القاهرة ١٩٦٢ - سهام المهدي : تجليد الكتب فى مصر فى العصر المملوكى - رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤ اعتماد بروسف القصيري : فن التجليد عند المسلمين - بغداد ١٩٧٩ Gulnar Bosch, John Carswell and Guy Petherbridge, *Islamic Binding and Bookmaking*, Chicago 1981 ; Gacek, Adam, « Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Isbīlī in his "Kitāb al-taysīr fī šinā'at al-tasfīr" », *MME V* (1990-1991), pp. 106 - 113.

- ٧ - باب التبطين .
 ٩ - باب تركيب الجلد .
 ١١ - باب طيغ القم .
 ١٣ - باب نقش الضرس .
 ١٥ - باب العمل في الأزره والغراء .
 ١٧ - باب العمل في الأقربة البنية .
 ١٩ - باب في النكت .
 ٨ - باب البشتر .
 ١٠ - باب العمل في الأسفار البوالي .
 ١٢ - باب النقش .
 ١٤ - باب الأمثلة .
 ١٦ - باب العمل في اقربة المصاحف .
 ١٨ - باب العمل في الجوامع .
 ٢٠ - باب في العيوب .

التجليد المبكر

في بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تُجمَع بين لوحين من الخشب بينهما كغَبٍّ، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كُسُوة من الرق أو الجلد أو القماش أو صفائح المعدن، ثم أضيف إلى ذلك كله قفل أو أبزيم واحد أو أكثر ليتمكن قفل المجلد قفلاً محكمًا، لذلك كانت هذه الكتب ثقيلة الوزن جدًا^١.

ويرجع صناعة أقدم جلود الكتب المعروفة في العصور الإسلامية إلى مصر ويمكن تأريخها فيما بين القرنين الثالث والخامس للهجرة، وتُذكرنا زخارف هذه الجلود بالزخارف الهندسية في جلود بعض الكتب القبطية التي ترجع إلى هذه الفترة.

وقد تَعَلَّم المسلمون أساليب التجليد عن القبط في أعقاب فتح مصر، فقد حَذَق الأقباط هذه الصناعة في العصر المسيحي ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي. وكانت أساليب التجليد في القرون الإسلامية الأولى في مصر تُنَسِّج على منوال ما عرفه القبط من حيث الصناعة والشكل والزخرفة لحد كبير^٢.

^١ عبداللطيف إبراهيم: التجليد في مصر الإسلامية ٨.

^٢ زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠، عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٩.

وللأسف الشديد لم تصل إلينا أي جلود ترجع إلى هذه الفترة المبكرة يمكننا من متابعة تطور هذه الصناعة خلال هذه الفترة.

وقد ذكر لنا ابن النديم في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، أسماء عدد من المجلدين منهم ابن أبي الخريش الذي كان يُجلِّد في خزانة الخليفة المأمون العباسي، وأبو عيسى بن شيران ودميان الأعسر بن الحجاج إبراهيم والحسين بن الصقار^١.

وذكر الرحالة الفلسطيني المقدسي البشاري (ألف كتابه سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٩م) أنه تعلَّم أثناء إقامته في مصر صناعة التجليد، وكان من بين ألقابه لقب وراق ومُجلِّد حيث كان يُجلِّد المصاحف بالأجر^٢.

وكانت الجلود الأولى في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، تُصنَّع من خشب السَّدر المغطى بالجلد والمزين بالرسوم الهندسية العادية ويدون تذهيب غالبًا. أما المصاحف الكبيرة الحجم والخاصة بالمساجد الجامعة فكانت تُجلِّد بالخشب المزخرف عن طريق تطعيمه بالعاج والعظم والسَّدَف أو تشييته على طبقة من الغراء الشديد، ثم استخدم الورق المضغوط أو المُقَوَّى عوضًا عن الخشب في تقوية غلاف الكتاب. وبعد انتشار صناعة الورق أقبل الناس على تجليد المصاحف والكتب بالورق والجلد مع استخدام الزُّخارف المُكوَّنة من الرسوم والخطوط المتشابكة في تزيين هذه الجلود^٣، كما استخدم الديباج والحرير في تبطين جلود هذه الكتب، فيذكر الخطيب البغدادي أن كتب أصحاب الحلاج التي جمعها حامد بن العباس وزير المقتدر بالله العباسي في محنة الحلاج كانت مَبَطَّنَةً بالديباج والحرير، مجلدة بالأديم الجيِّد^٤.

^١ ابن النديم: الفهرست، ١٦.

^٢ المقدسي: أحسن التقاسيم، ٣٣، ٣٤، ١٠٠.

^٣ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق، ١١ - ١٢.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨: ١٣٥.

وللاسف فإننا لا نعرف الكثير عن جلود الكتب التي ترجع إلى العصر الإسلامي المبكر، فما وصل إلينا منها شيء قليل، وإن كان أكثرها قد صنع في مصر، وتألّف زخارفها من أشكال هندسية وخطوط مجدولة أو تُوَلِّف أشكالاً بيضاوية وكلها مقتبسة من زخارف جلود الكتب القبطية. ويرجع فقد كل أثر لنماذج هذا التجليد المبكر بسبب تدمير المكتبات الإسلامية الكبرى، فقد تفرقت مكتبة الفاطميين وأحرق قسم كبير منها، أولاً إبان الشدة العظمى حيث أخذ العبيد جلود هذه الكتب «يرسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم»، ثم بعد استيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١٠٧٢م، كما دُمّرت خزانة الكتب في بغداد بعد سقوطها واجتياح المغول لها سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^١.

تطوّر صناعة التجليد

ومع ذلك فقد تقدّم المسلمون في بعض الأقطار في فن صناعة وتجليد الكتاب وعرفوا طريقة الدقّ أو الضنط، كما استخدموا التخرم والدهان والتبيس بالقماش، وكانوا أحياناً يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه ثم يلصقونه على الأرضية الملونة. وهي عملية في غاية المهارة والدقة - عادة ما كانت تُسبَّغ في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل ثم يُدبِّبون الخطوط والرسوم بعد ذلك. وفي بعض الأحيان استخدم المجلدون طريقة قوامها طيقتان من الجلد تُلصق إحداهما فوق الأخرى^٢.

ولم يقف اهتمام القدماء عند تجليد الكتب فقط، بل اهتموا كذلك بصيانتها وترميمها خاصة في الكتب المتداولة في المكتبات العامة، فقد أوقف الخليفة الحاكم بأمر الله على دار الحكمة التي أنشأها في القاهرة سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م اثني عشر ديناراً «لن يرّم ما ينقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها»^٣.

^١ القريري: المخطوط ١: ٤٠٩، ٤٠٩، عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٢ - ١٣.
^٢ زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠ - ٢٣١، عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٣.
^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٨، ١٤٠، القريري: المخطوط ١: ٤٥٩، ١٢.

ولم تقتصر صناعة التجليد على مصر وحدها، بل إن بلاد المغرب والأندلس تفرّقت في هذا الفن منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي^١. لكن هذه الصناعة بلغت أوج ازدهارها في إيران، وخاصة في مدينة هرة إبان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إذ خرج الفنانون والمجلدون على الأساليب الهندسية القديمة وأبدعوا في تأليف الزخارف من الرسوم النباتية والمناظر الطبيعية البرية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية والخرافية^٢.

وقد استطاعوا الوصول إلى اتقان الزخارف المذكورة بعد أن تخلّوا عن طريقة الضغط بقطعة مديبة من العظم أو الخشب، أو الدق بالآلة المعدنية البسيطة التي تُنتج الرسوم الهندسية ورسوم الفروع النباتية، واستخدموا القوالب النباتية Estampes التي كانوا يضغطون فيها الجلد بقوة فتظهر فيه التناؤات الشديدة البروز على شكل العناصر الزخرفية والحيوانية بل والصور الأدمية. ولأجل ذلك استعان للمجلدون بالمصورين في تصميم بعض رسوم الجلود وعلى الأخص رسم الأشكال الأدمية والزخارف النباتية التي يبدو فيها تأثير أساليب الشرق الأقصى الفنية^٣.

ازدهار التجليد في العصر المملوكي

أما صناعة تجليد المصاحف والكتب في مصر والشام في عصر دولة المماليك فقد بلغت أوج عظمتها مع نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ولكن أساس الزخرفة فيها كانت العناصر الهندسية والنباتية ليس غير. وانتجت لنا هذه الفترة أفخر المخطوطات وأثمن المصاحف ذات الزخارف المذهبة والجلود

^١ القرني : فتح العقب ١ : ٦١١ - ٦١٤.

^٢ زكي محمد حسن : المرجع السابق ٢٢١.

^٣ نفسه ٢٢١.

الفاخرة، حتى يقال أن تيمورلنك استقدم في نهاية القرن الثامن الهجري إلى بلاطه مهرة المجلدين في مصر والشام^١.

ويعتبر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي العصر الذهبي لصناعة تجليد الكتب في مصر والشام من حيث المهارة الفنية، وأصبح لمدينة القاهرة في عصر المماليك مركز الصدارة في إنتاج الكتب والمصاحف وزخرفتها وتجليدها، وخاصة بعد أن اجتذبت الكثير من الفنانين والمجلدين من أنحاء العالم الإسلامي وخاصة من إيران^٢.

ولم تقف عناية المجلدين واهتمامهم عند الجزء الخارجي للجلود بل امتدت إلى باطن الجلدة نفسها وإلى الكعب واللسان كذلك حيث زينت هي الأخرى أبداع تزيين. وكانت معظم جلود الكتب والمصاحف في ذلك العصر تتخذ من جلود الخراف والماعز أو من جلود المعجول الصغيرة^٣. وقد أثرت فنون العمارة المملوكية وزخارفها كثيراً على فن تجليد الكتب والمصاحف، لدرجة أننا نجد الأشكال الهندسية والنباتية الموجودة على الحجر والجص والخشب، مثل الأطباق النجمية والصرور والجامات، مستعملة في جلود بعض المخطوطات والمصاحف التي ترجع إلى نفس العصر^٤.

وقد وصلت إلينا أمثلة كثيرة لفن صناعة التجليد في العصر المملوكي حكّلت بها دور الكتب في مصر وأوروبا والعالم الإسلامي، يمكن من خلالها متابعة تطوره وازدهاره ودراسة أساليب الصناعة والزخارف فيه. وكان لكثرة المنشآت الدينية والتعليمية في هذا العصر مثل المدارس والخوانق والمساجد الجامعة دور في ازدهار هذه الصناعة، حيث أهدى سلاطين وأمراء المماليك الكثير من الكتب

^١ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ١٥.

^٢ حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ١٦٥: عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ١٦.

^٣ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ١٧.

^٤ زكي محمد حسن: المرجع السابق: ٢٢٩، عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ١٩.

إلى هذه المدارس وأوقفوها عليها، كما أمروا بكتابة العديد من المصاحف ذات الحجم الكبير لحزائنتهم وأوقفوها على هذه المدارس، وكلها تُمَثَّلُ غودجًا لما وَصَلَ إليه فن الكتابة والتذهيب والتجليد في هذا العصر من تطور وازدهار لم يشهدها الكتاب العربي قبل ذلك.

وأغلب الجلود التي وَصَلَتْ إلينا خاصة بالمصاحف والرِّبَعات والتي بدأت منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تُتَّخَذُ شكلًا موحَّدًا هو الشكل الأفقي الذي يزيد ارتفاعه عن عرضه وهو المعروف بالمصحف العمودي يتصل بها لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته إلى ثلث حجم الكتاب بواسطة ما يُطلَقُ عليه «قُطْرَةُ اللِّسَانِ» وهو تطور عن شكل اللسان في الكتب المبكرة.

ويتكون الغلاف من الجلدة الخارجية والبطانة الداخلية وبينهما دفوف من الورق المضغوط، أما الكتاب فيتكوّن من ملازم (كراسات) مخزومة معًا بطريقة تجعل الخيوط تبدو كالسلسلة أو الجديلة في خلفية الملازم (الكراسات) مع تقفية كعب الكتاب، أي تدويره، حتى لا يتصرم إلى الأمام فيما بعد.

وتتصل الملازم (الكراسات) بالغلاف الجلد بواسطة الدفوف التي يشيت عليها كعب من القماش ويشيكان معًا بالكراسات من الخلف ويلتصقان بالغلاف الخارجي والبطانة الداخلية، وتترك صفحات بيضاء في أول الكتاب ونهايته لتشبيته أطراف البطانة بها من الجهتين، ثم يشبك الجميع في كعب قماش في رأس وذيل الكتاب منسوجًا في طرفيه بخيوط ملونة.

أما الغلاف الخارجي فكان من الجلد البني بدرجاته من قطعة واحدة مع الكعب واللسان، أما البطانة فمن الجلد الميشور أو الخفيف وقد يكون من قماش الحرير الأزرق أو الأخضر بدرجاته، واستخدم الغراء في عملية لصق الجلود في المصاحف الكبيرة بينما استخدم النشا المُتَّخَذُ من البر والكثيراء في لصق جلود الكتب الصغيرة^١.

^١ سهام محمد المهدي: «أخصائص تجليد الخطوط في العصر المملوكي» في كتاب دراسة الخطوط الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٧، ص ٧٩.

أما الزخارف الموجودة على جلدة الكتاب وبطائه فقد نُقِدت بطرق متطورة مثل القَطْع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة، واستخدم التذهيب في معظم الزخارف وخاصة المُفَرَّغَة منها فضلاً عن استخدامه مضغوطاً على بعض الأغلفة.

واستُخدمت طرقٌ كثيرة في التذهيب منها الضَّغَط بالذهب المصهور أو الضَّغَط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضَّغَط عليها. وفي أواخر القرن التاسع الهجري استخدم التذهيب بالفرشاة^١.

أما بطانة المخطوط فكان يتم زخرفتها قبل قصها بقدر الكتاب، واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة ذات بروز بعد تسخينها ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، يعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى متن وأركان وإطار ولسان، يحتاج كل منها إلى نوع خاص من القوالب لا تستخدم وحدات زخرفية متكررة ومتتابعة. وكانت نفس الوحدات الزخرفية تتكرر في المتن والإطار واللسان. ولكن في أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف العناصر الأخرى^٢.

وكان كثير من المجلدين والمذهبين في العصر المملوكي تُجَاراً للكتب في أسواق الوراق بالقاهرة مثل: سالم بن محمد بن محمد بن محمد القُرشي الحموي ثم القاهري الكتبي الذي «تَكَسَّب بصناعة تجليد الكتب» [سخاري: الفهرست ٣ : ٢٤٢] وعمر بن محمد إبراهيم الحلبي الكتبي الذي كان «يَتَكَسَّب بصناعة التجليد» أيضاً [نفسه ٦ : ١١٥] وأبو العباس محمد بن إبراهيم بن محمد بن خطاب الحلبي الكتبي الذي كان بارعاً في التجليد [نفسه ٦ : ٢٧٤ - ٢٧٥] وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشمسي الذي تَمَيَّز في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعَمَل المزهرات وقَصَّ الورق [نفسه ٩ : ٦] وغيرهم.

^١ سهام محمد المهدي: المرجع السابق ٨٠.

^٢ نفسه ٨٠.

ومع انتقال السلطة إلى العثمانيين في أعقاب سقوط المماليك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وما صحب ذلك من نقل الحرفيين والفنيين من مصر والشام إلى تركيا، ازدهرت هناك صناعة تجليد الكتب وأدخلت عليها فنون جديدة وخاصة فيما يخص تجليد المصاحف والمخطوطات التركية. وقد جمع جوليان رابي وزير تينندي مجموعة كبيرة من الجلود التركية صدرت عام ١٩٩٣م توضح التقنيات المختلفة بصناعة تجليد الكتب التي نشأت في البلاط العثماني^١.

التَعْقِيَة

واستكمالاً لعملية صناعة الكتاب استخدم القدماء لترتيب أوراق المخطوط وكراساته نوعاً من الترقيم اصطلح على تسميته بـ «التَعْقِيَة» تيسيراً على مطالعته من جهة وللمساعدة المختصين في صناعة المخطوط كالمرقمين والمجلدين وغيرهم في ترتيب كراسات (ملازم) للمخطوط من جهة أخرى. ويلاحظ أن هذه الخاصية لم تختص بالمخطوط العربي فقط بل عرقت في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندوأوربية.

والتَعْقِيَة تعني أن يُثَبَّتِ الناسخ في نهاية الصفحة اليمنى تحت آخر كلمة من السطر الأخير منها أول كلمة في الصفحة التالية، أو أن يكتب في نهاية كل كراسة أول كلمة في الكراسة التالية بالطريقة نفسها. وتكون عادة أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الصفحة اليمنى وقد تجيء أحياناً عمودية. وقد استُخدم نظام التَعْقِيَة كذلك في الطباعات الحجرية القديمة بحيث أننا بتتبعها نستطيع الاطمئنان إلى تسلسل الكتاب.

^١ Julian Raby, Zeren Tanindi and Tim Stanley, *Turkish Bookbinding in the 15th century* - *The Foundation of an Ottoman Court Style*, London- Azimuth Editions 1993
 كذلك Tanindi, Z., «Manuscripts production in the Ottoman Palace workshops», *MME* 5
 Duncan Halden, *Islamic Bookbind-* وعن التجليد الإسلامي صوما رابع- *ings in the Victoria and Albert Museum*, London 1983, pp. 20-66

ولا شك أن نظام التّعقيبة قديم يرجع إلى بداية القرن الثالث الهجري، فقد وُجِدَت في العديد من المخطوطات التي ترجع إلى هذه الفترة، فكتاب «تاريخ ملوك العرب» لعبدالمملك بن قريب الأصمعي الذي نسخه ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال سنة ٢٤٣ هـ يحمل التّعقيبة بين صفحاته، وكذلك نسخة «ديوان الفردق» التي كتبها أحمد بن أخي الشافعي سنة ٣٣١ هـ، ونسخة كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي معشر البلخي المؤرخ سنة ٣٢٥ هـ. يؤكد ذلك ما أورده الخطيب البغدادي في ترجمة أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب النحو والغريب واللغة المتوفى في جمادى الأول سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٨٥ م، نقلًا عن أبي عمرو بن العلاء قال:

«حدّثني أبو مسحل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب أقدم أبا عبيدة في أيام الرشيد من البصرة إلى بغداد، وأحضّر الأثرم - وكان وزيًا في ذلك الوقت - وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، قال [أبو مسحل]: فكتبت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب من تحت الباب ويُقرق علينا أوراقًا ويدفع إلينا ورقًا أبيض من عنده ويسألنا نسخه وتمجيله ويوافقنا على الوقت الذي نُردّه عليه فيه، فكاننا نفعل ذلك، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة ويسمعه، قال: وكان أبو عبيدة من أضرب الناس يكتبه ولو علم بما فعله الأثرم لتمع منه ولم يسامحه»^١.

فهذا الذي فعله الأثرم لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك نوع من الترتيب للورق هو دون شك التّعقيبة حتى يستطيع التّساخ الالتهاء به في عملية التّسخ. وظلت التعقيبة من أهم ما يميز ترتيب أوراق وكراسات المخطوط العربي حتى ظهور الطباعة بل إنها استخدمت في كثير من الطباعات الحجرية.

^١ أحمد شوقي بئين: «التعقيبة في المخطوط العربي»، في كتاب دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي ٧١-٧٩.

^٢ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢: ١٠٨، ياقوت: معجم الألباء ١٥: ٧٧-٧٨، الصفي: الرافعي بالرفيات ٢٢: ٢١٤.

الخطُّ العَرَبِيّ المَبْكُر

ومعلوماتنا عن هذه الخطوط المبكرة ضئيلة للغاية وقد أشار ابن التديم في «الفهرست» إلى بعض خصائص الخطين المكي والمدني، يقول: «فأول الخطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي». فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمين اليد وأعلى الأصابع وفي شكله انضجاج يسير^١. وما ذكره ابن التديم يدل على أنه لم تكن هناك ثمة فروق خصائصية واضحة بين الخط المكي والخط المدني.

وقد وصّلت إلينا وثيقة هامةٌ تدلنا على صفة الخط المدني وليوثته هي بريدية مؤرخة في عام ٢٢٢هـ / ٦٤٣م تعرف بـ «بردية أهناسية» عبارة عن إيصال باستلام أغنام صادر عن عامل لعمر بن العاص على أهناسية من قرى مصر (وهي محفوظة في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا برقم ٥٥٨).

كما تحتفظ المكتبة الأهلية في باريس ببعض المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، وأدّى الاكتشاف الكبير الذي تم في الجامع الكبير بصنعاء اليمن في سنتي ١٩٦٥ و ١٩٧٢ إلى العثور على عدد كبير من المصاحف المكتوبة بالقلم الحجازي وبالقلم الكوفي المبكر وأغلبها مُدَوَّن على الرق^٢.

^١ ١٩٧٢: محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٢؛ محمود شكري الجبوري: نشأة الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤؛ عبدالعزيز الدالي: الخطاطة - الكتابة العربية، القاهرة ١٩٨٠؛ Heal، John F. « Nabatean to Arabic: Calligraphy and script development among the pre-Islamic Arabs », *MME* 5 (1990 - 91), pp. 41-52; Gruendler, B., *The Development of the Arabic Scripts From Nabatean Era to the First Islamic Century According to the ed Texts*, Atlanta 1993. أوزبور: فن الخط - تاريخه ونماذج من روايته على مر العصور، استانبول - إزمير ١٩٩٠.

^٢ ابن التديم: الفهرست، ٩.
Déroche, Fr., *Les manuscrits du Coran. Aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983. دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

أما الخط البصري فلم تصل إلينا منه أمثلة نستطيع أن نتعرف منها على صفته وأغلب الظن أنه كان والخط الكوفي شيئاً واحداً لقرب ما بينهما من العهد والمكان - لا يكاد يميز أحدهما عن الآخر إلا اختلاف في درجة الإجابة نتج عن التنافس المعروف بين مدرستي الكوفة والبصرة^١.

ويُرجح أن تكون تسمية الخطوط بأسماء المدن جاءت نتيجة لأن العرب - الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام - تلقوا هذه الخطوط مع السلع المجلوبة فسموها بأسماء الجهات التي وردت منها، خاصة وأن الخط العربي قبل عصر النبوة قد عُرف بالخط التبطي لأنه أتى إلى بلاد العرب من بلاد التبظ مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون مع الأنباط، كما عُرف بـ «الخيروي» و«الأنباري» لأنه أتى إلى بلاد العرب مع تجارة إقليم السواد عن طريق دومة الجندل. ويانتهاء الخط إلى مكة والمدينة عُرف باسميهما ثم أُطلق عليه اسم الإقليم كله حيث عرف فيما بعد «بالخط الحجازي»^٢. وهي تسمية محدثة لا توجد في المصادر القديمة.

خطوط المصاحف

المبكرة

ذكر ابن التميمي في «الفهرست» أن الخطوط التي كتبت بها المصاحف هي: المكي والمدني، وينقسم الخط المدني إلى المدور والمثلث والتشم - وصفة كل من المدور والمثلث واضحة من اسميهما أما التشم فيبدو أنه جمع بين النوعين - ثم الكوفي والبصري والمشق والتجاويد والسلوطني والمصنوع والمائل والراصف والأصفهاني والجلبي والقيراموز (وهو خط العجم) وهو نوعان: الناصري والمدور^٣.

^١ إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأجزاء في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٩، ص ١٩.

^٢ نفسه ١٩ - ٢٠.

^٣ ابن التميمي: الفهرست، ص ٩.

وأضاف بعد ذلك أن الناس لم يزالوا يكتبون على مثال الخط القديم إلى أول الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه المخطوط وحدثت خطاً يسمى العراقي وهو المصحف الذي يسمى ورأقي^١.

وعلى الرغم من معرفتنا بأنواع هذه المخطوط من خلال ما ذكره ابن النديم، فإنه ليس في استطاعتنا أن ننسبها إلى أزمانها لأننا لم نعثر لها على أمثلة مؤرخة فيما عدا نماذج قليلة من الخط الحجازي (المائل) وخط المَشَقَّ^٢.

وَيُرَجَّحُ أن يكون أقدم المخطوط استعمالاً في تدوين المصحف هو الخط المكي والخط المدني الذي يعد الخط الحجازي المائل تطوراً لهما، ثم خط البصرة وخط الكوفة، وتبع ذلك بقية الأقلام التي اخترعت بقصد التحسين والتجويد، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه تولدكة في كتابه عن «تاريخ القرآن» من أن مصحف عثمان كان بالخط المكي وأن مصحف ابن مسعود وأبي موسى بن قيس كانا بالخط الكوفي^٣.

ويدل على قدم الخط الحجازي (المائل) والذي استخدم في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، خلوه من النقط وحركات الإعراب.

أما خط المَشَقَّ (وهو الخط السريع) والذي تطوّر أولاً في مكة والمدينة خلال القرن الهجري الأول في نفس الوقت الذي أخذ فيه الخط الكوفي المبكر في التطور، فأهم صفاته المنط والامتداد الأفقي لبعض الحروف لأنه كان يكتب بسرعة مما يؤدي إلى إطالة استمداداته الأفقية على حساب ارتفاع أصابعه وضيق ما بين سطوره تبعاً لذلك.

وقد تُسبب إلى عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني قوله: «شَرُّ القِراءة

^١ ابن النديم: الفهرست ١١.

^٢ راجع كتاب، مصاحف صنعاء - دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٨٥.

^٣ إبراهيم جمعة: المرجع السابق ٦٢.

الهدرمة وشر الكتابة المشق وأجود الخط أثبه^١ وإن صح ذلك فنستطيع أن نضع هذا النوع من الخط في زمن واحد مع أقدم خطوط المصاحف وهما الخطان المكي والمدني (الحجازي).

وقد أدى ما في خط المشق من التمهيط والمد غرضين: إمكان إحداث التساوي بين أطوال السطور، واتخاذ هذا التمهيط وسيلة من وسائل التجميل في الخطوط الكوفية عامة.

وقد شاع في كتابة المصاحف الكوفية عموماً الخط المصحق وهو خط مبسوط نشأ في العراق وتُعرف له سلاتان إحداهما بها مسحة من التريبع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن وهو يجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى التريبع والزوايا، استخدم في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة حتى حل محل خط النسخ الذي ابتدعه ابن البواب، والأخرى أخف وأكثر تدويراً، استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن وهو ما عرف بالمصحق الوراقى أو خط التحرير الذي استخدمه الوراقون في النسخ، وهذا الخط هو الذي نال تجويداً ظاهراً فيما بعد على يد ابن مقلّة وابن البواب.

كتاب المصحف

ذكر ابن التميمي أن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهيثم قال: «رأيت مصحفاً بخطه»^٢. وذكر أيضاً أن سعد خُصّه كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من «والشمس وضحاها» إلى آخر القرآن^٣. ومن كتّاب المصحف

^١ أبو حيان: رسالة في علم الكتابة ١٣٨؛ ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ٣٠٤.

^٢ إبراهيم جمعه: المرجع السابق ٢٨.

^٣ ابن التميمي: الفهرست ٩ و ٤٦.

^٤ نفسه ٩.

أيضاً أبو يحيى مالك بن دينار البصري مولى أسامة بن لؤي «كان يكتب المصاحف بالأجرة» ومات بالبصرة سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م قبل الطاعون بيسيراً^١.

ويذكر ابن أبي داود السجستاني أن جابر بن زيد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ/٧١١م دخل عليه فوجدته يكتب المصحف فقال له: «مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله كسب الخلال، هذا والله كسب الخلال»^٢.

وأول من كتب المصحف في أيام الدولة الأموية شخص يدعى قُطَيْبَةُ يُعْرَى إليه استخراج الأقسام الأربعة: الجليل والطومار والثُلث والثلاثين واشتقاق بعضهما من بعض، قال ابن النديم: «قُطَيْبَةُ أكتب الناس على الأرض بالعربية». ثم كان بعده الضُّحَّاك بن عَجْلان الكاتب في أول خلافة بني العباس فزاد على قُطَيْبَةَ فكان بعده أكتب الخلق. ثم كان بعده إسحاق بن حَمَّاد في خلافة المنصور بالله والمهدي بالله العباسيين^٣.

أما أشهر كُتَّاب المصحف في عصر الخليفة هارون الرشيد فكانا خُشْنَم البصري ومَهْدِي الكوفي، يقول ابن النديم: «لم يُر مثلهما إلى حيث انتهينا»^٤، وأيضاً أبو حُدَي الذي كان يكتب المصاحف اللطاف في أيام المعتصم^٥.

الشُّكْلُ وَالْإِعْجَامُ

نتيجة لحركة الفتوح العربية الكبرى ولدخول العديد من الأمم غير العربية في دين الإسلام بدأ يظهر اللَّحْنُ في قَوْل هُوَلاء وخُشَى على القرآن أن يتطرق إليه اللَّحْنُ، فطلَّبَ زياد بن أبيه والي البصرة من أبي الأسود الدؤلي مؤسس علم

^١ ابن النديم: الفهرست ٢٥٩ ابن قتيبة: المعارف ٤٧٠، ٥٧٧.

^٢ ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف ١٣١، ابن خلكان: رقيات الأعيان ٤: ١٣٩.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٠.

^٤ نفسه ٩.

^٥ نفسه ١٠.

النحو العربي المتوفى سنة ٦٦٩هـ / ٦٨٨م أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة يتمكن من خلالها الناس من إصلاح كلامهم وإعراب كتاب الله .

فبدأ أبو الأسود الدؤلي في وضع «شكّل» الحروف وأخذ الناس عنه هذه الطريقة فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحه ، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسره ، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته ، ولا يضعون شيئاً على الحرف الساكن ، وإذا كان الحرف مُتَوَكِّئًا يضعون نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله ، فاعتبر أبو الأسود بذلك «أول من نَقَطَ المصحف» .

ولم تشتهر طريقة أبي الأسود الدؤلي إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن . أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم^١ .

والإعجام هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نُقْطٍ لمنع العُجْمَةِ أو اللَّبْسِ وقد خَلَّتِ النقوش التي عثر عليها حتى الآن وكذلك الكتابة النبطية التي اشتقت منها اللغة العربية من النقط .

يذهب بعض العلماء إلى أن النُقْطَ كان معروفاً قبل كتابة المصحف الإمام (مصحف عثمان) ثم عُدل عنه قصداً وجُرِّدَ القرآن منه حتى إذا اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثر الأعاجم الذين أسلموا أو فتح العرب بلادهم تَطَلَّبَ الأمر وضع طريقة جديدة لضبط قراءة المصحف .

وظلَّ المسلمون يقرأون في مصحف عثمان أكثر من أربعين عاماً ، إلى أن كثر التصحيف في العراق حتى طلب الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عصر عبد الملك بن مروان إلى كُتَّابِهِ أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة . وتوَكَّلَ عملية الإصلاح الثاني في الكتابة العربية نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن

^١ راجع ، ابن أبي داود السجستاني : كتاب المصاحف ١٤٤-١٤٧ ، الفللسندي : صحب الأمشى ٣ : ١٥٦ - ١٦٧ .

يَعْمُرُ العدواني تلميذى أبي الأسود الدؤكي فقررنا وضع نقط لتمييز الأحرف المتشابهة .

فلتمييز الدال من الذال أهملت الأولى وأعجمت الثانية بنقطة واحدة ملوية، وكذلك الراء والزاي، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، وجعلنا تمييز السين من الشين بإهمال الأولى وإعجام الثانية بثلاث نقاط لأن لها ثلاث أسنان . وأما الباء والتاء والثاء والتون فلم نجعل واحدة منهن مهملة بل أعجمت كلها، أما الجيم والحاء والهاء فقد جعلت الحاء مهملة وأعجم الأخرى بواحدة من تحت والأخرى من فوق . أما الفاء والقاف فكان القياس أن تهمل أولاهما وتعجم أخراهما بنقطة كباقي الأحرف الزوجية مثل الدال والذال والراء والزاي ولكن المشاركة ذهبوا إلى نقط الفاء بنقطة من أعلى والقاف باثنتين من أعلى أيضاً، وذهب المغاربة إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى^١.

ولما كان هذا الإصلاح يستدعي اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام قرّر نصر ويحيى أن تكون نُقَطُ الشكل بالمداد الأحمر ونُقَطُ الإعجام بنفس مداد الحروف .

وفي عصر الدولة العباسية أراد الناس أن يجعلوا «الشكّل» بنفس مداد الكتابة تيسيراً للأمر . وحلّ هذا الالتباس عالم اللغة الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى نحو سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٩م بوضع طريقة أخرى للشكل باستخدام ثمان علامات جديدة للشكل على صورة شُرُطٍ رقيقة تُرَسِّمُ بسن القلم أعلى وأسفل الحروف وعلامات التنوين الاصطلاحية المعروفة والهمزات، وهي العلامات التي مازالت تستخدم إلى الآن^٢.

١ رابع، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٢٢، السفدي : تصحيح الصحيف وحرير التحريف، ١١٤ الفلقشدي : صبح الأعيان ٣ : ١٥١ - ١٥٥ .

٢ رابع درمان، أوغور : المرجع السابق ١٧ - ٢٠ .

تطور الخط العربي

وفي الوقت نفسه أخذ الخط العراقي وهو المُحَقَّق الذي كان يُكْتَب به الوِزَارِقُون في التَّحَسُّن حتى عصر الخليفة المأمون عندما قام رجلٌ يعرف بالأخوك المُحَرَّر كان من صنائع البرامكة وكان يُحَرَّر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير بوضع قوانين ورسوم للخط وجعله أنواعاً. وهو الذي استحدث قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم السجلات^١ وربما كان الرجل هو إبراهيم بن عبدالله بن الصباح بن بشر السعدي الذي كان ابنه إسحاق المكتبي بأبي الحسين يُعَلِّم المقتدر وأولاده ووَضِع رسالة في الخط والكتابة سماها «تحفة الواثق». يقول ابن التديم: «لم ير في زمانه أحسن خطاً منه ولا أعراف بالكتابة» وكان إخوته وأبناءؤه «في نهاية حُسْن الخط والمعرفة بالكتابة»^٢. ثم أحدث بعد ذلك الوزير ذو الرياستين الفضل بن سَهْل قلماً عرف بالرياسي.

وكانت بداية تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن على يد الأخوك المُحَرَّر، ثم أمته بعده الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقَلَّة وزير المقتدر والظاهر والراضي والمتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م الذي انتهت إليه وأخيه أبي عبدالله جَوْدَة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة كما يقول القلقشندي^٣ وإن بقي فيه تكويفاً ما^٤. كذلك فإن ابن خلدون في مقدمته الشهيرة يصف لنا كيف تزعمت بغداد عملية تطوير الكتابة العربية، يقول:

«خالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه في الكوفة، في الميل إلى إجماع الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار إلى أن رَفَع رايته ببغداد علي بن مُقَلَّة ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب. ووقف سند تعليمها في المائة الثالثة وما بعدها، وبعثت

^١ ابن التديم: الفهرست ١١١ باقوت: معجم الأديب ٦: ٥٩.

^٢ نفسه: ١١ - ١٢، نفسه ٦: ٦٠ - ٦١، الصفي: الرافي ٨: ٣٩٣.

^٣ القلقشندي: صبح الأعراس ٣: ١٣.

^٤ الصفي: الرافي ٢٢: ٢٩٠.

رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهت إلى الميمنة^١.

ويعد ابن مقلّة أوّل من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأعادها بالنقطة وضبطها ضبطاً محكماً، واستخلص من الأقلام الموجودة ستة أقلام هي: الثلث والنسخ والتوقيع والريحان والمحقّق والرّقاع^٢، وأصبح يطلق على هذا الخط المنضبط «الخط المنسوب». ويمكن اعتبار ابن مقلّة وبحق منشئ الخط المنسوب، وكانت طريقته هي إكساب كل حرف من حروف الهجاء نسبة محددة إلى حرف الألف مما أدى إلى تنظيم قياسي دقيق للحروف الهجائية. وقد لخص روبرتسون A. Robertson هذا الابتكار تليخيصاً رائعاً بقوله:

«لقد ابتكر ابن مقلّة طريقة جديدة للقياس بواسطة النقطة. كان رسم النقطة من الناحية الهندسية يتم بوضع سن القلم على الورق ثم تحريكه نزولاً مع الضغط الكافي لفتح شقيه إلى أقصاهما ثم تركهما ينضمسان ثانية من تلقائهما وبسرعة. وبهذه الطريقة يتكوّن مربع أو مستطيل. ويأخذ النقطة وحدة للقياس (كانت النقطة لهذا الغرض توضع متلامسة بزواياها) فوّم ابن مقلّة الألف الكوفية التي كانت قبل ذلك ذات شكل مائل إلى اليمين على هيئة قوس يشبه طرف مضرب الهوكي، ثم جعل منها معياراً للقياس. . . . وكانت خطوطه التالية هي تعديل الحروف الكوفية حرقاً حرقاً ليجعلها تتلاءم والأشكال الهندسية، وبذلك أصبح من السهل قياسها. ثم حدّد لكل منها نسبة مع الألف، فإذا كان الحرف مثلاً ذا شكل استداري مثل الراء أو النون الخ. . . فإن قطر الدائرة التي تُكوّنها هذه الاستدارة يعادل طول الألف، وهكذا دواليك»^٣.

^١ ابن علدون: المقدمة ٩١٧.

^٢ انظر ترجمة ابن مقلّة عند ابن خلكان: وفیات ٣: ٣١٢، ٥: ١١٣ - ١١٨ + الصفدي: الرافعي بالوفيات Abbot, N., «The Contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic Script», *AJSL* 56 (1938), pp. 70-83; Soudel, D., *Et' art. Ibn Mukla III*, pp. 882-886; Tabhaa, Y., «The Transformation of Arabic Writing: Part I, Qur'anic Calligraphy», *Ars Orientalis* 21 (1992), pp. 121-130.

^٣ Robertson, A. et Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscripts in the Chester Beary Library*, Dublin 1955, pp. 13 - 14.

ووصف الثعالبي خط ابن مقلّة بقوله :

«يضرب مثلاً في الحسن لأنه أحسن خطوط الدنيا وما رأى الراؤون بل ما روى الراؤون مثل ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السحرة»^١.

ورأى ابن النديم مصححاً بخط ابن مقلّة^٢، كما رأى ابن البواب كذلك مصححاً من ثلاثين جزءاً، بخطه في خزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز ينقص جزءاً أنه هو بخطه^٣. ومع ذلك فقد ذكر الفلقشندي أنه رأى «من الكتب بخط الأقدمين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أمثل لقرينه من نقله عنه»^٤.

وذكر الثعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، أن ابن مقلّة :

«كتب كتاب هُدنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أحص بيوت العبادات ويمجّبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه»^٥.

ولم يصل إلينا - للأسف الشديد - أي أثر من آثار ابن مقلّة التي خطها بيده، ولكن الشيء المؤكد أن النماذج الناضجة التي وصلت إلينا من القرن الرابع الهجري مثل كتابات مهلهل بن أحمد (نسخة كتاب المقتضب في النحو للمبرد المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول رقم ١٥٠٨) وغيره تحمل طابع مدرسته. ثم قام أبو الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البواب^٦ في

^١ الثعالبي : شمار القلوب في المصنف والمنسوب ٣٤٤.

^٢ ابن النديم : الفهرست ١٢.

^٣ الفلقشندي : صبح ٣ : ١١.

^٤ الثعالبي : شمار القلوب في المصنف والمنسوب ٣٤٥.

^٥ الثعالبي : شمار القلوب في المصنف والمنسوب ٣٤٥.

^٦ انظر ترجمته عند، ياقوت : معجم الأديب ١٥ : ١٢٠ - ١٢٤ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٤٢ - ١٣٤٤ الصغددي : الرافي بالرقببات ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩٥ كذلك سهيل أنور : الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب (بالتركية)، نقله إلى العربية محمد بهجة الأثري وعزيز سامي، بغداد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨ - ١٩٥٨، art. Ibn al-Bawwab III, pp. 736 - 737 Soudel - Thomine, J., *EP*, art. Ibn al-Bawwab III, pp. 736 - 737 Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscripts, in the ChesterBeaty Library, Dublin 1955: Tabbaa, Y., op. cit. pp. 130 - 140*

عاشقة في الجمال مجبولة على حب الحسّن، وهو التناسب الطبيعي مرتباً كان أو مسموحاً.

لكن خيره . . . هو ما ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره وما قبله في كلمته واعتدلت مقاديره^١.

ثم يستطرد الكاتب المجهول فيقول إنه من المتعذر التوصل للكمال في الكتابة عن طريق خط الحروف المستقيمة بمسطرة أو المستديرة ببركار «فلذلك لا يوجد في كل عصر إلا الكاتب بعد الكاتب، وذلك لإعجاز هذه الصنعة بدقة المذاهب»^٢.

ثم يضيف الكاتب نفسه أن من جاءوا قبل ابن البوّاب قد اجتهدوا في إصلاح الخط الكوفي ولكن محاولاتهم لم تؤد إلا إلى ترطيبه والأيّز إلا من خارج زواياه . وأنه رأى أن ابني مقلّة قد أتقنا قلمي التوقيعات والشّخ ولكنهما لم يرسخا في إتقانها فكمل هو معناهما وتّمّه . ووجد شيخه محمد بن أسد يتّسخ الدواوين ومجاميع الشعر يتّسخ قريب من المُحقّق فأحكمه، كذلك فقد «حرّر ابن البوّاب قلم الذهب وأنقنه ونشّى برد الحواشي وزيّنه، ثم برّح في الثلث وخفيفه وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، وميّز قلم المتن والمصاحف وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف»^٣.

وقد اختتم الكاتب المجهول رسالته بالقول بأن ابن البوّاب قد فاق جيل الخطّاطين الذين سبقوه بفضل موهبته ومهارته في مختلف أنواع الخطوط، وأن الذين حاولوا تقليده بعد ذلك لم يفلحوا إلا في نوع واحد أو نوعين من الكتابة^٤ والظاهر أن ابن البوّاب لم يتفخ أثناء حياته بالقيمة الفائقة التي قدّرت بها أعماله بعد وفاته فيروي ياقوت الحموي أنه وجد رُفعة بخطه قد كتبها إلى بعض

^١ علي محمود صاكر: «رسالة في الكتابة النسخية»، مجلة معهد للخطوط العربية ١ (١٩٥٥) ١٢٤.

^٢ نفسه ١٢٥.

^٣ نفسه ١٢٦.

^٤ نفسه ١٢٦ - ١٢٧.

الأعيان في نحو السبعين سطراً يسأل فيها مساعدة صاحبه ابن منصور إنجاز وعدده به لا يساوي دينارين، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامية، وبلغه أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً^١.

وسرعان ما أصبحت النسخ التي كتبها ابن البواب نادرة وكان عارفو قدرها يدفعون فيها أثماناً عالية، فيروي ياقوت الحموي أيضاً أن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن البرقظي المتوفى سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م، الذي وصفه بأنه «أزحد عصره في حسن الخط»، خلف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البواب قال:

«لم تجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها... فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرائها»^٢.

وكان البرقظي قد بدأ حياته معلماً، فلما جاد خطه صار محرراً، وكان يكنّ لابن البواب تقديراً كبيراً وكان على استعداد لأن يدفع ثمناً باهظاً في سبيل الحصول على ورقة مكتوبة بخطه، وقد أطلع ياقوت الحموي على أكثر من عشرين قطعة بخط ابن البواب كانت عنده. ويروي ياقوت كيف حصل البرقظي على إحدى القطع التي كتبها ابن البواب بخطه، يقول:

«وحدثني قال: بلغني عن رجل معلّم في بعض محال بغداد أن عنده جزازاً كثيراً ورثه عن أبيه، فحسب لي أنه لا يخلو من شيء من المخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أحب أن تُريني ما خلف لك والدك عسى أن أشتري منه شيئاً، فصعد بي إلى غرفة وجلست أفتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب [للأسف سقط هنا بعض الكلام من نص ياقوت] قلم الرفاع أرائها أيضاً، ففتمنت إليها شيئاً آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: يكف هذا؟ فقال لي: يا سيدي ما صلح لك في هذا كله شيء آخر؟ قلت له: أنا الساعة

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٥ : ١٢١ - ١٢٢.

^٢ نفسه ١٧ : ٢٧٨ ، ٢٨٠.

مستجمل ولعمري أعود إليك مرة أخرى . فقال : هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذ هبة مني . فقلت : لا أفعل وأعطيتني قطعة قراصة مقدارها نصف دانق ، فاستكرها وقال : يا سيدي ما أخذت شيئاً يساوي هذا المقدار فخذ شيئاً آخر ، فقلت : لا حاجة لي في شيء آخر ، ثم نزلت من غرفتي فاستحييت وقلت هذا سخادة ، ولا شك أنه قد باعني ما جهله ، ووالله لا جعلت حتى خط ابن البواب أن يشتري بالسخادة ، فعذت إليه وقلت له : يا أخي هذه الورقة بخط ابن البواب ، فقال : وإذا كانت بخط ابن البواب فأني شيء أصنع ؟ قلت له : قيمتها ثلاثة دنانير إمامية . فقال : يا سيدي لا تسخر بي ، ولعلك قد عزمت على رذها فخذها وخط الذهب . فقلت : بل أحضر ميزاناً للذهب فأحضرها ، فوزنت له ثلاثة دنانير وقلت له : بعثني هذا بهذا ؟ فقال : بعثك ، فأخذتها وانصرفت^١ .

ووضّح ابن البواب رسالة في علم الخط وأخرى في أصول الكتابة وبُري القلم منها نسخة في مكتبة رفاة الطهطاوي بسوهاج برقم ٢٤ فلك ، ونسخ المصحف بيده أربعاً وستين مرة إحداها بالخط النسخ ومكتوبة على الورق لاتزال محفوظة في مكتبة شيبسترني بدبلن تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م نشرها D. S. Rice بالفأكسميلي وقدم عنها دراسة في وصفها وعن دور ابن البواب في تطور الخط العربي^٢ ، وقد اعتبر D. S. Rice هذا المصحف هو المخطوط الوحيد الذي وصل إلينا بخط ابن البواب وأن المخطوطات الأخرى المنسوبة لابن البواب ليست إلا نسخاً مزوّرة^٣ . وذكر الصقدي أنه رأى « من خطه كثيراً وملك منه قطعة بقلم الرقاع »^٤ .

^١ بالقرت : معجم الأديب، ١٧ : ٢٨٠ - ٢٨١ .

^٢ Rice, D. S. *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscripts in the Chester Beatty Library*, Dublin 1955 . وانظر فيما يلي من

^٣ منها : « رسالة مدح الكتب والبحث على جمعها » للجاحظ في متحف الأوقاف باستامبول برقم T2014 ، و« ديوان الخادرة » في دار الكتب المصرية برقم ٢١٤٥ أدب و« شعر سلامة بن جندب » في مكتبة بغداد كشك باستامبول برقم ١٢٥ .

^٤ الصقدي : الرافي بالرفيات ٢٢ : ٢٩١ .

وكانت وفاة ابن البَوَّاب سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وقيل سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م^١.

وقد لاقت طريقة ابن البَوَّاب في الكتابة كثيراً من المُقلِّدين ومن بينهم الكثيرات من النساء منهن فاطمة بنت الحسن بن علي العَطَّار المعروفة ببنت الأفرَح المتوفاة سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م التي كتبت الاتفاق الذي عقد بموجبه الهدنة بين العباسيين والبيزنطيين، وكانت في خدمة العميد أبي نصر الكُنْدَرِي في بلاد الجبل^٢.

أما مؤرخ حلب الشهير كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جَرَادَة المعروف بابن العَدِيم المتوفى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م فيرى البعض أن كتابته فاقت كتابة ابن البَوَّاب وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، وتنبأ له مُعلِّمه في الكُتَّاب وهو مازال في السابعة من عمره بأنه إذا عاش لا يكون في العالم أكتب منه، يقول ياقوت:

«وصحَّت لعمرى فراسة المُعلِّم فيه، فهو أكتب من كل من تقدَّمه بعد ابن البَوَّاب بلا شك»^٣.

وكان والده يُحرِّضه على تجويد الخط ويتولَّى صَقْل الكاغِد له بنفسه، ورغم أن خطه لم يكن بالجيد فإنه كان يعرف أصول الخط ويُميِّز بين الجيد والردئ منه، وكان عنده خط ابن البَوَّاب وكان يريه أصوله إلى أن أتقن منه ما أراد، ثم كتَّاب على محمد بن أحمد بن البرِّقُطِي السابق ذكره عندما ورَدَ إلى حلب^٤. ويذكر

^١ انظر فيما يلي ص ٢٠٨ - ٢١٠. وأورد محمد بهجة الأثري قصيدته الرائية في ثناء تذييله لكتاب سهيل أثور عن الخطاط البغدادي علي بن هلال المذكور أعلاه بين صفتي ٣١ - ٣٣، كما نشرها وعلَّق عليها بشرح ابن الوحيد المصري المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م هلال ناجي في مطبعة انثار يترنس سنة ١٩٦٧ ثم نشرها باسم «شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة» بشرح ابن بصيص التحوي وشرح ابن الوحيد المصري متداولين في مجلة المورد العراقية ٤/١٥ (١٩٨٦).

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٦: ١٧٢.

^٣ نفسه ١٦: ٣٩.

^٤ نفسه ١٦: ٤٢.

ياقوت أن خط كمال الدين العديم شاع ذكره في البلاد وتهاداه الملك، وأن عمّا رَعَبَ في خطه

«أنه اشترى وَجْهَةً واحدةً بخط ابن البَوَّاب بأربعين درهماً، ونقلها إلى ورقة عتيقة ووجَّهها من حَيْدَر الكُتَيْبِي، فلذَعَبَ بها وادَّعى أنها بخط ابن البَوَّاب وباعها بستين درهماً زيادة على التي بخط ابن البَوَّاب بعشرين درهماً، ونَسَخَ في هذه الرُّقْعَة بخطه فدفع فيها كُتَّاب الوقت على أنها بخطه ديناراً مصرياً»^١. وقد وَصَلَتْ إلينا بعض مؤلفاته بخطه يتَّضح منها أنه تأثَّر تأثُّراً كبيراً بخط ابن البَوَّاب.

ومن اشتهر أيضاً بالكتابة على طريقة ابن البَوَّاب أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكُرْخِي المتوفى سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، قال ياقوت :

«سمعت جماعةً يحكون أنه لم يكتب أحدٌ قبله ولا بعده مثله في قلم الثُلث، حتى رأيت من يُعالي فيه فيقول: إنه كتَّبتُ خيراً من ابن البَوَّاب، وكان ضئيلاً بخطه جداً لذلك قلَّ وجوده: كان إذا اجتمع عنده شيءٌ من تجويداته يستدعي طسّناً، ويفسله فأما إذا استغني فإنه كان يكسر قلمه ويَجْهَد في تغيير خطه»^٢.

وكذلك أمين الدين ياقوت الموصلِي المتوفى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢٠م أحد موالِي السلطان ملكشاه السلجوقي، قال ابن الأثير :

«لم يكن في زمانه من يُؤدِّي طريقة ابن البَوَّاب مثله»^٣.

ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى ما طرأ على الخط العربي بعد ابن مُقَلَّة وابن البَوَّاب اللذين باعدا بين رسوم الخط البغدادي وخط الكوفة، يقول :

^١ ياقوت : معجم الأديب : ١٦ : ٤٥ - ٤٦ .

^٢ نقب : ١٧ : ٥٦ - ٥٧ .

^٣ ابن الأثير : الكامل : ١٢ : ٤٠٥ .

«ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي؛ ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر وخالفت طريقة العراق بعض الشيء، ولقّنها العجم هناك فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مياينة»^١.

كانت بغداد مركزاً لكل هذه التطورات على مدى خمسة قرون ثم جاء جمال الدين ياقوت بن عبد الله المُستعصمي الرومي، الذي عاش في عهد آخر خلفاء العباسيين، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م المعروف بـ «قِبْلَةُ الخطّاطين» آخر أشهر الخطاطين البغداديين ليلعب دوراً مهماً في تطوير الخط العربي ونجويده مضافاً على الخط كمالاً وحُسناً جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخطّاطين. وقد بَلَغَت عظمة ياقوت المُستعصمي حَدّاً فاق مكانة ابن مُقَلَّة وابن البَوَّاب، وأتَّسَمَ خَطُّهُ بالرِّفَّة والرَّشَاقَة ويُنسَب إليه شَذْبُ القلم بطريقة تجعل جَرَائمه الشَّيخية منها والرفيعة أكثر تميّزاً وروعة. وأصبح هو المثل الذي اجتهدت الأجيال اللاحقة من الخطاطين في أن تحذو حذوه، وكتب ياقوت العديد من المصاحف والكتب ما زال بعضها محفوظاً في دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني وخدايش بنته بالهند وفي مكتبة خزينة الملحقمة بمتحف طوب قبو سراي باستانبول وفي مجموعة خليلي بلندن، ومع ذلك فإن المشكلات المتعلقة بتحديد المصاحف المنسوبة له كثيرة جداً لدرجة أنها تحتاج إلى دراسة مستقلة.

وعاصر ياقوت المُستعصمي ستة من أساتذة الخط اشتهروا بأنهم تلاميذ ياقوت المُستعصمي وهم الذين أتبع طريقتهم الخطاطون اللاحقون في زمن التيموريين والصفويين والعثمانيين. ورغم قيمة وأهمية هؤلاء الستة فإننا لا نكاد نعرف أي شيء عن حياة معظمهم وهم: أرغون بن عبدالله الكامل، ونصر الله الطيب المعروف أيضاً بتناصر الدين مُطَيَّب، ومبارك شاه بن قطب التبريزي

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٦٧ - ٩٦٨.

المسمى «زارين قلم»، ويوسف المشهدي الخراساني، وسيد أو مير حيدر المسمى «كُنده نويس»، وأحمد بن السُّهْرَوْرْدِي المسمى «شيخ زاده». وقد وصلت إلينا العديد من المصاحف التي تحمل توقيع هؤلاء الحفطاطين الذين كانت لهم مكانة عالية حتى أن الناس بدأوا في عمل نسخ تقليد لأعمالهم ناهيك عن التزوير^١.

وبعد ياقوت المستعصمي أصبح فن الخط بما له من علاقة وطيدة بكل العلوم والفنون، ساحة التنافس البارزة في مجال الفنون. وفقدت بغداد - أو العراق بمعنى أصح - مكانتها كمركز ريادي في توجيه فن الخط بعد سقوط الخلافة. وفي القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين لقي الخط تقديراً وتشجيعاً عظيمين من السلاطين والوزراء والأمراء ابتداءً من عهد الإيلخانيين والتمموريين والجلالريين^٢. وشهدت مدن مثل مَشْهَد وهراء في فارس مرحلة تطورت فيها صناعة الكتاب وبلغ فيها الخط وتذهيب الكتاب وتزيينه وتجليده شأنًا كبيراً.

أما مصر في عصر المماليك فتدل الكتابات الكثيرة الموجودة على العمائر المملوكية والمصاحف الضخمة التي وصلت إلينا على أنها أصبحت المركز الهام الثاني بعد بغداد مباشرة في فن الخط حتى نهاية القرن التاسع الهجري، يقول ابن خلدون الذي كان في مصر في نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري:

«ثم لما انحَلَّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت، تناقص ذلك أجمع وقرَّست معالم بغداد بدرس الخلافة، فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسواقها بها نافقة لهذا العهد، وله بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوائين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبس المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع»^٣.

^١ James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, pp. 76 - 77

^٢ انظر فيما يلي ص ٣١٦ - ٣١٩.

^٣ ابن خلدون: المقدمة ٩٦٨.

وقد صارت في مصر طريقة ابن اليوآب جنباً إلى جنب مدرسة بغداد وما ابتدعه ياقوت المستعصمي حتى ظهور المدرسة العثمانية في الخط. وتدلنا الأعمال التي أنتجها العصر المملوكي^١ ووصلت إلينا على مدى ما وصل إليه فن الخط في هذه الفترة^٢.

ومن أشهر الذين حدوا حدو ياقوت المستعصمي في مصر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الدرعي الدمشقي المعروف بابن الوحيد الكاتب المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م، الذي سافر إلى بغداد واجتمع بياقوت المستعصمي، وصار شيخ التجويد في مصر يُضرب بجودة خطه المثل^٣، قال عنه الصفدي:

«صاحب الخط الفائق والنظم والنشر، كان تام الشكل حسن السيرة موصوفاً بالشجاعة متكلماً بعدة اللسن يُضرب المثل بحسن كتابته . . . وكان قد اتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير وأعجبه خطه فكتب له ختمة في سبعة أجزاء بليقة ذهبية قلم الأشعار ثلث كبير قطع البغدادى، دخل فيها جملة من الذهب أعطاه لها الجاشنكير برسم اللبقة لا غير ألفاً وستمائة دينار أو ألفاً وأربعمائة دينار، فدخل الختمة ستمائة دينار وأخذ الباقي، فقيل له في ذلك فقال: متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة؟ وزمكها صندل المدقّب وأبناها في جامع الحاكم وفي ديوان الإنشاء في قلعة الجبل غير مرة وهي وقف بجامع الحاكم، وما اعتقد أن أحداً يكتب مثلها ولا مثل ترميكها فإنهما كانا فردي زمانهما. وأخذ من الجاشنكير عليها جملة من الأجرة . . . وكتب الأفلام السبعة طبقة وأما فصاح النسخ والمحقّق والرّيحان فما كتبه أحد أحسن منه»^٤.

^١ انظر فيما يلي من ٣١٣ - ٣٢٤.

^٢ درمان، أوغور: المرجع السابق ٢٥.

^٣ المقرئبي: القفى الكبير ٥: ٧٢٠ - ٧٢١.

^٤ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ١٥٠ - ١٥١، المقرئبي: القفى ٥: ٧٢١.

وقد وصل إلينا هذا المصحف الذي يُعرف بـ «مصحف بيبرس الجاشنكير» ومنه أجزاء في مكتبة المتحف البريطاني برقم Add 22406-13 ودرسه David James في مقال صدر عام ١٩٨٤^١.

وَوَينَ الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الصائغ القاهري المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ٤٤٢م، والصائغ حرفة أبيه. نشأ بالقاهرة وتعلّم الخط المنسوب من النور الوصي ولازمه في إتقان قلم النسخ حتى تفوق فيه عليه، وأحب كذلك طريقة ابن العفيف فسلكها وفاق أهل زمانه في حسن الخط كما يقول السخاوي، ونسخ عدّة مصاحف والكثير من الكتب والقصائد وصار شيخ الكتاب في وقته دون مدافع^٢.

ووصل إلينا بخط ابن الصائغ المصحف الذي كتبه للسلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١ مصاحف ومصحف آخر كتبه سنة ٨١٤هـ ثم آل بعد ذلك إلى السلطان المؤيد شيخ المحمودي وهو محفوظ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦ مصاحف. كذلك فقد وصّح ابن الصائغ رسالة عنوانها «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» نشرها هلال ناجي وصدرت عن دار بوسلامة بتونس سنة ١٩٦٨.

ومحمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيّبي الشافعي، أحد كبار الخطاطين في القرن العاشر الهجري. أخذ الكتابة عن محمد بن كزّال العيساوي وجمال الدين الهيتي والشيخ ياسين ووصل إلينا بخطه نسخة من كتابه «جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولي البصائر والألباب» على طريقة ابن البواب التي

^١ James, D., «Some Observations on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Din Baybars al-Jashnagir», *Muqarnas* II (1984), pp. 147 - 157 ص ٣١٦ - ٣١٣.

^٢ السخاوي : الفراء اللامع ٤ : ١٦١ - ١٦٢.

أخذها بالتسلسل عن شيوخه ، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة قغوش الملحقة
بمتحف طوبقوسراي باستانبول برقم ٨٨٢ (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة
برقم ١٦٤ أدب) جاء على غلافها :

«جمعه وكتبه بخطه
محمد بن حسن الطيبي»

وفي وسط الصفحة

«من كتابة العبد الفقير إلى الله تعالى
محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيبي
الشافعي في يوم الأربعاء المبارك ثاني عشر
شهر رجب الفرد سنة ثمان وتسعمائة من الهجرة النبوية
غفر الله تعالى له ولوالديه ولئن نظر فيه ولكل المسلمين
يرسم عزوانة

المقام الشريف مولانا
السلطان الملك الأشرف أبي النصر
قانسوه الغوري
عز نصره»

وقد نُشِرَ هذه النسخة بالتصوير وقَدِّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد
وصدرت في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٦٢ ، ثم أعاد هلال ناجي
نشرها وصدرت في تونس عام ١٩٦٧ .

وقد أشار الفلقشندي في الربع الأول للقرن التاسع الهجري إلى أنواع
المخطوط التي كانت شائعة في مصر المملوكية في هذه الفترة التي استخدم أغلبها
المخطاطون في كتابة المصاحف والربعات ووثائق ديوان الإنشاء وسائر المؤلفات
الأدبية^١ ، وهي : الطومار ومختصر الطومار ، والتُّكُّ وخفيف التُّكُّ ، والتوقيع

^١ الفلقشندي : صبح الأمتى ٣ : ١٧ - ١٢٨ . وانظر كذلك : Gacek, A., «Al-Nuwayri's Classification of Arabic Scripts», *MAME II* (1987), pp. 126 - 130

والرَقاع، والمُحَقَّق والرَّيْحَان، والغبار والمنثور، والحواشي. وقسم من هذه الخطوط ما هو إلا اختلاف جسامات من نفس الأسلوب، أما القسم الآخر فهو أشكال قريبة لبعضها البعض من ناحية الأسلوب. فالرَّيْحَان مثلاً هو فرع في المُحَقَّق وفي جسامته النصف منه، وقد وُكِّد المُحَقَّق والرَّيْحَان من الخط الذي طَوَّرَهُ الوَرَّاقُونَ والنَّسَّاحُ العلماء بوجه خاص ليكون خطأً للكتب، وقد وَصَلَتْ إلينا العديد من المصاحف والرِّبَعَات المملوكية المكتوبة بالخطين المُحَقَّق والرَّيْحَان، وهما خطان استخدمتهما ياقوت المستعصمي ومعاصروه في استنساخ المصاحف. أما خطي الثُّلُث والنَّسْخ فلم يبلغا نفس الكمال إلا مع ظهور المدرسة العثمانية، ومع مرور الوقت أصبح الثُّلُث ومن ورائه النَّسْخ يحتلان مكانة المُحَقَّق والرَّيْحَان في كل استخداماتهما تقريباً^١.

ومن أهم أنواع الخطوط المشرقية التي ظهرت حتى القرن التاسع الهجري ووجد بعضها استحساناً عظيماً فيما بعد: خط التعليق وخط نستعليق (نسخ-تعليق). وقد نشأ خط التعليق في إيران في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تقريباً ثم اكتسب خصائصه المعروفة في القرن السابع، واستخدم هذا الخط لأجل المكاتبات الرسمية ولم يُسْتخدَم في نَسْخ الكتب، ومن ثم فقد طَوَّرُوا لهذا الغرض نوعاً آخر من الخط عرف باسم نستعليق كان أكثر مطاوعة لذلك وانتشر استخدامه بدرجة تلي درجة النَّسْخ^٢. واستخدم بكثرة في استنساخ الكتب الأدبية وخاصة دواوين الشعر ومجاميعه اعتباراً من عصر التيموريين بصفة خاصة. وعاش هذا النوع عصره الذهبي في إيران حتى القرن الحادي عشر الهجري^٣.

وإذا كانت طريقة ابن البَوَّاب وأسلوبه في الكتابة قد استمرت في مصر جنباً إلى جنب طريقة ياقوت المستعصمي، فإن تركيا في عصر الدولة العثمانية عرفت

١ دومان، أوغور: المرجع السابق ٢٦.

٢ نفسه ٢٧.

٣ نفسه ٣٣.

منذ مطلع القرن التاسع الهجري مدرسة جديدة في فن الخط تأثرت في بادئ الأمر بمدرسة ياقوت المستعصي ولكن سرعان ما أصبحت لها سماتها الخاصة التي مهدت السبيل للدخول إلى العصر الذهبي لفن الخط الإسلامي يأتي على رأسها الشيخ حمد الله بن مصطفى دده المعروف بابن الشيخ الأمامي (٨٣٣ - ٩٢٢ هـ / ١٤٢٩ - ١٥٢٠ م) الرائد الأكبر للمخطاطين الأتراك، فيظهوره بدأ في تركيا عهداً جديداً متألقاً استمر طويلاً حتى يومنا هذا. فقد تعلم الشيخ حمد الله الأقسام الستة (وهي: التلث والنسخ والمحقق والريحان والتوقيع والرقاع) وأخذها عن خبير الدين المرعشي الذي كان يكتب على طريقة ياقوت المستعصي.

وعندما تولى السلطان بايزيد العثماني العرش في عام ٨٦٦ هـ / ١٤٨١ م، دعا الشيخ حمد الله إلى استانبول ليصبح معلماً للخط في السراي العثماني، وتبع بدعم من السلطان في جمع كل خطوط ياقوت الموجودة وكتابهاته في خزانة البلاط العثماني [المعروفة الآن بمكتبة خزينة الملحقه بمتحف طوبقو سراي] ودرس أسلوبها حتى استطاع أن يبدع لنفسه أسلوباً خاصاً ويشرع في الكتابة ويتميز بها حتى عرف بـ «قبلة الكتاب»^١.

وقد أدخل الشيخ حمد الله على خطي النسخ والتلث إصلاحات أساسية، فأضفى جمالا باهراً على هذين الخطين، فبينما نجد عند ياقوت أن الحروف التي تُخط من أعلى إلى أسفل (أ. ك. ل. ن) لم تكن متوازية، فإنها أصبحت عند الشيخ حمد الله متوازية دائماً^٢.

ومن بين السبعة وأربعين مصحفاً التي كتبها الشيخ حمد الله، تحتفظ مكتبات السليمانية وطوبقوسراي باستانبول والمتحف البريطاني بالملترا وشيسترتي بإيرلندا ومكتبة الكونجرس الأمريكي بعدد منها.

^١ جورج عطية: «المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة الكونجرس الأمريكي» - مصحف الشيخ حمد الله الأمامي، في كتاب المخطوط العربي وعلم الخط ٤٨.

^٢ نفسه ٥١، درمان، لونغور: المرجع السابق ٣٠.

واعتباراً من أوائل القرن العاشر الهجري أخذ أسلوب الشيخ حمد الله يحتل المكانة التي كانت لياقوت في أراضي الدولة العثمانية. وفي الفترة نفسها ظهر خطاً كبيراً آخر ذاعت شهرته في استانبول أيضاً هو أحمد قره حصارى الذي كان يسعى لإحياء طريقة ياقوت المستعصمي واستطاع أن يُقدّم بعض الأعمال بهذه الطريقة، ولكن طريقته لم تستطع الصمود سوى لجيل واحد من الخطاطين حتى أن بعض تلاميذ القره حصارى عادوا ليسلكوا مسلك الشيخ حمد الله الأماسي. وقد عبّر أوغور درمان عن الفرق بين أسلوب الخطاطين الكبيرين بقوله:

«إن الشيخ حمد الله برّع في رسم الحروف وتجويد الخط، بينما برع القره حصارى في ابتكار تراكيب الجلي على وجه الخصوص»^١.

وشهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مرحلة جديدة في تطور الخط العربي إذ ظهر في استانبول أستاذاً آخر للخط هو الحافظ عثمان الذي استخرج من أعمال الشيخ حمد الله أسلوباً جديداً حيث جمّع بذوقه الخاص الروائع المُتفرقة في كتابات الشيخ وأعاد إبداعها في كتاباته من جديد حتى يمكن القول أن مجيئ الحافظ عثمان انقضى عهد الشيخ حمد الله. وكما تعلّم السلطان بايزيد على يدي الشيخ حمد الله الأماسي تعلّم كل من السلطان مصطفي الثاني والسلطان أحمد الثالث الخط على يد الحافظ عثمان، ومن ثمّ فإن فنون الكتاب ومن جملتها فن الخط وجدت في عهديهما اهتماماً كبيراً وتشجيعاً عظيماً^٢.

وهكذا فقد استقرت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي الأقلام الستة المعروفة بالطريقة التي طورها الحافظ عثمان ثم لم تلبث أن انتشرت في أراضي الدولة العثمانية فيما عدا المغرب العربي.

^١ درمان، أوغور: المرجع السابق، ص ٣٠.

^٢ نفسه، ص ٣١.

وفي أواخر هذا القرن شهد الخط التُّلُثُ الجليّ، الذي كان مستخدماً بصورة خاصة على جدران العمائر الضخمة كالمساجد والقصور، تطوراً كبيراً على يد خطاط آخر هو مصطفي راقم الذي كان رساماً أيضاً، فَبَرَعَ في رسم بعض الحروف بنسب مختلفة تَنَفَّقَ وحاجة المكان الذي ستوضع فيه من حيث البُعد والارتفاع^١.

ويتسم خط التُّلُثُ بالانسيابية والرشاقة، ونظراً لأنه لا يكتب بالسرعة التي يُكْتَبُ بها خط النَّسْخِ فقد جرى استخدامه لغايات فنية وليس لغاية الكتابة^٢. وهو ما زال يستخدم إلى اليوم في كتابة عناوين وأغلفة الكتب بطريقة جمالية، خاصة وأنه يَتَمَيَّزُ عن سائر الخطوط بأنه يمكن وضعه في تراكيب وأشكال جمالية تشتمل على طبقتين أو أكثر من الحروف توضع فوق بعضها البعض تبعاً لترتيب قراءتها في الجملة. ولا يكتمل هذا النوع من الخط إلا بعلامات التشكيل كما يجري ملء فراغاته برموز مخصوصة توضع فوق الحروف المهملة أو تحتها.

^١ درمان، أوغور: المرجع السابق ٣١-٣٢.

^٢ نفسه ٣٢.

نشأة التدوين وطرق التأليف عند المسلمين

اشتهر بين عامة الناس من غير ذوي التخصص والاستقصاء أن «الحديث» أو ما يُطلق عليه علماء الحديث لفظ «العلم» ظل أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظاً دون أن يكتبوه واستمر هذا الظن أكثر من خمسة قرون متتابعة وهو يزداد توسعاً ويتردد قوة^١.

وعلى ذلك فإن الدراسات المتوافرة لدينا - فيما عدا استثناءات طفيفة - تُصرّ على مفهوم خاطئ مؤداه «أن الرواية الإسلامية لم تكن إلا شفوية»^٢. ولا يظهر هذا المفهوم فقط في معرض الحديث على رواية الحديث النبوي بل في الأخبار التاريخية والأدبية وخاصة للذين درسوا «تاريخ» الطبري وكتاب «الأغانى» لأبي الفرج الأصفهاني على سبيل المثال، حتى ذهب سوفاجيه Sauvaget إلى القول «بأن المؤرخ مضطراً إلى تجميع بحثه لتاريخ القرون الأولى للإسلام من معلومات لا قاعدة لها تعتبر وليدة المصادفة في كثير أو قليل»^٣.

وقد تبيّن لأهمية توضيح خطأ هذا الظن مؤرخ بغداد الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م وألف كتابه الهام «تقييد العلم» ليوضح فيه خطأ هذه الفكرة.

وكان أول من اكتشف هذا الكتاب المستشرق الألماني شيرنجر Sprenger سنة ١٨٥٥ وكتب مقالا موسعاً حول التدوين المبكر للرواية الإسلامية نقل فيه

^١ يوسف العثي، مقدمة كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي -
Sezgin, F., GAS I, 236

^٢ Sauvaget, J., Introduction à l'histoire de l'Orient musulman pp. 29 - 30

نصوصاً منه وأثبت عدم صحة الرأي القائل بأن الحديث كان يُتداول أساساً بالرواية الشفوية^١. ثم اعتمد جولديزهر Godziber على هذا المقال وأضاف إليه نصوصاً أخرى تُثبت أيضاً أن القول بأن الحديث كان يُتناقل حفظاً ليس إلا مجرد وهم وخطأ. مع ذلك فقد ذَهَبَ جولديزهر إلى أن مؤلفي مجموعات الحديث في القرن نفسه مثل «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» لم يتقوا مادتهم من مصادر مُدَوَّنة موجودة بل اعتمدوا في ذلك على مصادر شفوية، وهو حال كتب الفقهاء أيضاً^٢. ويرى جولديزهر كذلك أن التَّحْرُجَ الديني والاهتمامات العقائدية للفرق الإسلامية قد دفعت في وقت تال إلى كراهة تدوين الحديث، وبذلك عاد الرأي الخاطيء إلى الظهور مرة أخرى^٣. غير أن جولديزهر تبني في الوقت نفسه فكرة كان مسارها النحو التالي:

«ليس هناك ما يمنع افتراض أن الصحابة والتابعين أرادوا المحافظة على أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما نهى عنه، فقاموا بتقييدها خوفاً عليها من الضياع . . . أو كان من الجائز أن تترك أقوال الرسول لمصادفات الحفظ في الصدور في مجتمع كانت الأقوال الماثورة للناس العاديين تحفظ فيه بالتدوين»^٤.

ثم توافر على درّس هذه القضية العالم التركي فؤاد سزجين في كتابه «تاريخ التراث العربي»^٥ الذي يعدُّ أحسن ما كتب في هذا الموضوع، ووَصَلَ فيه إلى

^١ Sprenger, A., «On the Origin of Writing down Historical Records among the Muslims», *JRSB* XXV (1856), pp. 303 - 329, 375 - 381.
^٢ Goldziher, I., *Muhammadianische Studien*, Halle 1890, p. 194 s.
^٣ فؤاد سزجين - «أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية» في كتاب محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية (منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ١٩٨٤)، ١٣٢.
^٤ نفسه ١٣٣.
^٥ Sezgin, F., *Geschichte des arabischen Schrifttums*, I- IX, Leiden - Brill 1967-1990

نتائج هامة ساعتمد عليها فيما يلي . فهو يرى أن هذا المفهوم الخاطئ والغريب يرجع إلى سوء فهم الرواية الإسلامية ذات الشكل المتميز الفريد . فمن الحقائق المعروفة بصفة عامة أن أقدم المصادر التي وصلت إلينا وتدين لها بما نعرفه عن القرون الأولى للإسلام وعن التطور العلمي في ذلك الوقت ، تُقدِّم لنا مادتها في الأغلب الأعم مصحوبة بأسانيدھا التي نشأ لبحث خصائصھا المتميزة علم من علوم الحديث هو علم «الترجح والتعديل» .

فقد دقعت الحوادث التاريخية وعلى الأخص ما يتعلّق منها بالخلافات السياسية إلى إنشاء ما عُرف بـ«الإسناد»^١ في وقت مُبكر من الحياة الفكرية في صدر الإسلام . وقد حدّد يوسف هوروفتس Horovitz . لزمن نشأته في الثلث الأخير من القرن الهجري الأول ، فقد كان لزاماً على من يروي خبراً سواء تعلّق بنصّ ديني أم بغير ذلك أن يذكر شاهداً أو أكثر ، وكانت هذه هي مهمة الإسناد في البداية^٢ .

وبناء عليه يُؤكّد فؤاد سزجين أن كتب علم أصول الحديث وكذلك الأخبار والقصاص التي وصلت إلينا في المصادر تُثبت في وضوح حقيقة أن الإسناد كان يشير منذ البداية إلى نصوص مُدوَّنة .

فإذا أراد الباحث تقدير قيمة المواد المتعلّقة بالقرنين الأول والثاني للهجرة في المصادر التي وصلت إلينا اعتماداً على الإسناد ، فعليه أن يتحرّر من الآراء القائلة بأن هذه الأخبار ظلّت تُداول شفهاهاً على مدى مائة وخمسين عاماً ، أو أن المُحدّثين قد اخترعوا الإسناد في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة وأضافوه إلى الأخبار فدوَّنت به بعد ذلك ، وعليه أن يتنظر إلى هذه المؤلفات باعتبارها كتباً مجموعة من مصادر مُدوَّنة تعود بدورها إلى مصادر مُدوَّنة أقدم^٣ .

^١ انظر مقال فؤاد سزجين المذكور أعلاه في الهامش رقم ٣ ص ٧٤ .
^٢ Sezgin, P., GAS I, 240, 241

فمن المعروف أن بعض خلفاء الأمويين حثّوا على جَمْع الأحاديث وعلى الأخص عمر بن عبدالعزيز (٩٧ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م) الذي كلّف أبا بكر محمد بن حَزْم المتوفى سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٩ م بهذه المهمة وقال له:

«انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنّة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله»^١.

وتذكر الأخبار أن أبا بكر محمد بن حَزْم شكّا للإمام مالك ضياع هذه المجموعات، ولذلك فإنه لم يشتهر بهذا العمل شهرة معاصره أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزُّهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م الذي تذكر المصادر أنه كان «أوّل من أسند الحديث» وأيضاً «أوّل من دوّن الحديث» وأصبح له بذلك دورٌ كبيرٌ في تاريخ الحديث و«تاريخ التدوين»^٢.

فاهتم الزُّهري بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث. وكان عليه - وهو أحد التابعين - أن يبحث عن أوائل التابعين وكذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه أحاديثه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث. وكان ذلك ممكناً لرجل مثل الزُّهري الذي نجح في كتابة أسماء هؤلاء في نصوص وأن يجعلها تُروى بعد ذلك.

أما دوره في تدوين الحديث فالمقصود به أنه أوّل من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة، فواقع الأمر أن تدوين الأحاديث يرجع إلى وقت مبكر حيث سُجّلت في «كراريس» صغيرة أطلق عليها اسم «الصحيحة» أو «الجزء»، ولم يكن على الزُّهري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المنتشرة في صحف وكراريس مختلفة وأن ينظر فيها وقد سبقه إلى ذلك كما ذكرنا أبو بكر محمد بن حَزْم بتكليف من عمر بن عبدالعزيز^٣.

^١ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨: ٤٨٠.

^٢ Sezgin, F., GAS I, 56.

^٣ Ibid I, 280, 281.

وقد تبع مرحلة تدوين الروايات وجمع النصوص المتفرقة مرحلة تالية في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي رُتبت فيها هذه المادة ترتيباً موضوعياً وفق الموضوعات المختلفة في فصول أو أبواب وهو ما عرف بـ «تصنيف الحديث». كان ذلك في وقت عرفت فيه الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي عمومًا مَدُونَات جامعة، فألف كل من محمد بن إسحاق وأبي مخنف لوط بن يحيى وعَوَانة بن الحَكَم مدوناتهم في التاريخ، ووُجِدَ في مناطق مختلفة في العالم الإسلامي عددٌ من علماء الحديث وُصِفُوا بأنهم أولٌ من صَنَفَ الحديث منهم ابن جَرِيح المتوفى سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م في مكة ومَعْمَر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م في اليمن، وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما في البصرة، والأوزاعي في الشام والإمام مالك في المدينة، وسُفْيَان الثَّوْرِي في الكوفة والليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة وعبدالله بن وهب في مصر.

«وكان العلماء قبل ذلك يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة»^١.

وأقدم الكتب التي وصّلت إلينا من تلك الفترة كتاب «الجامع» لمَعْمَر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م (روته نسخة في مكتبة صائب اندي بانقره تحت رقم ٢١٦٤ في ٧٩ ورقة كتبت سنة ٨٣٦٤)، وكتاب «المناسك» لقنادة السدوسي برواية سعيد بن أبي عروبة (روته نسخة في الظاهرة بدمشق في مجموع برقم ١٢/٤١)، و«الجامع» لربيع بن حبيب البصري^٢.

وحتى نستطيع أن نُقَوِّم الأخبار التي وصّلت إلينا في المجالات المختلفة تقويمًا تاريخيًا صحيحًا، علينا أن نبحت «الرواية الإسلامية» من ناحية الشكّل،

^١ الذهبي: تاريخ الإسلام (ط. القدسي) ١: ٥ - ٦، أبو الحسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١: ٣٥١.

^٢ Sezgin, F., GAS 1, 58.

ولهذا الجانب أهمية كبرى في دراسة حركة التأليف باللغة العربية في القرون الأولى، أعنى به «تحمُّلُ العلم» أي مناهج تلقي العلم أو أخذه، فهذا الجانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ولا نعرف له في الحضارات الأخرى شبيهاً وهذا هو السبب الأساس لما حدّث من سوء فهم في الدراسات الحديثة.

ومن ناحية أخرى يرى المستشرق ألوارد Ahlwardt أن استخدام الكتابة في تدوين قصائد الشعر الجاهلي لم يبدأ قبل نهاية القرن الأول الهجري، وأن المدى الزمني بين عصر الشعراء وعصر جمع أشعارهم وتدوينها قد يصل إلى مائة وخمسين عاماً أو أكثر، وأن «رواية الشعر» كانت على مدى الأجيال شفاهاً مما أدى إلى تعرُّض الشعر خطأ غير مقصود أو لتزييف متعمد. وقد أشار ألوارد إلى دور الرواة أثناء شرحه لكيفية حفظ الشعر القديم خلال أربعة أو ستة أجيال، فالرواة هم الحمّلة الأساسيون لعيون الشعر، شأنهم شأن القصاص المحترفين في روايتهم للأخبار التاريخية^١.

وقد مرّ تدوين الشعر العربي القديم في العصر الإسلامي - مثل الحديث - في مراحل ثلاث، هي: مرحلة التدوين المحدود وتحرير النسخ، ومرحلة جمع الأشعار المدونة والمروية شفاهاً، ثم مرحلة صنعة الدواوين. ومن المرجح أن تدوين الشعر العربي القديم قد بدأ في العقود الأولى من حكم الأمويين حيث بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان جمع الأخبار التاريخية وما يتصل بها من أشعار مثل كتاب «أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» لعبيد بن شربة، ثم بدأ العمل المركز والمنظم بجمع الشعر في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، حيث اعتمد صنّاع الدواوين بعد ذلك اعتماداً كبيراً على رواية شعر شعراء مشهورين في العصر الأموي. ومن أهم الذين قاموا بجمع الشعر في العصر الأموي أبو عمرو ابن العلاء وحمّاد الراوية وخلف الأحمر وجناد الشَّرْكَي بن القطامي والمفضل الضبي وأبي عمرو الشيباني. ويتضح من الأخبار التي نعرفها اليوم أن

قسماً كبيراً من الشعر العربي المبكر كان متاحاً في «دواوين القبائل»^١ . وكان العمل الأساسي للغمويين في القرن الثاني الهجري يقوم من ناحية على جمع دواوين الشعراء وتكوين هذه المختارات اعتماداً على تلك المجموعات ، ومن ناحية أخرى على تهذيب دواوين القبائل وإكمالها اعتماداً على ما تجمع لديهم من مواد جديدة^٢ .

وتلخص كتب مصطلح الحديث «طرق تحمل العلم» وتذكرها في أبواب خاصة بها . ومن خلال هذه الكتب نجد أن دور الراوي وواجبه يتحددان في أن الراوي يروي نصوصاً وصلت إليه مَدُونَةٌ أو دَوْنُهَا هو بنفسه ، وذلك بغض النظر عن حفظه للنص أو عدم حفظه له . ويُكوّن ذكر الرواة عند رواية النص مرة أخرى سلسلة الرواة المعروفة بالإسناد^٣ .

ويضارع دور رواة الأدب في العصر الإسلامي وطريقتهم دور الرواة وطريقتهم في المجالات الدينية . وتتضح وظيفة الرواة في العصر الأموي من خلال بعض الأخبار القليلة المهمة التي تفيد أنهم كانوا يُقَيّدون الشعر بعد إتمام الشاعر له وأنهم كانوا يصفقونه^٤ .

وإذا كان المُحدِّثون يشيرون إلى علاقتهم بمصادرهم عن طريق ذكر الرواة ، فإننا غالباً ما نفتقد هذه الإشارات عند أدباء العصر الأموي وأوائل العصر العباسي . وترجع الأسانيد في القرون التالية أيضاً في الغالب إلى رواة القرنين الأول والثاني للهجرة فقط ، ومع ذلك فإن هناك بعض النصوص التي ترجع لسلسلة إسنادها إلى العصر الجاهلي دون انقطاع . ويرجع سبب ذلك إلى كون الشعر يعود إلى عصر أقدم من عصر الحديث الشريف ، وأن رواة الشعر كانوا

^١ Sezgin, F., GAS II, 24 - 25.

^٢ Ibid., II, 26.

^٣ Ibid., II, 27.

^٤ Ibid., II, 28.

أقل ، وأنه لم يكن هناك مانع ديني من رواية الشعر دون ذكر الرواة ، ويرجع ذلك أيضاً إلى أن طرق الرواية التي كانت ملزمة في علم الحديث لم تنتقل إلى مجال رواية الشعر إلا في وقت متأخر نسبياً^١ .

ولا شك أن المصطلحات التي أوردها ابن النديم في فهرسته مثل «صنّع» و «جَمَع» و«رَوَى» تدل على نشاط في التأليف في هذا الوقت المبكر^٢ .

طرق التأليف

تَنَوَّعت طرق التأليف عند المؤلفين المسلمين حسب الفنون التي ألفوا فيها مثل الحديث والشعر واللغة والتاريخ وعلوم الدين . . . إلخ . وتتراوح هذه الطرق بين الأنواع الآتية :

الرِّوَاية - الصَّنعة والعمل - الترجمة والنقل - التجريد - التذييل - التتمة - الأمالي - المجالس - الاختيارات - الشَّرْح - الجَمْع - الاختصار .

وكان القدماء عادةً ما يُقَسِّمون مؤلفاتهم على أنواع والأنواع على مقالات والمقالات على أبواب ، فيذكر ابن النديم أن علي بن سهل الطُّبْرِي جعل كتابه «فردوس الحكمة» أنواعاً سبعة والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة والمقالة تحتوي على ثلاثمائة وستين باباً^٣ .

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها الحضارة العربية الإسلامية نقل علوم الأمم القديمة إلى اللغة العربية وبذلك كان لحركة الترجمة ونقل الكتب القديمة دوراً أساسياً في التأليف . ويُعدُّ خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بـ «حكيم آل مرَّوان» أول من اهتم بالصَّنعة وفكَّر في نقل الكتب القديمة في موضوعات الطب

^١ - Sezgin, F., GAS II, 29

^٢ - Ibid., II, 30

^٣ - ابن النديم : الفهرست : ٣٥٤ .

والنجوم والكيمياء، يقول ابن النديم أنه :

«أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تَفَصَّحَ بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصَّنَعَة من اللسان اليوناني والقبطني إلى العربي. وهذا أولُ نُقْلٍ كان في الإسلام من لغة إلى لغة»^١.

ولكن حركة الترجمة الكبرى لم تبدأ إلا مع «بيت الحكمة» الذي أنشأه العباسيون في بغداد في عصر هارون الرشيد حيث ذكر ابن النديم أن أبا سَهْلَ القُضَلِ ابن تَوَيْخَتَ

«كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد. ولهذا الرجل نُقْلٌ من الفارسي إلى العربي ومَعَوَّكُه في علمه على كتب الفرس»^٢.

فقد نُقِلَ الفرس في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية، ونُقِلَ هذه الكتب إلى اللغة العربية عبدالله بن المُفَضَّل وغيره من التَّفَلَّة^٣.

كما نصَّ ابن جُلُجُل الأندلسي على أن الرشيد قَدَّد يوحنا بن ماسويه «ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقره وعمورية وبلاد الروم حين سبأها المسلمون ووضعها أميناً على الترجمة ووَضَعَ له كِتَابًا حَذَاقًا يَكْتُبُونَ»^٤.

ثم ازدهرت حركة الترجمة والنقل في عصر الخليفة المأمون الذي بعث إلى إمبراطور بيزنطة يطلب إليه أن يبعث له من يختار من العلوم القديمة الموجودة عند البيزنطيين، فأجابته إلى ذلك بعد امتناع، يقول ابن النديم :

«فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجَّاج بن مطر وابن البطريق وسليمان صاحب بيت الحكمة وغيرهم. فأخذوا مما وَجَدُوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أَسْرَهُم بنقله فَنُقِلَ. وقد قيل إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم»^٥.

^١ ابن النديم : الفهرست ٤١٩، ٣٠٣. ^٢ نفسه ٣٣٣.

^٣ نفسه ٣٠٣.

^٤ ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٥ : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١ : ١٧٥.

^٥ ابن النديم : الفهرست ٣٠٤ : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١ : ١٨٧.

ومن اعتنى كذلك بإخراج الكتب من بلاد البيزنطيين بنو شاذان المنجم :
محمد وأحمد والحسن وبذلوا في سبيل ذلك الرغائب وأرسلوا لهذا الغرض
حنين بن إسحاق وغيره فجاءوا إليهم من بيزنطة ، كما يقول ابن النديم :
«بطراف الكتب وقرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى
والأرثماطيقي والطب»^١.

وكان بنو المنجم يرزقون جماعة من الثقل على نقل الكتب إلى العربية منهم
حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم ما قيمته خمسمائة
دينار في الشهر للنقل والملازمة^٢.

وأورد ابن النديم وحاجي خليفة أسماء الثقل من اللغات القديمة إلى اللسان
العربي ، من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية^٣ . ومن أشهر هؤلاء
الترجمين يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون ، الذي قال عنه ابن جُلجل :
«كان أميناً على الترجمة حسن التأديب للمعاني بكيء اللسان في العربية ،
وترجم كثيراً من كتب الأوائل ، وهو ترجم كتاب أرسطاطاليس إلى الإسكندر
المعروف بـ "سر الأسرار" ، وهو كتاب "السياسة في تدبير الرياسة"^٤ .

وحثّ بن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٤م الذي وصفه ابن
النديم بأنه كان

«قصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية دار البلاد في جمع الكتب
القديمة ودخل بلد الروم وأكثر نقوله لبني موسى»^٥ .

كما قال عنه ابن جُلجل :

«تلميذ يوحنا بن ماسويه عالمًا بلسان العرب ، قصيحاً باللسان اليوناني جداً

^١ ابن النديم : الفهرست ، ٣٠٤ .

^٢ نفسه ، ٣٠٤ .

^٣ نفسه ، ٣٠٤ - ٣٠٥ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ٣ : ٩٧ - ١٠٠ .

^٤ ابن جُلجل : طبقات الأطباء والحكام ، ٦٧ وانظر ابن النديم : الفهرست ، ٣٤١ - ٣٤١ .

^٥ ابن النديم : الفهرست ، ٣٥٢ .

بارعاً في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين اختير للترجمة واتمن عليها . وكان المتخير له جعفر المتوكل على الله ووضَّح له كُتَابًا نحارير عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصَّحَّح حنين ما ترجموه كإصطفان بن بسيل وخبيش وموسى بن أبي خالد الترجمان ويحيى بن هارون^١ .

وقال ابن أبي أصيبعة :

«أن حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه . . . وتقلَّم له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرةً وخصوصاً من كتب جالينوس بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية . وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدرامية فيهم بما لم يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه»^٢ .

وأضاف أن المأمون لما أراد نقل كتب أرسطو طاليس

«أحضر حنين بن إسحاق إذ لم يجد من يضاهاه في نقله وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية ويدل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل»^٣ .

وكانت عناية حنين بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس حتى أنه قلَّ أن يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهو ينقل حنين أو بإصلاحه ما نقله غيره حتى أن ما نقله غيره من كتب جالينوس كان لا يعنى به ولا يُرغَّب فيه مثل ما كان ينقل حنين وإصلاحه^٤ . وقد رأى ابن أبي أصيبعة أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين بن إسحاق ، وبعض هذه الكتب عليه تنكيت بخط حنين بن إسحاق باليوناني وكانت على هذه الكتب علامة المأمون مما يدل على أنها من بين كتب بيت الحكمة ببغداد^٥ .

وأما ابنه إسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م فيقول عنه ابن النديم :

١ ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٨ - ٦٩ ابن أبي أصيبعة : عيون ١ : ١٨٩ .
٢ ابن أبي أصيبعة : عيون ١ : ١٨٦ .
٣ نفسه ١ : ١٨٦ ، ١٨٧ .
٤ نفسه ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ .
٥ نفسه ١ : ١٨٧ .

«كان مثل أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك»^١.
وأضاف ابن أبي أصيبعة عند ذكره لإسحاق أنه
«اشتهر وتَمَيَّز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة إلا أن جُلَّ عنايته كانت
مصروفة إلى نقل الكتب الحكمية مثل كتب أرسطوطاليس وغيره من
الحكماء»^٢.

وذكر أبو مَعَشَر في كتاب «المذاكرات»

أن حَقَّاق التراجمة في الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ويعقوب بن
إسحاق الكندي وثابت بن قُرَّة الخزازي وعمر بن الفوخان الطبري»^٣.

وكثيراً ما كان النقل يتم من خلال لغتين من اليونانية إلى السريانية - حيث أن
عددًا ضخمًا من المؤلفات اليونانية تم ترجمته بالفعل إلى تلك اللغة من أجل
المسيحيين الناطقين بالسريانية - ثم من السريانية إلى العربية بسبب انتشار هذه اللغة في
العراق، غير أنه بمرور الوقت بدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية ؛ فكتاب
باري أرمنياس ترجمه حنين بن إسحاق إلى السرياني ثم نقله إسحاق بن حنين
إلى العربي^٤. وكتاب أنالوطيقا الثاني ترجم حنين بعضه إلى السرياني ثم نقله
إسحاق بشمامه إلى السرياني أيضًا ثم نُقِلَ مَتَى بن يونس نُقِلَ إسحاق إلى
العربية. كذلك فقد نقل حنين بن إسحاق المقالة الثانية من نص كتاب السماع
الطبيعي لأرسطو بشرح الإسكندر الأفروديسي من اليونانية إلى السريانية ثم نُقِلَ
يحيى بن عَدَى هذا النقل إلى العربية^٥.

وأحيانًا كان يتم إصلاح النقل أي مراجعته، فقد نُقِلَ أبو روح الصابي
«كتاب السماع الطبيعي» لأرسطو وأصلح هذا النقل يحيى بن عَدَى^٦. كذلك
فإن كتاب «الحشائش» لديسقوريدس المعروف أيضًا بـ «الأدوية المفردة» نقله

١ ابن النديم : الفهرست ٣٢٣، ٣٥٦. ٢ ابن أبي أصيبعة : حبرون ١ : ١٨٨. ٣ نفسه ١ : ٢٠٧.
٤ ابن النديم : الفهرست ٣٠٩. ٥ نفسه ٣٠٩. ٦ نفسه ٣١٠.

اصطَفَقَنَ بن بسيل من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ولكنه لم يستوف الأسماء العربية كلها لعدم معرفته بما يقابلها باليونانية وتَصَفَّحَ هذه الترجمة حين ابن إسحاق فَصَحَّحَهَا وأجازها^١.

ويُظَنُّ أن ابن النديم ألف كتابه «الفهرست» أولاً عن الكتب اليونانية والترجمة وأسماء المترجمين والنقلة، كما يتضح ذلك من نسخة مخطوطة من الكتاب محفوظة بمكتبة كوبريلي بإستانبول تحت رقم ١١٣٥ كتبت سنة ٦٠٠هـ. وهي نسخة قائمة بذاتها وتحتوي على أربع مقالات فقط وهذه المقالات تطابق المقالات السابعة إلى العاشرة من الكتاب. ولعل ابن النديم كان كتابه في الأصل على هذه المقالات ثم جعل كتابه شاملاً لكل الفنون فأضاف إليه المقالات الست الأولى وصار بذلك في عشر مقالات^٢.

ويرى والدي المرحوم فؤاد سيد أن أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية، وأنهم أكثرها من النَّقْل والترجمة عن هذا الطريق. ولكننا لم نظفر - إلا قليلاً جداً - بنصوص عربية عن اللغات اللاتينية، ولعل كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلْجُل الأندلسي الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ هو أول كتاب استفاد من هذه الترجمات التي يرجح أنها تمت في عصره أو قبله بقليل^٣.

والنوع الثاني من التأليف الذي ساد عند العرب المتقدمين هو «الأمالي» التي بدأت في الانتشار وأصبحت ظاهرة عامة على مشارف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكانت متمركزة في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ومركز الحركة العلمية ومقصد العلماء والأدباء من شتى بقاع العالم الإسلامي^٤.

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٤: ٤٦ - ٤٧.

^٢ فؤاد سيد: مقدمة طبقات الأطباء والحكماء لابن جُلْجُل الأندلسي صفحة زهـ.

^٣ نفسه صفحة ز.

^٤ الخرجي: المخطوط العربي ١٣٨.

ووصف حاجي خليفة «الأمالي» بقوله :

«الأمالي هو جمع الإملاء، وهو أن يُقْمَدَ عالمٌ وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فَتَحَ اللهُ سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً يسمونه الإملاء والأمالي. وكذلك كان السلف من الفقهاء والمُحَدِّثِينَ وأهل العربية وغيرها في علومهم، فاندروا لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير وعلماء الشافعية يُسَمُّونَ مثله التعلُّيق»^١.

وكررت الأمالي في مختلف العلوم والفنون ولعل علماء الحديث واللغة هم أكثر الناس اهتماماً بهذا اللون من التأليف. فيذكر السيوطي أن الإملاء أعلى وظائف الحفاظ في اللغة، «كما أن الحُفَظَاطَ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء»، ثم يضيف :

«وقد أملى حُفَظَاطُ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملَى تَمَلِّبَ مجالس عديدة في مجلد ضخيم، وأملَى ابنُ دُرَيْدٍ مجالس كثيرة رأيت منها مجلداً، وأملَى أبو محمد القاسم بن الأثباري وولده أبو بكر ما لا يُحْصَى، وأملَى أبو علي القالي خمسة مجلدات وغيرهم»^٢.

كما أن العُكْتُكَلِمَ المعتزلي المعروف أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م أملى مائة ألف وخمسين ألف ورقة، قال القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي :

«وكان أصحابنا يقولون إنهم أحزروا ما أملاه فوجدوه نحو مائة وخمسين ألف ورقة، وما رأينا ينظر في كتاب إلا يوسأ واحداً نظراً في زيغ الخوارزمي»^٣، ورأينا بيده يوماً آخر جزءاً من «الجامع الكبير» [للشيباني] وكان يقول: إن الكلام أسهل شيء لأن العقل يدل عليه»^٣.

^١ حاجي خليفة: كشف الظنون ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨ .

^٢ السيوطي : الأزهر ٢ : ٣١٣ .

^٣ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٨٩ - ٢٩٠ .

وأخصى حاجي خليفة كتب «الأمالي» وعقد لها فصلا في كتابه «كشف الظنون»^١، وأقدم الأمالي التي ذكرها «أمالي» الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المتوفى سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م وهي في الفقه يقال أكثر من ثلثمائة مجلدة^٢. كما أن العلماء العميان كانوا من أخرج المؤلفين للإملاء.

وربما استوعب الإملاء عدة مجالس في عدة سنين، فيروى أن أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م قال لأصحابه: «اتشظون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ما نفى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة».

وقد أملاه على أصحابه بين سنتي ثلاث وثمانين وتسعين ومائتين، وفي رواية أنه بدأ في إملائه في سنة سبعين ومائتين^٣.

ثم قال: هل تشظون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إن لله ماتت الهمم^٤.

ولعل أصحاب الطبري كانوا ورأقيه وكان من بينهم على الأرجح أبو القاسم الحسين بن حبيش الورّاق، قال:

«كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفا وثلاثين كتابا فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعته للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردّها عليّ وفيها علامات له بحمره قد علم عليها»^٥.

^١ حاجي خليفة: كشف الظنون ١: ٤٢٨ - ٤٢٣.

^٢ نفسه ١: ٤٣٠ - ٤٣١.

^٣ بالوت: معجم الأدباء ١٨: ٤٢.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ١٦٣.

^٥ بالوت: معجم الأدباء ١٨: ٨١.

وأضاف الخطيب البغدادي إشارة إلى كثرة ما ألّفه الطبري يقول :

«سمعت علي بن عبيد الله بن عبدالغفار اللغوي المعروف بالسهماني يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة»^١.

كما أملى أبو بكر محمد بن القاسم بن الأثباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م كتاب «المشكّل في معاني القرآن» في عدّة سنين ولم يتمه^٢. وقد أملى ابن الأثباري أغلب مصنفاته وقيل إنه أملى كتابه «غريب الحديث» من حفظه في خمس وأربعين ألف ورقة^٣، قال ابن النديم : «وأكثر ما كان يمليه من غير دقّتر ولا كتاب»^٤. كذلك فقد أملى أبو السّعادات ابن الشّجري المتوفى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م «أماليه» في أربعة وثمانين مجلساً^٥. ولذلك فإن كتب «الأمالى» يُطلق عليها أحياناً اسم «المجالس» مثل كتاب «مجالس العلماء» للزّجاج و«مجالس تعلّب».

ويرى المحقق الراحل عبدالسلام هارون أن هناك فرقاً دقيقاً بين لفظي «المجالس» و«الأمالى» في أصل استعمالهما وأن كلا منهما مظهر لما كان يدور من تدوين لأقوال العلماء والمتصدين للتعليم.

ف«الأمالى» كان يملئها الشيخ أو من ينوب عنه بحضرته فيتلقّفها الطلاب بالتفصيل في دفاترهم. وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه، أو يلقى إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه. وأما «المجالس» فتختلف عن تلك بأنها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء ففيها يُلقى الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه، وفيها كذلك يُسأل الشيخ فيجيب، فيُدوّن كل ذلك فيما يسمى مجلساً، ويُعتى رواية

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣.

^٢ باقرت : معجم الأديب ١٨ : ٣١٢.

^٣ نفسه ١٨ : ٣١٢.

^٤ ابن النديم : الفهرست ٨٢.

^٥ باقرت : معجم الأديب ١٩ : ٢٨٣.

المجالس كذلك بإثبات سائر ما يحدث في المجلس مما له صلة بأداء النص^١.
وكتب «المجالس» ليست في حجم كتب «الأمالي» وأفرد لها حاجي خليفة فصلا في كتابه «كشف الظنون»^٢.

وكثيراً ما اختلف لفظ الإملاء بالارتجال إذا تكرر إلقاء نص الكتاب فتختلف لذلك نسخة. فقد أملى ابن دريد كتاب «الجمهرة» بفارس ثم أملاه مرة ثانية ببغداد من حفظه، لذلك فهذا الكتاب مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان ويذكر المؤرخون أن لما أملاه بفارس علامة تُعلم من أول الكتاب، وأن النسخة التامة التي عليها المَعْرُوف هي النسخة الأخيرة. وأن آخر ما صحح من النسخ نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بجَحْجَحٍ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه^٣.

وذكر أبو علي البیهقي المعروف بالسلامي في كتاب «التف والطرف»: أن ابن دريد صحف كتاب «الجمهرة» للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال أيام مقامه بفارس فأملاه عليه إملاءً ثم قال: حدثني أبو العباس الميكالي قال: أملى عليّ الدردي كتاب «الجمهرة» من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين، فما رأته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللقيف فإنه طالع له بعض الكتب^٤.

وقد يختلف نص الكتاب زيادة ونقصاً بتعدد رواته مثل ما ذكره ابن النديم عن أبي العباس أحمد بن يحيى تَمَلَّب المتوفى سنة ٢٩١هـ / ٩٠٤م من أن له «مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع وتكلم عليه. روى ذلك عنه

^١ عبد السلام هارون: مقدمة مجالس تملب، القاهرة - دار المعارف، ١٩٦٩، ٢٣ - ٢٤.

^٢ انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ٥: ٣٨٠ - ٣٨٢.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٦٧، باقوت: معجم الأديباء ١٨: ١٣٢، القفطي: إنباه الرواة ٣: ٩٧، السيرمي:

بقية الرواة ٣١، والمزهر ١: ٩٤ - ٩٥، حاجي خليفة: كشف الظنون ٣: ٦٢٩.

^٤ باقوت: معجم الأديباء ١٨: ١٣٨ - ١٣٩.

جماعة منهم أبو بكر بن الأثيري وأبو عبدالله البيهقي وأبو عمر الزاهد وابن
درستويه وابن مقسم^١.
ويقدم لنا جلال الدين السيوطي وصفًا لطريقة الإملاء وكيفيته عند
اللغويين، يقول:

«وطريقتهم في الإملاء كطريقة المُحَدِّثِينَ سواء، يكتب المستملي أول
القائمة: "مجلس أملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا" ويذكر التاريخ،
ثم يورد المملي بإسناده كلامًا عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى
تفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيد، ومن القوائد
اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره»^٢.

ويروي لنا الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» بعض الأخبار عن
مجالس الإملاء في بغداد وخاصة مجالس الحديث نلاحظ فيها ما بلغته هذه
المجالس من ضخامة في عدد حضورها مما استدعى ظهور فئة جديدة في المجتمع
تعرف بـ «المستملين» يتولون ترديد كلمات الشيخ أو الأستاذ وراءه حتى يسمع
الناس، مثلما كان يفعل المُبَيِّعُ في المساجد الجامعة، ومن أشهر هؤلاء المستملين
شخص يعرف بهارون المستملي. فمما ذكره الخطيب نقلًا عن أبي حاتم الرازي
أن أبا أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري الأزدي:

«ظهر حديثه نحو من عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتابًا قط
ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزورا من حضر مجلسه
أربعين ألف رجل وكان مجلسه عند قصر المأمون. فبني له شبه منبر فصعد
سليمان وحضرت حوله جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره قد
فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشف وهو خلفه يكتب ما يُمَلَى، فنزل أول
شيء حديث حوشب بن عقيل، فلعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر
من عشر مرات وهم يقولون لا نسمع، فقال مستمل ومستمليان وثلاثة كل

^١ ابن النديم: الفهرست ٨١.

^٢ السيوطي: المزهر ٣١٣ - ٣١٤.

ذلك يقولون لا نسمع ، حتى قالوا : ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي ، فذهب جماعة وأحضروه ، فلما حضر قال من ذكرت ، فإذا صوته خلاف الرعد ، فسكتوا وقعد المستملون كلهم واستملى هارون ، وكان لا يستل عن حديث إلا حدث من حفظه^١ .

[وهارون هذا هو في الأرجح أبو سفيان هارون بن سفيان بن راشد المستملي المعروف بتكملة]^٢ .

وذكر الخطيب البغدادي كذلك عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن سلم أنه

قال :

« لما قدم علينا أبو مسلم [إبراهيم بن عبدالله بن مسلم] الكجبي أملى الحديث في رحبة غسان ، وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه . وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم الحابر ، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بحبرة فيبلغ ذلك نيفاً وأربعين ألف محبرة سوى النظارة^٣ . »

وذكر ابن الجوزي أن أبا بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي التوفي سنة ٣٠١هـ / ٩١٣ م لما ورد إلى بغداد اجتمع له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه

« فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقبل نحو ثلاثين ألفاً ، وكان المستملون ثلثمائة وستة عشر . . . وكان في مجلسه من أصحاب الحابر من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان^٤ . »

وقدّم لنا الخطيب البغدادي عن يوسف بن عمر القواسم وصفاً لمجلس القاضي الحاملي يقول :

« حضرت مجلس القاضي الحاملي وكان له أربعة مستملين يستملون عليه وكتب لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمع من لفظ المحدث فقامت

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٩ : ٣٣ .

^٢ نفسه ١٤ : ٢٤ .

^٣ نفسه ٦ : ١٢١ - ١٢٢ ابن الجوزي : المتظم ٦ : ٥٠ .

^٤ ابن الجوزي : المتظم ٦ : ١٢٤ الصفي : الوافي ١١ : ١٤٦ .

قائماً لأنني كنت بعيداً من المحاملي بحيث لا أسمع لفظه، فلما رأني الناس
أفرجوني وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير»^١.
وذكر الخطيب أيضاً أن المعتصم وَّجَّه بمن يحزر مجلس عاصم بن علي بن
عاصم في رَحْبَةِ النخل التي في جامع الرُّصَافَةِ و قال:

«وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناس في
الرَّحْبَةِ وما يليها ويمظم الجمع جدًّا حتى سمعته يوماً يقول: حدثنا الليث بن
سعد، وُتِّعِدَ فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون قال: وكان هارون
المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها، فبلغ المعتصم كثرة الجمع فأمره
يحزروهم فوجه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف»^٢.

وما أورده الخطيب البغدادي عن وصفه مجالس الإملاء يدلنا على مدى
إمكانية اختلاف نسخ المستمليين بحسب موقعهم قُرْبًا أو بُعْدًا من المملي.

ونظراً لاختلاف الإملاء أو زيادة المملي لفصول على كتابه فقد كان المؤلفون
يقومون بمعارضة الإملاء الأول بالإملاء الأخير لاستخراج نص يرضونه مثال
ذلك ما ذكره ابن التميمي من أنه قرأ بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي
على كتاب «الياقوت» في اللغة لأبي عمر الزاهد:

«كان أبو عمر محمد بن عبد الواحد صاحب أبي العباس ثعلب ابتداءً بإملاء
هذا الكتاب، كتاب «الياقوت»، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ست
وعشرين وثلثمائة في جامع المدينة، مدينة أبي جعفر، أرجمالا من غير كتاب
ولا دستور، فمضى في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره،
وكتبت ما أملاء مجلساً يتلوا مجلساً، ثم رأي الزيادة فزادني أضعاف ما أملى
وارجمل يواقيت آخر، واختص بهذه الزيادة أبا محمد الصَّغَارَ لملازمته وتكرير
قراءته لهذا الكتاب على أبي عمر، فأخذت الزيادات منه. ثم جمع الناس
على قراءة أبي إسحاق الطبري له، وسمي هذه القراءة القَدْكَة فقرأه عليه

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٦.

^٢ نفسه ١٢: ٢٤٨.

وسمعه الناس . ثم زاد فيه بعد ذلك ، فجمعت أنا في كتابي الزيادات كلها . وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث ليال يقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وثلثمائة إلى أن فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة . وحضرت النسخ كلها عند قرأتني نسخة أبي إسحاق الطبري ونسخة أبي محمد الصفار ونسخة أبي محمد بن سعد القطرثولي ونسخة أبي محمد الحجازي ، وزادني في قراءتي عليه أشياء وتوافقنا في الكتاب من أوله إلى آخره . ثم ارتجبل بعد ذلك بواقيت آخر زيادات في أضعاف الكتاب واختص بهذه الزيادة أبا محمد وهب فلامسته ، ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق الطبري عليه هذا الكتاب ، وتكون آخر عرضة يقرر عليها هذا الكتاب ، ولا يكون بعدها زيادة وسمى هذه العرضة المحرابية . واجتمع الناس يوم الثلاثاء من جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة في منزله بحضرة سكة أبي العنبر ، فأملئ على الناس ما نسخته :

* قال أبو عمر محمد بن عبيد الواحد : هذه العرّضة هي التي تقرر بها الأستاذ أبو إسحاق الطبري آخر عرضة أسمعها ، بعده فمن روى عني في هذه النسخة وهذه العرّضة حرقاً وليس هو من قولي فهو كتاب علي ، وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس ، وأنا أسمعها حرقاً حرقاً *

قال أبو الفتح : وبدأ بهذه العرّضة يوم الثلاثاء لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة^١ .

وسبب ذلك أن أبا عمر الزاهد هذا المتوفى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م كان كما يقول ابن الجوزي :

«غزير العلم كثير الزهد ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيعما يلغني . وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف»^٢ .

^١ ابن النديم : الفهرست ٨٢ - ٨٣ القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٧٥ - ١٧٦ .
^٢ ابن الجوزي : المتكلم ٦ : ٣٨٠ .

وهكذا فإن غمط الإملاء في اللغة كان شائعاً في المصدر الأول للإسلام ثم انقطع إملاء اللغة دَهْرًا طويلاً بسبب موت الحفاظ وإن استمر إملاء الحديث، يقول السيوطي:

«ولما شَرَعَتْ في إملاء الحديث سنة الثنتين وسبعين وثمانمائة وجدَّته بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة مات الحفاظ أبو الفضل ابن حجر (السَّكَلَانِي) أردت أن أجِدَّ إملاء اللغة وأحبيه بعد دثوره، فأملت مجلساً واحداً لم أجد له حَمَلَةً ولا من يرغب فيه فتركته. وآخر من عَلَّمْتَهُ أَمَلَّ على طريقة اللغويين أبو القاسم الزَّجَّاجِي، له أمال كثيرة في مجلد ضخيم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ولم أقف على أمال لأحد بعده»^١.

وقد وَصَفَ الإمام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السَّمْعَانِي المتوفى سنة ١١٦٦/٥٦٢م في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» ما يَحْتَاجُ إليه السَّمَلِي والمُسْتَمَلِي، وعلى الأخص في علم الحديث، وما يَتَطَلَّبُ في كل منهما^٢.

^١ السيوطي: الزهر ٢: ٣١٤.

^٢ السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، نشره ماكس فيسفيار، ليدن-بريل، ١٩٥٢.

اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية

عرّف العلماء المسلمون منذ بدايات التدوين تفاوت أقدار النسخ المختلفة للكتب العلمية، وقَدَّروا أهمية هذه النسخ وفقاً لمعايير مازالت هي المعايير التي يرجع إليها اليوم العلماء المحققون عند نقد النصوص القديمة ونشرها. وتتراوح هذه المعايير بين: قَدَمُ النسخة وصحتها أو مقابلتها بغيرها.

والقَدَمُ يعني أن تكون النسخة أصلاً كتبها المؤلف بخطه أو عليها خطه أو قُرأت عليه، أو أن تكون قد طالعها بعض العلماء وقُوبلت على نسخ معتبرة، كذلك فإن بعض النسخ تستمد قيمتها من كونها قد كتبها بخطه عالم شهير أو تملّكها أحد العلماء أو تداولها أكثر من عالم واحد ووجدت عليها سماعات أو قراءات أو إجازات تفيد ذلك، وفي كل الأحوال فقد كان قَدَمُ النسخة نوعاً من الضمان لصحتها واعتمادها.

وعلى ذلك فإن العلماء القدماء كانوا دائماً ما يشيرون إلى اقتنائهم أو اطلاعهم على كثير من المؤلفات التي بخطوط مؤلفيها أو طالعها واستفاد منها علماء مشهور لهم، وسمّى عبدالقادر البغدادي أمثال هذه النسخ فيما رجع إليه «نسخاً صحيحة مقرّوة وعليها خط العلماء»^١، وبعض هذه النسخ وصل إلينا شاهداً على عناية المؤلفين والعلماء المسلمين وتقديرهم لأمثال هذه النسخ، وكثيراً ما كانوا يذكرّون - إذا لم تكن النسخة في حوزتهم - الخزّانة التي اطّلعوا

^١ البغدادي: خزّانة الأدب ٥: ١١٣.

فيها عليها، ولكن هذا التقليد لم يشع إلا في العهود المتأخرة^١، حتى إن المستشرق برجستراسر لاحظ أن علماء العرب كانوا أكثر تقديراً لقيمة المخطوطات المكتوبة بخطوط مؤلفيها عن علماء الغرب^٢.

وقد جَمَعَتْ من خلال مطالعتي لمؤلفات أربعة من العلماء الذين اشتهروا بجمع الكتب والاعتناء بها، معلومات هامة عن تقدير القدماء لهذه النسخ التي أفادوا منها، بالإضافة إلى ضبطها وتحريرها بمعلومات كثيرة عن تاريخ تأليفها أو تواريخ وفيات كتّابها من خلال تاريخ الفراغ من كتابة النسخة الذي يُطلق عليه ال Colophon، وكذلك بما عليها من إجازات وسماعات وقراءات وتقييدات. وهؤلاء المؤلفون هم: محمد بن إسحاق التميمي المتوفى نحو سنة ٤١٢هـ/١٠١٢م صاحب كتاب «الفهرست»، وأبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م صاحب «معجم الأدياء» و«معجم البلدان»، ومعاصره الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م صاحب «إنباء الرواه على أبناء النحاه»، ثم صاحب التأليف الضخمة صلاح الدين خليل بن أبيك الصغدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.

وقد اعتمد كل من ابن التميمي وياقوت والقفطي فيما أوردوه من معلومات عن الكثير من الكتب النادرة المتقدمة التي فقدت أصولها اليوم على عالم كوفي كان من أصحاب إمام الكوفيين في النحو واللغة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب المختصين به، هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي النحوي اللغوي المعروف بابن الكوفي المتوفى في ذي القعدة سنة ٣٤٨هـ/٩٦٠م هكذا وجد ياقوت اسمه بخطه على عدة من كتبه^٣.

١ انظر على سبيل المثال، السخاوي: الإعلان بالتبويب ٥٩٠ و٥٩٣ و٥٩٤ و٦٠٦ و٦٣١؛ الزبيدي: تاج العروس ١: ٣-٤.

٢ برجستراسر: أصول نشر النصوص ونقد الكتب ١٧.

٣ ياقوت: معجم الأدياء ١٤: ١٥٤.

قال القفطي :

«كان أبوه من ذوي اليسار من أهل الكوفة واشتغل ولده هذا بطلب العلم من يومه ، ولما مات أبوه خُلف له فيما يقال زائداً على خمسين ألف دينار فصرفها كلها في طلب العلم وتحصيل الكتب شراءً واستنساخاً وكتابةً»^١ .
ووصَّفه ياقوت بأنه

«صاحبُ الخط المعروف بالصحة المشهور بإتقان الضبط وحسن الشكل .
فإذا قيل نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط» .

وأضاف

«رأيتُ بخطه عدَّة كتب فلم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه ، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً ، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار : صحَّ صحَّ صحَّ . . وكان من جماعي الكتب وأرياب الهوى فيها»^٢ .

ولابن الكوفي بعض مؤلفات منها كتابٌ في «معاني الشعر واختلاف العلماء» وكتاب «الفرائد والقلائد في اللغة والشعر» وكتاب «الهَمْز» الذي ظل موجوداً إلى أوائل القرن السابع يقول ياقوت : «رأيتُه أنا بخطه»^٣ .

ويبدو من اقتباسات ابن النديم عن ابن الكوفي أنه كان صاحب مؤلف كبير في تاريخ الكتب اعتمد عليه في مواضع مختلفة لا سيما فيما يتعلّق بالمؤرخين واللغويين الكوفيين رغم عدم ميل الدكتور فؤاد سزجين إلى هذا الرأي الذي قال به ليبرت Lippert^٤ .

١ القفطي : إنباء الرواه ٢ : ٣٠٦ .

٢ ياقوت : معجم الأديباء ١٤ : ١٥٣ ، القفطي : إنباء الرواه ٢ : ٣٠٥ ، الصقدي : الرافعي ٢٢ : ٧١ .

٣ نفسه ١٤ : ١٥٣ .

٤ Sezgin, F., GAS I, p. 385 .

فابن النديم يذكر في أكثر من موضع «نقلت من خط ابن الكوفي»^١ أو «قرأت بخط ابن الكوفي»^٢. كما يورد قائمة مؤلفات هشام الكلبي وأبي الحسن علي بن محمد المدائني «من خط أبي الحسن بن الكوفي»^٣. وأخذ عنه كذلك كما يقول «طائفة أصبنا ذكرهم بخط ابن الكوفي فذكرناهم»^٤. ووقف ابن النديم أيضاً على «جملة أجزاء بخط ابن الكوفي فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وآثار وقعت لأبي الحسن بن التيج من كتب بني الفرات» وأضاف «وهذا من أظرف ما رأيت بخط ابن الكوفي بعد كتاب مساوي العوام لأبي العتّس الصّحري»^٥. كما وجد بخطه كذلك نسخة من كتاب «من استجيب دعوته» وكتاب «الحليل» لمحمد بن حبيب^٦.

وتكاد لا نعلم عن حياة أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق [ابن] التّدِيم البغدادي المعروف بابن أبي يعقوب الورّاق سوى أنه صاحب أوّل وأهم كتاب يؤرّخ للتراث العربي وأكثرها شمولاً حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي. وعنوان كتابه هو «الفهرست» أو «الفهرست في أخبار الأدباء» وبدأ في تأليفه عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م^٧. وقد كان ابن التّدِيم ورّاقاً يبيع الكتب في بغداد وقد أتاح له ذلك أن يرى معظم الكتب التي ذكرها وأن يُحدّد قيمتها العلمية والمادية، كما أتاحت له حرفته جمّع الكثير من مادة كتابه مما يجعلنا نثق فيما يذكره من أنه رأى هذا الكتاب أو ذلك أو شاهد نسخة منه بخط مؤلفه أو بخط أحد العلماء^٨.

^١ ابن التّدِيم: الفهرست ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٧٩.

^٢ نفسه ٣٦، ١١٧، ١٥٨.

^٣ نفسه ١٠٨، ١١٣.

^٤ نفسه ١٢١.

^٥ نفسه ١٢٣.

^٦ نفسه ١١٩.

^٧ نفسه ٣، ٩٦، ١٢٣، باقوت: معجم الأدباء ٤: ١٩٩ - ١٢٠٠، ٨: ٧٧.

^٨ راجع باقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٧، الصّغدي: الرافعي بالرفيات ٢: ١١٧، Sezgin, GAS I, 382-1147.

ورغم أننا لا نملك اليوم نسخة كاملة من «الفهرست» فقد كانت مع ياقوت الحموي في مطلع القرن السابع الهجري نسخة منه بخط ابن النديم نفسه يقول: «وجدت في كتاب فهرست ابن النديم بخط مؤلفه»^١.

وقد سبقت محاولتي ابن الكوفي وابن النديم في وضع فهرست للكتب في موضوعاتها المختلفة محاولة لوضع فهرست لمؤلفات أو كتب عالم بعينه أولها فهرست كتب عالم الكيمياء المشهور جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي، فقد ذكر ابن النديم أن:

«له فهرستًا كبيرًا يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ما ألف في الصنعة فقط»^٢.

ثم أضاف:

«ونحن نذكر جملًا من كتبه رأيناها وشاهدنا الثقات فذكروها لنا»^٣.

ويبدو أن جابر بن حيان هو الذي صنع فهرست كتبه فيقول ابن النديم في أثناء تعداد مؤلفاته:

«قال جابر في كتاب فهرسته ألفت معه هذه الكتب . . .»^٤.

كما صيغ أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي فهرستًا لكتب أرسطوطاليس نقل عنه ابن النديم ما مثاله:

«كلما قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه»

أو

«نسخت من خط يحيى بن عدي من فهرست كتبه»^٥.

وعجل حنين بن إسحاق «فهرست كتب جالينوس» رجع إليه ابن النديم في مواضع كثيرة^٦.

كذلك كان هناك فهرست لكتب أبي بكر بن زكريا الرازي نقل منه ابن النديم أسماء كتبه قائلًا:

^١ ياقوت معجم الأديباء ١٣ : ٢٤٧ .
^٢ ابن النديم : الفهرست ٤٢١ .
^٣ نفسه ٤٢١ .
^٤ نفسه ٤٢١ .
^٥ نفسه ٣١٢ .
^٦ نفسه ٣١٨ .

«ما صنَّقه الرازي من الكتب منقولة من فهرسته»^١.

أما شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، فقد كان يشتغل بالنسخ بالأجرة وبتجارة الكتب^٢ فأناح له ذلك مثل ابن النديم الوقوف على الكثير منها واقتنائها، وقام بنسخ العديد من الكتب التي وصلت إلينا نسختها. وقد أشار في مقدمة كتابه «معجم الأدباء» إلى أنه:

«جَمَعَ في هذا الكتاب ما وَقَعَ إليه من أخبار النحويين واللغويين والشَّائِبِين
والقُرَّاء المشهورين والإخباريين والمُؤرِّخين والرواقين المعروفين والكتب
المشهورين وأصحاب الرسائل المُدَوَّنة وأرباب المخطوط النسوية والمُعَيَّنة»^٣.

وحرص ياقوت على وصْف الكثير من النسخ التي وقَّعت له أو اطَّلَع عليها، وذكر ما عليها من سماعات وقراءات وإجازات، والكثير من هذه النسخ بخطوط مؤلفيها أو كتبها علماء أو عليها خطوط العلماء. وأوصى قبل موته بأوراقه ومجموعاته لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري صاحب «الكامل في التاريخ»، كان مقيماً بحلب، وعهد إليه أن يُسَيِّرَها إلى وَفد الزَّيْدِي ببغداد ويُسَلِّمَها إلى الناظر فيه الشيخ عبدالعزيز بن دلف. ولكن ابن الأثير تصرَّف في كتبه وأوراقه التي بخطه تصرفاً غير مرضي ولم يوصلها إلى الجهة المعنية برسمها بل فرقها على جماعة أراد الانتفاع بهم^٤.

وكان الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطلي جماعة للكتب حريصاً عليها جَمَعَ منها ما لا يوصف وقصد بها من الأفاق وكان كما يقول الصَّفدي:

^١ ابن النديم: فهرست، ٣٥٧.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء، ١٥، ١٨٨، القفطلي: إنباء الرواة، ٤، ٧٦ و٧٥.

^٣ نفسه، ١: ٤٨ - ٤٩، ٤: ٢٣٩، ٩: ١٢٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٦٥: ١٢٨ - ١٢٩.

^٤ القفطلي: إنباء الرواة، ٤: ٧٨.

«لا يحب من الدنيا سواها، ولم تكن له دار ولا زوجة وأوصى بها للناصر صاحب حلب، وكانت تساوي خمسين ألف دينار»^١.
ويقول ياقوت:

«لم أر مع اشتغالي على الكتب ويّمي لها ونجارتني فيها أشدّ اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان مقيماً بحلب»^٢.

لذلك فإنه يعتزّ طول صفحات كتابه «إنباه الرواه» بالإشارة إلى ما امتلكه من نسخ بخطوط مؤلفيها أو بخطوط العلماء.

وأتاح له امتلاكه لهذا الكم الكبير من الكتب المعتبرة أن يجمع مقداراً وافراً من التعليقات والتقييدات والفوائد التي تعود العلماء أن يضيفوها على ظهور الكتب كانت موضوع كتابه «نُهزة الخاطر ونُهزة الناظر في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب»^٣ وقد فُقد اليوم هذا الكتاب.

أما صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفي سنة ١٧٦٤هـ / ١٣٦٣م فهو صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» أكبر كتاب في التراجم إلى نهاية القرن الثامن وغيره من الكتب الهامة. وكتب الصفدي ما يقارب مئتين من المجلدات وكان جيّد الخط، ووجد ابن سعد بخطه

«كتبت بخطي ما يقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعل الذي كتبت في الإنشاء ضعف ذلك»^٤.

والصفدي هو أول المؤلفين الذين وصلت إلينا نماذج واقية لخطوطهم سواء لمسودات مؤلفاته أو ما دوّنه بخطه على الكتب التي تملّكها أو سمعها على

^١ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٣٣٨، ابن شاذر: فوات الوفيات ٣ : ١١٨.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٥ : ١٨٨.

^٣ نفسه ١٥ : ١٨٧، الصفدي: الوافي ٢٢ : ٣٤٠، ابن شاذر: فوات ٣ : ١١٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٥ : ٢٣٦.

^٤ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢ : ١٧٧.

المشايع أو طالعها. وأشار في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى العلماء الذين اشتهروا بجودة الخط وتحريره وصحته وما وقّف عليه مما كتبه بخطوطهم وامتلكه منها.



وقبل أن أتحدّث عن اهتمام العلماء القدماء بالنسخ النقيسة وإشارتهم إليها وكيفية استفادتهم منها، يجب أن أشير إلى أن علماءنا القدامى لم يستخدموا كلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للإشارة إلى هذه الكتب.

فكلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد والتي خَلَفها لنا القدماء، هي ترجمة لكلمة Manuscrit الفرنسية والتي لم تُستخدَم بهذا المعنى إلا في عام ١٥٩٤ م في مقابل كلمة «مطبوع»^١، وذلك بالرغم من ورود هذا اللفظ في بعض المعاجم القديمة حيث ورد أول ذكر له عند الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م في كتابه «أساس البلاغة» يقول في مادة «خطط»:

«خطَّ الكتاب يخطُّه... وكتابٌ مخطوط»^٢.

ثم تسكت المعاجم عن ذكر هذا اللفظ حتى يقابلنا مرة أخرى عند السيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م في «تاج العروس» يقول في نفس المادة:

«كتابٌ مخطوطٌ أي مكتوبٌ فيه»^٣.

لذلك فإن القدماء أشاروا إلى الكتب التي استفادوا منها أو نقلوا عنها باللفظ «الكتاب» أو «النسخة» أو «الجزء» أو «المجلد»، مثال ذلك: «تسخّت هذه الكتب

^١ من Manuscriptus أي الكتابة باليد. (Robert, P., Dictionnaire le petit Robert, Paris - Le). (Robert 1981, p. 1149).

^٢ الزمخشري: أساس البلاغة (الطبعة الثالثة) ١: ٢٤٠.

^٣ مرتضى الزبيدي: تاج العروس ٥: ١٢٩.

من جزء عتيق^١، أو «قرأت [رأيت] بخط عتيق^٢، أو «قرأت [رأيت] في كتاب عتيق^٣، أو «وجدت على نسخة قديمة»^٤، أو «قرأت في جازة عتيقة»^٥.

فمن الكتب التي وقّفَ عليها ابن النديم بخطوط مؤلفيها . كتاب «الهدايا» لأبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م وكتاب «الزهد وأخبار الزهاد» له أيضاً أكثر من مائتي ورقة^٦، وأضاف ابن النديم أن المرزباني وقّفها من أصوله التي بخطه نيحاً وعشرين ألف ورقة^٧؛ وشاهد كذلك كتاب «تعليم بعض المؤمرات» لأبي الحسن علي بن الحسن بن الماشطة قال: «رأيت بخطه»^٨، وكتاب «أشعار قرّيش» لأبي أحمد بشر المرزدي، قال: «رأيت بخط المرزدي»^٩.

ومن مؤلفات أحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب وقّف ابن النديم على كتاب «الخراج الكبير» قال: «رأيت المسوّدة بخطه نحو ألف ورقة»، وكتاب «الشرب والمناذمة» قال: «رأيت بخطه»^{١٠}. وكتاب «النبات» لأبي سعيد السكري، قال: «رأيت منه شيئاً كثيراً بخطه»^{١١}، وكتاب «المناهل والقرى» له أيضاً، قال: «رأيت بخطه»، وقّف كذلك على نسخة من كتاب «الوزراء» لابن عبدوس الجهشياري بخطه ونقل منها بقوله:

«وقرأت بخط أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب

الوزراء تأليفه»^{١٢}.

أما الكتب التي وقّفَ عليها ورأى منها نسخاً بخطوط العلماء أو الورّاقين المشهورين فكثيرة جداً. فقد كان معه كتاب لأبي العباس أحمد بن يحيى تَعَلَّب

١ ابن النديم : الفهرست ٢٧٢ .
٢ نفسه ٤٠٨ ، ٢٧١ ، ٥١ .
٣ باقرت : معجم الأدباء ٣ : ٢٦٦ ، ٤ ، ٣١ ، ٢٦ .
٤ نفسه ٤ : ٩٢ .
٥ نفسه ١٧ : ٢٣ .
٦ نفسه ١٤٨ .
٧ ابن النديم : الفهرست ١٤٩ .
٨ نفسه ١٥٠ .
٩ نفسه ١٤٣ .
١٠ نفسه ١٥٠ .
١١ نفسه ٨٦ .
١٢ نفسه ١٥ .

بخط أبي عبدالله بن مُقَلَّة الخطاط المشهور^١؛ وشاهد كذلك كتاب «الحيوان» للجاحظ في سبعة أجزاء مضافاً إليه كتاب سَمَاء «كتاب النساء» وهو الفرق بين الذكر والأنثى وكتاب آخر سَمَاء «كتاب البغال»، قال:

«رأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى

ورأى الجاحظ»^٢.

ورأى بخط أبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنتجَم قطعة من كتب أبي جعفر الطبري في الفقه، وكان ابن أبي منصور المنتجَم فقيهاً على مذهب أبي جعفر الطبري^٣.

ووقف كذلك على كتاب «القبائل الكبير والأيام» الذي جمعه محمد بن حبيب للفتح بن خاقان يقول:

«ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرث في

طلحي ثيف وعشرون جزءاً، وكانت تنقص ما يدل على أنها [كانت] من نحو

أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر. ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي

عليه من القبائل والأيام بخط السدي بن علي الوراق في طلحي نحو خمسة

عشر ورقة بخط نوك»^٤.

وشاهد أيضاً كتاب «النوادر في الغريب لأبي شبل العُقَيْلي رواية عن

الحجاج بن نصير الأثري، قال:

«رأيت بخط عتيق بإصلاح أبي عمر الزاهد نحو ثلاث مائة ورقة»^٥.

وذكر أيضاً أنه رأى بخط أبي جعفر محمد بن جرير الطبري «شيئاً كثيراً من

كتب اللغة والنحو والشعر والقبائل»^٦. كما رأى بخط السكري نسخة من كتاب

«غريب الحديث» للأصمعي في نحو مائتي ورقة^٧، ونسخة من كتاب «النحل»

^١ ابن التميمي: الفهرست ٤٥، ٥٩، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ١٠٣، ١٤٠.

^٢ نفسه ٢٠٩.

^٣ نفسه ١٦٦.

^٤ نفسه ١١٩٩ ياقوت: معجم الأديباء ١٨ : ١١٦.

^٥ نفسه ٥١.

^٦ نفسه ٢٩٦.

^٧ نفسه ٦١.

للزبير بن بكار^١، ويخط ابن الحصامي وإصلاح ابن المعتز نسخة من كتاب «مختصر ما يستعمله الكاتب» لأبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي^٢.

وتقلّ ابن النديم كذلك من خطوط العلماء وكبار الورّاقين بما مثاله:

«قرأت بخط أبي العباس ثعلب»^٣ و«قرأت أنا بخط أبي عبدالله بن مقلّة»^٤ و«قرأت بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي»^٥ و«قرأت بخط أبي الطيّب»^٦ و«قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز»^٧ و«قرأت بخط أبي الحسن علي ابن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسدي»^٨ و«قرأت بخط يحيى بن عدي»^٩. وكذلك بما مثاله: «رأيت بخط السُّكّري»^{١٠} والمقالة الأولى من كتاب «السَّماع الطيّبي» لأرسطوطاليس بترجمة إبراهيم بن الصلت: «رأيتها بخط يحيى بن عدي»^{١١}.

وأيضاً «قرأت بخط عتيق بوشك أن يكون كتب في زمان [أبي سليمان] داود ابن علي [بن داود بن خلف الأصفهاني] الظّاهري تسمية كتب أبي سليمان داود ابن علي وقد أثبتته علي ترتيب ما قرأت»^{١٢}، و«كتاب المغني المجيد، لأبي جعفر محمد بن علي بن أمية رأيت بخط عتيق»^{١٣}، أو «أسماء شراح أرسطو مكتوبة علي ظهر جزء بخط عتيق»^{١٤} و«نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمد المرّوزي»^{١٥}.

٩ نسخة ٣١٤، ٣١٢	١ ابن النديم: الفهرست ١٢٣.
١٠ نسخة ٨٦، ٧٦، ٦٠	٢ نسخة ٨٠.
١١ نسخة ٣١٢، ٣١١	٣ نسخة ٥٧.
١٢ نسخة ٢٧١	٤ نسخة ٥٩.
١٣ نسخة ١١١	٥ نسخة ٨٢.
١٤ نسخة ٤٠٧	٦ نسخة ١٠٤.
١٥ نسخة ٢٧٢	٧ نسخة ١٠٦، ١١٧.
	٨ نسخة ١٤٨.



أما الكتب التي رآها ياقوت الحموي أو اطَّلَع عليها أو تَقَلَّ عنها بخطوط مؤلفيها، فقد ذكرها بالصَّيغ التالية.

في ترجمة أبي رشاد أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد الأَخْسيكي الملقب بذي الفضائل المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٤م وكان شاعراً أديباً وَقَفَّ على ديوان شعره وقال:

«قرأت في ديوان شعره بخطه»^١.

وعندما ترجم لأبي العباس أحمد بن محمد الآبي المتوفى سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م، قال:

«صنَّف كتاباً في النحو رأته بخطه»^٢.

وذكر كتاب «تاريخ مرو» لأبي صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد ابن عبد الصمد النيسابوري المتوفى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م وقال:

«ومُسَوِّدته عندنا بخطه»^٣.

وأحياناً كان يذكر هذه الكتب بما مثاله:

«قرأت بخط هلال بن المظفر الريحاني في كتاب الفقه»^٤.

و«نقلت من خط أبي سعيد عبدالرحمن بن علي الزبدي في كتابه المسمى «جلاء المعرفة»»^٥.

و«قرأت بخط أبي سعيد عبدالرحمن بن علي الزبدي اللغوي الكاتب في كتاب «جلاء المعرفة» من تصنيفه»^٦.

و«قرأت بخط أبي حنَّان النوحدي من كتابه الذي الفه في تفریط الجاحظ»^٧.

١ ياقوت : معجم الأدياء : ٥٣ .
٢ نفسه : ٥ .
٣ نفسه : ٣ .
٤ نفسه : ١٤ .
٥ نفسه : ١١ : ٩٨ .
٦ نفسه : ١٣ : ١٩٤ .
٧ نفسه : ١٦ : ٧٨ ، ٩٥ .

وهـ قرأت في كتاب "سرعة الجواب ومداعبة الأحباب" تصنيف الحسن بن جعفر بن عبدالصمد المتوكل بخطه^١.

وهـ قرأت بخط عبدالله بن محمد بن سعيد بن ستان الحفاجي الشاعر في كتاب له ألّفه في الصرّة^٢.

وكتاب "المُدَيْل" لأبي سعد السّمْعاني نقل عنه بقوله :

"قال أبو سعد السّمْعاني في "المُدَيْل" ومن خطه نقلت"^٣.

وهـ قرأت بخط أبي سعد السّمْعاني من "المُدَيْل" بإسناده^٤.

وهـ كتاب "العروض" لعمرو بن جعفر بن محمد الزّعفراني في خمس مجلدات ضخمة رأيتها بخطه في وقف جامع حلب^٥.

وقال الحاكم أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهَرَوِي : ورأيت في كتاب "تاريخ السنين" تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن الفرات الهَرَوِي الحافظ وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء^٦.

وهـ كتاب "الذخائر في النحو" لأبي الحسن علي بن محمد الهَرَوِي في نحو أربعة مجلدات رأيتها بمصر بخطه^٧.

وهـ ديوان شعر أبي منصور ابن المُسَلّم بن علي بن أبي الحرّجّين الحلبي قال : «وله [ديوان شعر] وقت عليه بخطه الرائق»^٨.

ووقّف ياقوت على نسخة من كتاب "الوشاح" أو "وشاح الدّمِينَة" لأبي الحسن علي بن زَيْد البَيْهقي بخطه ونقل عنه بما مثاله :

"ما ذكره البيهقي عن نفسه في كتابه الذي نقلت لفظه منه من خطه"^٩ أو

"ومن شعره . . . الذي أوردته لنفسه في كتاب الوشاح . . . ونقلته من خطه"^{١٠}.

١ ياقوت : معجم الأبياء ١٥ : ٦٨ ، ٧٤ .
 ٢ نفسه ٣ : ١٣٩ .
 ٣ نفسه ٣ : ٢٢٤ .
 ٤ نفسه ١٨ : ١٣٩ .
 ٥ نفسه ١٦ : ٥٩ .
 ٦ نفسه ١٧ : ١٦٤ .
 ٧ نفسه ١٤ : ٢٩٤ .
 ٨ نفسه ١٩ : ١٩٤ .
 ٩ نفسه ١٣ : ٢٣٢ .
 ١٠ نفسه ١٣ : ٢٣٣ .

وفي ترجمته لأبي الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني قال :
«وجدت كتاب «تقاسيم الأقاليم» تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام
[٤٢٢].»^١

وعندما ذكر كتاب «شرح القصائد العشر» لأبي زكريا يحيى بن علي بن
محمد بن الحسن بن موسى بن بسطام الشيباني بن الخطيب التبريزي المتوفى سنة
١١٠٨ هـ / ١٧٠٨ م، قال :

«ملكته بخطه»^٢.

كذلك فقد وقّف ياقوت الحموي بخزينة الملك المعظم ابن العادل بن أيوب
صاحب دمشق على العديد من المؤلفات بخطوط مؤلفيها مثل كتاب «الصّحاح»
للجوهري، قال :

«وقفت على نسخة من «الصّحاح» بخط الجوهري بدمشق عند الملك
المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق وقد كتبها في سنة ست وتسعين
وثلاثمائة»^٣.

وكتاب «تنقيح البلاغة لأبي سعد محمد بن أحمد بن محمد الحميدي
المتوفى سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م، قال :

«رأيت بدمشق في خزينة الملك المعظم - نخلد الله دولته - وعليه خطه وقد
قرأت عليه في شعبان سنة إحدى ثلاثين وأربعمائة»^٤.

أما الكتب التي وقّف عليها ياقوت أو اعتمد عليها وعليها خطوط مؤلفيها
أو كتبت بخطوط العلماء والورّاقين، فأكثر من أن تُحصى.

^١ ياقوت : معجم الأديباء : ١٧ : ١٨٠ .

^٢ نفسه : ٢٠ : ٢٧ .

^٣ نفسه : ٦ : ١٨٠ ، ١٥٩ : ٣٥ .

^٤ نفسه : ١٧ : ٢١٢ .

فقد كان معه نسخة من كتاب «نظم الجثمان» لأبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهَرَوِي بخط تلميذه أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، وهو كتاب في أخبار اللغويين والنحويين، يقول في أكثر من موضع:

«قرأت بخط الأزهرى من كتاب «نظم الجثمان» للأزهرى»^١.

ونسخة من كتاب «شرح الحماسة» للمرزوقي وعليها خطه، يقول:

«وجدت خطه على كتاب «شرح الحماسة» من تصنيفه [أجاد فيه جدًا]

وقد قرئ عليه في شعبان من سنة سبع عشرة وأربعمائة»^٢.

ونسخة من «ديوان الأدب» للفارابي بخط الجوهري يقول:

«وجدت نسخة من «ديوان الأدب» [الفارابي] بخط الجوهري بتبريز وقد

كتبها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة»^٣.

ونقل من خط الجوهري بلفظ

«قرأت بخط الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري»^٤.

كما وقَّفت كذلك على خط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البَصْرِي خازن دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور ببغداد، يقول:

«قرأت بخط عبد السلام البصري في كتاب «عقلاء المجانين» لأبي بكر بن

محمد الأزهرى»^٥.

ونقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخه يحيى بن مَنْدَةَ^٦

^١ بالمرت: مجمل الأدياء ٣: ٢٤ و ٧ - ١٢٢ - ١٢٣ و ١٢ و ١٢٩ و ١٣ و ٢٠٣ و ١٧ : ٤٨.

^٢ نفسه ٥ : ٣٤.

^٣ نفسه ٦ : ١٥٩.

^٤ نفسه ٦ : ٦٣.

^٥ نفسه ٧ : ١٣٢.

^٦ نفسه ٥ : ٧٠.

- و«نقلت من خط أبي سعد السمعاني»^١.
 و«ذكره أبو سعد ونقلت من خطه»^٢.
 و«قرأت بخط أبي سعد بإسناد له»^٣.
 و«نقلت من خط أبي سعد السَّمْعَانِي بما انتخبه من طبقات أهل فارس
 وشيراز تأليف الحافظ أبي عبدالله بن عبدالعزيز الشيرازي القصار»^٤.
 وكان يشير إلى خطوط العلماء بما مثاله :
 «قرأت بخط أبي علي السُّحَّسَن بن إبراهيم بن هلال»^٥.
 و«قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن برد الخباز»^٦.
 و«قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي»^٧.
 و«نقلت من خط الإمام الحافظ حَكَّأ صديقنا ومفيدنا أبي نصر عبدالرحيم
 بن النفيس بن وهبان من كتاب "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" تصنيف
 الخليل بن عبدالله بن محمد الحافظ القاضي»^٨.

•••

وكان الوزير علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/
 ١٢٤٨م حريصاً على ذكر الكتب التي بخطوط مؤلفيها سواء ملكها أو أطلع
 عليها، مثل كتاب «تهذيب اشتقاق المبردة» لأبي محمد عبدالله بن محمد بن
 عبدالله بن علي الأشيري المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م، قال:

١ ياقرت : مجسم الأدياء : ٤ : ٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ١٢ ، ١٧٩ : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٧٣ ، ١٨ : ٢٥ .
 ٢ نفسه ٦ : ٩٧ .
 ٣ نفسه ٦ : ١٣٧ ، ١٤ : ٧٦ .
 ٤ نفسه ١٦ : ١١٦ .
 ٥ نفسه ٢ : ٦٨ ، ٥٨ : ١٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٧١ ، ١٩٢ : ١٧ ، ١٦٨ .
 ٦ نفسه ١٢ : ١٠٢ ، ٩٦ .
 ٧ نفسه ١٦ : ٢٠٦ .

«رأيتُه فأحسن فيه وهو عندي بخطه»^١.

وكتاب «غريب القرآن» لأبي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف بابن الزبيدي، قال:

«رأيتُه في ستة مجلدات يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر ملكته بخطه وقد كتب عليه أبو سيف القزويني المعتزلي شيئاً بخطه أخطأ فيه وذلك أنه نسيه إلى أبي محمد أبيه»^٢.

وكتاب «الكسوف» لأبي حنيفة أحمد بن داود الدُّيُوتُوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م، قال:

«ملكته بخطه»^٣.

وكتاب «النوادر» لأبي علي الحسن بن عُكَيْل بن الحسين بن علي بن حبيش بن سعد العتري المتوفى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م، بسرُّ من رأى، قال:

«فما رأيتُه من تصانيفه - وهو بخطه وملكته ولله الحمد - كتاب النوادر»^٤.

وكتاب «التذكرة» لأبي عبدالله الحسين بن محمد بن خالويه التحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م، قال:

«وهو مجموع ملكته بخطه»^٥.

وكتاب «التذكرة» لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، قال:

«وسأه «زهر الرياض» سبعة مجلدات رأيتها وملكته بخطه»^٦.

^١ التفتي: إياه الرواه ٢ : ١٤٠
^٢ نفسه ٢ : ١٥١
^٣ نفسه ١ : ٤٢
^٤ نفسه ١ : ٣١٨
^٥ نفسه ٢ : ١٣٢
^٦ نفسه ٥ : ٥٠

وكانت عند القفطي مجموعة من مؤلفات علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بكراع النمل يقول :

«فمن تصنيفه كتاب «السُّنْد» في اللغة كبير على الحروف ملكته،
و«المُجَرَّد» بغير استشهاد» ملكته، و«السُّنْد» فيما أُنْفَقَ لفظه واختلف
معناه ملكته، وكتاب و«الأوزان» أتى فيه باللغة على وزن الأفعال ملكته»^١.

وكذلك «شرح الجُمَل للزجاجي» لعلي بن القاسم بن يونس الإشبيلي
المقرئ المعروف بابن الرُّقَّاق المتوفى في حدود سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م وهو أربع
مجلدات كبار، قال :

«ملكته بخطه»^٢

وكتاب الانتصار «لاين الشَّجَرِي، قال القفطي :

«ولما أملى [أبو السعادات ابن الشَّجَرِي] أماليه في النحو، أراد ابن
الحشَّاب النحوي أن يسميها عليه فامتنع من ذلك، فعاد أبو السعادات على
شيء من الرد فَرَدَّ عليه فيه وبين موضع غلطه في كتاب سَمَاءُ «الانتصار» ،
وهو كتاب على صغر جَرَمِهِ في غاية الإفادة وملكته والحمد لله بخطه رحمه
الله، وقد قرأه عليه الناس»^٣.

وكتاب «الأزْهَيْة» لعلي بن محمد الهَرَوِي النحوي وهو في معاني
العوامل، قال :

«رأيت بخط ولده أبي سَهْل وملكته والحمد لله، وله مختصر في النحو
سَمَاءُ «المُرْتَد» رأيت وملكته وعليه خطه»^٤.

وعند ذكره لأبي منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد التميمي

^١ القفطي : إنبه الرواد ٢ : ٢٤٠

^٢ نفسه ٢ : ٣٠٤

^٣ نفسه ٣ : ٣٥٧

^٤ نفسه ٢ : ٣١١

المعروف بالدميك ، قال إنه :

«صنّف كتاباً في الرد على أبي الفتح بن جني في إعراب الحماسة ، وهو كتاب حسن جيد يدل على فصّاح في العربية وجودة عرض ملكته بخطه»^١ .
وذكر كذلك عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة العُقَيْلي أنه :

«تعرّض إلى " غريب الحديث " لأبي عبيد القاسم بن سلام ففقه على حروف فشارك بهذا التصنيف أهل اللغة . . . وملك هذا التصنيف وفيه ما فيه»^٢ .

وعند ذكر «مختصر كتاب العُمدة لابن رشيقي» لعثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي النحوي ، قال :

«وشاهدت هذا المختصر بحلب بخطه عند ابن القيسراني وقد زاد فيه أبواباً أخذ بها ابن رشيقي»^٣ .

كما ذكر أنه شاهد بخط السلالي النحوي القرشي الكوفي الورّاق «أن الجاحظ لما قدم من البصرة في بعض قدماته أهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات في وزارته نسخة من «كتاب» مسيبويه وأعلم بإحضارها صحبته قبل أن يحضرها مجلسه ، فقال له ابن الزيات : أوّظنت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفرّاء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ . فقال له ابن الزيات : هذه أجلّ نسختة توجد وأغربها . فأحضرها إليه فسُرّبها ووقمت منه أجمل مرقع»^٤ .

^١ الفطلي : إنباء الرواد ٢ : ٣٤٦ .

^٢ نفسه ٢ : ٢٨٦ .

^٣ نفسه ٢ : ٣٤٣ .

^٤ نفسه ٢ : ٣٥١ .

وأضاف أنه رأى في تركة هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم أبو طاهر خطيب حلب المخلفة عنه كتاب سيبويه يشبه أن يكون بخط أحد ولدي عثمان بن جني وعليه خط أبي علي الفارسي في عدة مجلدات قد عُدَّ أَحَدُهَا^١. كما رأى بخط أبي الفتح بن الأشرس النحوي النيسابوري نسخة من كتاب سيبويه قال:

«من ملكها من العلماء ضاهي بملكها ملك آل بويه»^٢.

وكانت مع القفطي أيضاً نسخة من «كتاب» سيبويه استدل بها على دخول أبي بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي إلى بغداد، يقول في ترجمته:
«دُخِلَ بغداد وقرأ القرآن على ابن بنت الشيخ أبي منصور وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه والنسخة بذلك عندي»^٣.

ولما هَجَمَ العرب على إفريقية اضطرب ابن رشيقي إلى الانتقال إلى مدينة مازر بصقلية فأكرمه أميرها وقرأ عليه بعض كتبه، يقول القفطي:

«ومن جملة ما رأيت من قراءاته عليه كتاب «المُدَّة» في صنعة الشَّعْر وهو أجَلُّ كتبه وأكبرها. ورأيت خط ابن رشيقي على نسخة منها»^٤.

وذكر في ترجمة أبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القَرَازَ القيرواني:

«له من التصانيف: كتاب «الجامع في اللغة» وهو أكبر كتاب صنَّف في هذا النوع ومنه نسخة في وَكْفِ الفاضل عبدالرحيم بن علي بالفاخرة المعزية»^٥.

كما كانت يحوزته كذلك نسخة قديمة من «شَمْسُ العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لثَنُونِ الحَمِيرِي، يقول:

^١ القفطي: إنباء الرواة: ٣ : ٣٥٥

^٢ نفسه: ٤ : ١٤٩.

^٣ نفسه: ٤ : ٣٧.

^٤ نفسه: ١ : ٣٠٣.

^٥ نفسه: ٣ : ١٨٦ الصفتي: الروافي: ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ ..

«وهو كتابٌ جيد في نوعه رأيت منه ست مجلدات من ثمانية وملكته والله الحمد فإنه وصل إليّ في الكتب الواصلة من اليمن من كتب الوالد فعمده الله بعفوه ورحمته وغفراته، وكانت عنده نسخة كاملة تبه عليها بعض أهل اليمن»^١

وكان أبو بكر القاري الرازي النحوي اللغوي المتوفى بالرّي قبل سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م، من أئمة وعلماء الرّي ينسب إلى قرية من قرأها يقال لها قار، «وكان يكتب خطًا جميلًا صحيحًا يتنافس العلماء في تحصيله بأعلى الأثمان»^٢.

وكان العلماء يستفتون بعضهم البعض في التحقق من خطوط النسخ وتملكيها، فمن ذلك ما ذكره القفطي قال:
ورأيت أنا نسخة من «غريب المصنّف» بخط أبي بكر القاري هذا، وقد كتبت في آخرها ما أنا ذاكره، وهو ما مثاله:
«الشيخ أطال الله بقاء هذه النسخة ويعرفنا ما عنده في نسبتها إلى كاتبها ومستملكها إن شاء الله»
ويعده بخط الشيخ المستول:

«أما النسخة - أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه - فحجة يرجع إليها ويتمد في التصحيح عليها، فإنه خط أبي بكر القاري رحمه الله، وكانت لأبي علي المعلم الأراطي، اشتراها منه أبو محمد الشعرائي رحمه الله لخزانة أبي الفضل ابن العميد رحمه الله بسنة عشر دينارًا مصرية.
وكان يقض بها كل من ملك من هؤلاء غاية الضن وأهل لذلك النسخة.
وكتب محمد بن الحسن الوزان الرازي».

وتحت خطه ما مثاله:

«الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن أهداه الله الثقة الأمين، لكني سمعت

^١ القفطي: إنباء الرواه: ٢: ٣٤٢
^٢ نفسه: ٤: ٩٤.

الشريف أبا طاهر محمد بن حمزة العلوي رحمه الله بقزوين يقول: اشتريت هذه النسخة من كتب الأراطي بثلاثين ديناراً مصرية، وكتب أحمد بن فارس بخطه^١.

ونقل القفطي من خط أبي الخير سلامة بن عبيد الله النحوي الكفرطابي ما مثاله:

«رأيت نسخة من "القفاض" رواية أبي بكر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد المزيز، في مجلدين»^٢.

وذكر القفطي أن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي المتوفى سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م.

«كان معنياً باللغة وحصل له كتاب "التهديب" للأزهري في اللغة وعليه خطه. ويقى عند مخالفيه إلى أن رُكِّمَت فتنه الترك بخراسان في سنة ست عشرة وستمائة فغاب خبره فيما ذهب من أمثاله من تلك الحطة»^٣.

ورأى القفطي أيضاً نسخة من كتاب "التنبيه في النحو" لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشرس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمي اللغوي قال:

«وملكتها ولله المنة وعليها [قراءة] بخط ابن فاجر النحوي البغدادي»^٤.

كما رأى نسخة من كتاب «المعارف» لابن قتيبة بخط أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى الكرمانى اللغوي، قال:

«رأيت بخطه كتاب "المعارف" لابن قتيبة وملكته وهو في غاية الحسن والصحة»^٥.

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤: ٩٤ - ٢٥.

^٢ نفسه ٤: ٩٤.

^٣ نفسه ٣: ٢١٧.

^٤ نفسه ٣: ١٥٠.

^٥ نفسه ٣: ١٥٥.

ووصف القفطي أبي الرجاء بن حرب الحلبي النحوي المتوفى بدمشق في حدود سنة ١٥٨٥هـ / ١١٨٩م، من أوراق وأها بخطه بقلة العلم وأضاف:

«ورأيت بخطه أجزاء من "الكشاف" للزمخشري في تفسير القرآن وفيها سقم ظاهر»^١.

وكان ياقوت الحموي قد شاهد بمدينة مرو نسخة من «تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السمعاني، وكتب منها نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان^٢. وذكر القفطي أن هذه النسخة ذهب خبيرها في وثقة الترك سنة سبع عشرة وستمئة ووجد على المجلد العشرين منها بخط الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ما صورته:

«ظفرت من هذه النسخة التي هي نسيج وحدها. لكونها بخط المصنف، وسلامة لفظها من التحريف والزلل، الذي لا تكاد تبرأ منه يد كاتب في كتاب خفيف الحجم، وإن أحضر ذهنه، وأمدته إقنان، وساعده حفظ ودراية، فضلاً عن عشرين مجلدة - بضالتي المشودة، فأكبت عليها إكباب الخريص، وقليتها بالمطالعة، وعلقت عندي ما فيها من الأحاديث التي خلّت عنها مصنفات أبي حنيفة والثقفى والخطابي، والأمثال التي لم تكن في كتابي الذي سميته بـ "المتقصى في أمثال العرب"، وكلمات كثيرة من الغريب المشكل، وسألت الله تنوير حفرة المصنف، وإنزاله في خلال الفردوس بفضله ورافته. وكتب محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي بمدينة مرو بخطه يده، حامداً الله ومصلياً على خير خلفه محمد وآله، بتاريخ رجب الواقع سنة ثلاث وخمسمائة»^٣.

وكان عليه بخط المؤلف ما مثاله:

«وكتب محمد بن أحمد بن الأزهري يده»

ثم بعد ذلك:

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤: ١٢١.
^٢ ياقوت: معجم الأدياب ١: ٢٢٦.

«يقول محمد بن أحمد بن الأزهر: قرأ عليّ سيدي أبو يعلى آدم الله له العزّ والتأييد هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصحّحه فأتقنه، وأسأل الله ذا السنّ والعلوّ أن يبارك له فيه، وأن يقيه كلّ محدور يمنه ورأفته، وكتبه بيده».

«وكان سيدي أبو القاسم التحوي آدم الله سعاده حاضرًا في جميع ما قرئ عليّ أو قرأ هو. وكذلك أبو يزيد القرشي، وكتبها الأزهرى بيده».

وعليه أيضًا:

«بلغ أبو سعيد الشاذكوني، وأبو عليّ النصروي، وأبو الحسن القاري».

وكان عليه بخط المطرزيّ عبيد الله الفقير إليه ناصر بن المطرزي:

«قام بمطالعة هذه النسخة بخوارزم وعارض بها نسخته عرضًا نصحيح وتنقيح، وذلك في شهور سنة خمس وستمائة»^١.

وكان مع الطبيب المؤرخ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ / ١٥٧٠ م العديد من الكتب الأصول التي ذكرها في كتابه «عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» الذي صنّفه سنة ٦٤٣ هـ، منها كتاب «الحُمَيَات» لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي خمس مقالات، قال:

«ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه ونقلت من خط أبي الحسن علي بن رضوان عليه ما قاله:

«أقول أنا علي بن رضوان الطبيب إن هذا الكتاب نافع وجَمَمَهُ رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه وبالله التوفيق والمعونة»^٢.

وكتاب «متافع الأعضاء لجالينوس» لابن أبي صادق النيسابوري، قال:

^١ اللقطة: إتياء الرواه: ٤: ١٧٤ - ١٧٥.

^٢ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنبياء: ٢: ٢٧.

«وجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ الفراغ منه في سنة تسع وخمسين وأربعمائة مؤلفاً عليه بخط ابن أبي صادق ما هذا مثاله :
 بَكَتَ المُقَابِلَةَ وَصَحَّ إِشْيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَتَبَ أَبُو الْقَاسِمِ بِخَطِّهِ»^١
 ورأى ابن خلكان معاصر ابن أبي أصيبعة نسخة من كتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي ، يقول في ترجمته :
 «وصف تاريخاً كبيراً رأته بخطه في أربعين مجلداً سماه *مرآة الزمان*»^٢.

وعلى العكس من المؤلفين السابق ذكرهم فقد وصل إلينا العديد من التسنيخ التي أشار صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي الشوفي سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى أنه تملكها أو رآها أو نقل منها أو اطلع عليها شاهدة على دقة علمائنا القدماء في توثيق أخبارهم ، فمن ذلك مؤلفات علي بن سعيد المغربي ومنها :

«كنوز المطالب في آل أبي طالب» قال :

«ملكته بخطه في أربع مجلدات»^٣.

وكتاب «الغراميات» قال :

«ملكته بخطه»^٤.

ونقل منه بقوله :

«ونقلت من خط الأديب علي بن سعيد المغربي ما ذكره في كتاب

«الغراميات» له»^٥.

وكتاب «حلى الرسائل» قال :

«رأته بخطه»^٦.

وكتاب «المشرق في أخبار أهل المشرق» ، قال :

^١ ابن أبي أصيبعة : حيون الأبيات ٢ : ٢٢ - ٢٣ .
^٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٤٢ .
^٣ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٤ .
^٤ نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .
^٥ نفسه ١٧ : ١٤ ، ٢٢٢ .
^٦ نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .

«ملكته منه ثلاث مجلدات بخطه»^١.

وأفاد منه في كتابه بما مثاله :
«نقلت من خط ابن سعيد المغربي في كتاب المُشْرَق في أخبار المُشْرَق،
قال :»^٢.

وكتاب «المُغْرَب في حُلَى المُغْرَب» له أيضاً وقال :

«وملكته بخطه»^٣.

وقد وصلت إلينا هذه النسخة عينها^٤، وهي التي كتبها علي بن سعيد المغربي برسم خزانة صديقه الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أبي جرادة المشهور بابن العديم بحلب بين سنتي ٦٤٥ و٦٤٧ هـ. ويبدو أن هذه النسخة خرجت من حوزة بني العديم بعد كتابتها بنحو قرن على الأكثر وامتلكها الصَّفدي كما ذكر في ترجمته لابن سعيد. ونحن نجد على غلاف السفر الرابع منها بخط الصَّفدي :
«طالعه وانتقى منه مالكة خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي عفا الله عنه»
وعلى غلاف السفر السادس منها بخط الصَّفدي أيضاً :
«طالعه وعَلَّقَ منه ما اختاره مالكة خليل بن أبيك عفا الله عنه» . [انظر لوحة رقم ٤]

كما كان معه «مُعْجَم» شهاب الدين أبي إسحاق إسماعيل بن كامل بن عبدالرحمن القوصي المُرْجِي المتوفى سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م، وهو مُعْجَمٌ هائلٌ خَرَّجَهُ لنفسه في أربع مجلدات ضخمة صَنَّفَهُ وهو في سجن بعليك في القلعة بعد أن غضب عليه الملك الصالح إسماعيل وسجنه هناك، لذلك فإن «فيه غَلَطٌ كثيرٌ وأوهامٌ وعجائب» ، كما يقول الصَّفدي^٥، ونقل عنه بما صيغته :
«نقلت من خط شهاب الدين القوصي في «معجمه»^٦.

^١ الصفدي : الرافعي بالرفقات ٢٢ : ٢٥٢ .

^٢ نفسه ١٨ : ٥٤٤ .

^٣ نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .

^٤ انظر عن تاريخ هذه النسخة فيما يلي ص ٣٥٢ - ٣٥٤ .

^٥ الصفدي : الرافعي بالرفقات ٩ : ١٠٥ .

^٦ نفسه ١٨ : ١٤٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٣٠٦ ، ٣٨٥ ، ٤٥٣ ، ٢٢ ، ٣٠٩ ، ٤٢٢ .

ونسخة من كتاب «شَرْح اللَّحْم» لأبي القاسم عمر بن ثابت الشمانيني النحوي الضريبر المتوفى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م، قال في ترجمة إسماعيل بن موهوب الجواليقي:

«كان... مليح الخط ملكت «شَرْح اللَّحْم» للشمانيني بخط هذا إسماعيل وهو في مجلدة واحدة في غاية الحسن وصحة الضبط قل أن رأيت مثلها»^١.
ونسخة من «العباب الزاخر في اللغة» للصاعاني وهو في عشرين مجلدًا لم يتم، قال:

«رأيت بخطه في دمشق ورأيت بخطه تميز بيتي الحريري من نظمه في بعض أبياته كسرًا وزحافًا غير جائز، ولكنه خطٌ جيد محدد الضبط»^٢.
ونسخة من «ديوان ابن بابك» بخط ابن خروف النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، قال في ترجمته:

ملك «ديوان ابن بابك بخطه في مجلدة واحدة»^٣.
وكتاب «المغازي» لأبي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن حبيش الأنصاري المتوفى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م، قال:
«عدة مجلدات وملكته بخطه وهو في مجلدين، وخطه جيد في المغربي طبقة»^٤.
و«ديوان أسامة بن مَنقذ»، قال:

«ملكنت نسختين بديوانه وهما بخط يده»^٥.
وكذلك نسخة من «خطوط» محيي الدين بن عبدالظاهر نُقِلَ عنها بما مثاله:
«قال القاضي محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر ونقلت ذلك من خطه»^٦.

^١ الصفدي: الرقي بالوقيات ٩: ٢٣٠.

^٢ نفسه ١٢: ٢٤٢.

^٣ نفسه ٢٢: ٩٠.

^٤ نفسه ١٨: ٢٥٩.

^٥ نفسه ٨: ٣٧٨.

^٦ نفسه ٥: ١٣١٩٢ : ١٨٤٠٤ : ١٣١٩٢ : ٣٤٦.

وعندما ترجم الصَّفدي لشيخ الإسلام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذَّهبي المتوفي سنة ٧٤٨ / ١٣٤٩ م، قال:

«اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المُحدِّثين ولا كَوَدَكة النقلة بل هو فقيه النظر . . . ومن مصنفاته . . . «تاريخ الإسلام» وقد قرأت عليه من المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مائة . . . و«طبقات القراء» وسنَّاه «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» تناولته منه وأجازني روايته»^١.

وقد وصلت إلينا نسخة «تاريخ الإسلام» التي كتبها الذَّهبي بخطه سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م، وكانت من الكتب الموقوفة بالمدرسة المحمودية بالقاهرة وشاهدها بها السخاوي في نهاية القرن التاسع^٢، ثم آلت إلى مكتبة أيا صوفيا باستانبول وهي محفوظة بها تحت رقم ٣٠٠٥، وقد كتب الصَّفدي بخطه على غلاف للمجلد الحادي عشر منها ما يؤكد ما ذكره في ترجمة الذَّهبي في «الوافي» وهو:

«قرأت حوادث الستين من هذا المجلد وهي من أول سنة إحدى وسبعين وستمائة إلى آخر سنة سبع ومائة على مؤلفه وكتابه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنةً فسنة حتى أكملت الجميع، وسمع ذلك أجمع فتناي طيار بن عبدالله الرومي وفاته من ذلك شيئاً يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ، وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميحه في مدة آخرها خامس عشر شعبان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

^١ الصَّفدي: الوافي بالوفيات ٢: ١٦٣.
^٢ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٥٢٢، ٦٧٤.

وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي حامداً ومصلياً^١.

[انظر لوحة رقم]

وكان مع الصفدي كذلك نسخة من كتاب «فلك المعاني» لابن الهبارية بخط محمد بن أحمد بن عبدالله السلمي الكاتب المصور، قال:

«ملكته بخطه وتصويره كتاب «فلك المعاني» وذكر في آخره أنه كتبه وصوّره في المحرم سنة ثمان وعشرين وست مائة»^٢.

وعندما ترجم الصفدي لشمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن العفيف التلمساني المتوفى سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م، قال:

«رأيت ديوانه بخطه وهو في غاية القوة والقلم الجاري واخترت ديوانه، ورأيت خط الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى على كتاب «المنهاج» له وقد قرأه عفيف الدين التلمساني وولده شمس الدين محمد المذكور وقد أجازهما روايته عنه سنة سبعين وست مائة وفي أول هذه النسخة بخط شمس الدين المذكور «ملكه فلان وحفظه»^٣.

وعند ذكره لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحسن البليخي المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م، قال:
«وصنّف تفسيراً حافلاً جمع فيه خمسين مصنفاً وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغة والحقائق وعلم الباطن، قبل إته في خمسين مجلدة... وبالتفسير نسخة بجامع الحاكم بالقاهرة أظنها في ثمانين مجلدة»^٤.

•••

وأشار شيخ مؤرخي مصر الإسلامية تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١١٤٢ م إلى بعض المؤلفات التي وقّف عليها

^١ الصفدي: التراخي بالوفيات ٢: ١١٣.

^٢ نفسه ٣: ١٣٠.

^٣ نفسه ٣: ١٣٧.

بخطوط مؤلفيها واعتمد عليها في مؤلفاته وخاصة كتابه الرئيسي «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، مثل: «سيرة المعز لدين الله» لابن زولاق التي نقل عنها بما مثاله:

«ومن خطه كتب».

أو «ومن خطه نقلت»^١.

وكذلك كتاب «تعليق المتجددات» للقاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني الذي نقل منه ما مثاله:

«ومن خطه نقلت»^٢.

وأيضاً «السيرة الناصرية» لعماد الدين موسى محمد بن يحيى اليوسفي التي وقف عليها المقرئ بخط مؤلفها^٣.

وقد وصلت إلينا نسخ لبعض المؤلفات القديمة التي وقف عليها المقرئ وأطلع عليها واستفاد منها في مؤلفاته وسجل عليها بخطه ما يفيد ذلك، مثل ما ورد على غلاف الجزء الأربعين من «أخبار مصر» للمُسَبَّحِي المحفوظ في مكتبة الإسكوريال بمدريد برقم 534 فقد كتب عليها:

«استفاد منه داعياً له

أحمد بن علي المقرئ».

وعلى غلاف نفس النسخة نجد توقيعاً آخر لمعاصر المقرئ المؤرخ أحمد بن عبدالله الأوحدي صيغته:

«طالع أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي

بالقاهرة سنة ٨٠٣هـ»

^١ المقرئ: سورة الخطط ٨٤، ١٨٤.

^٢ نفسه ٣١٩، ١٢٨، ٤٤.

^٣ نفسه ١٤٥ - ١٤٦.

وما ورد على خلاف السفسرين الرابع والسادس من كتاب «المغرب في حلى المغرب» لعلي بن سعيد المغربي المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ تاريخ ومثاله:

«استفاد منه داعياً للملكة

أحمد بن علي المقرئ سنة ٨٠٣هـ .

وعلى نفس النسخة توقيعات لعلماء آخرين هم الصقدي وابن دقماق والأوحدي والأسعدي نصها:

«طالعها وانتقى منه مالكة

خليل بن أبيك بن عبدالله الصقدي عفا الله عنه .

و«استفاد منه داعياً للملكة

إبراهيم بن دقماق عفا الله عنه

ورحمه أمين»

و«طالعها أحمد بن عبدالله

بن الأوحدي سنة»

و«طالعها وترجم على مصنفه

خليل بن عمر بن المحتاج الأسعدي عفا الله عنه»

وما ورد كذلك في ذيل الورقة ٩٥ ظ من الجزء السابع من «تاريخ الدول والملوك» لابن القرات نسخة مكتبة فيينا رقم ٨١٤ ، ومثاله:

«انتقاء داعياً للملكة أحمد بن علي المقرئ

في صفر سنة ٨١٩هـ .



ونستطيع أن نُقدِّر مدى اهتمام العلماء باقتناء الكتب التي بخطوط مُصنَّفيها مما رواه ابن حجر العسقلاني عن قاضي القضاة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن جماعة التوفي سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م من أنه :
«خَلَّفَ من الكتب النفيسة ما يعزُّ اجتماع مثله لأنه كان مفرماً بها، فكان يشترى النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسَن ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنِّفه فيشتره فلا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخطوط المُصنِّفين ما لا يُعبر عنه كثرة»^١.



وعاش المُحدِّث والمُؤرِّخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، في فترة كانت القاهرة غنية فيها بمكتبات المدارس^٢، التي رأى فيها أو اطَّلَعَ على العديد من النسخ الأصلية والمعتبرة أو ملكها هو بنفسه. فمن ذلك «تاريخ مصر» لقطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور الحلبي المتوفي سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م، قال:

«وَجَمَعَ القُطْب الحلبي للمصريين تاريخاً حافلاً عندي من مُسوِّدته بخطه مجلدات تزيد على العشرة وهو على الحروف ما أكمله، بيَّض منه من اسمه محمد»^٣.

و«الثقات» لابن حبان، قال:

«وأصل الثقات عندي بخط الحافظ أبي بكر علي البكري»^٤.

^١ ابن حجر: إنباء الفهر ١ : ٣٥٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٣١٢.

^٢ انظر فيما يلي ص ٢٤٩ - ٢٥٣.

^٣ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٤٦.

^٤ نفسه ٥٩٠.

و«ذيل تاريخ بغداد» لتقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة ٨٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، قال:

«واستوفيت عليه مطالعة سُؤدة الذيل الذي لتقي بن رافع على ابن النجار من خطه وهي في مجلد، ولكن حصل فيها محور لكثير من تراجمه... [و] كتب عليها ما نصه «فيه نقص كثير عن السُّيفة وفيه زيادات قليلة»^١.

و«معجم السُّرة» للحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السُّلفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م، قال:

«وهو في مجلد كثير الفوائد بخط محمد بن السُّلدي، قال عن أبيه الزكي أنه وقع له بخط السُّلفي في جزات كل ترجمة في جزاة فيَّهها ورثها كما نجيء لا كما يجب. وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكتب فيه من الأصهبانيين أحدا»^٢.

ويبدو أن نسخة مكتبة شيستر بيتي من الكتاب رقم 3880 والتي تمتلك دار الكتب المصرية صورة منها تحت رقم ٣٩٣٢ تاريخ قد نقلت عن هذه النسخة، فكثيراً ما تصادف فيها الملاحظة التالية: «وقد قال في ورقة أخرى» (ص ٥٧، ١١٠، ١١٨، ٣٧٢).

و«معجم الدمياطي» شرف الدين عبدالمؤمن بن خُلف الدمياطي المتوفى بعد سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، قال:

«وهو في أربعة وأربعين جزءاً حديثة، فنصفه الثاني من نسخة بخط التاج بن مكتوم [أحمد بن عبدالقادر بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م] بالصُّرْفُشْبِيَّة وبقية من غيرها»^٣.

١ السُّخارى: الإعلان بالتاريخ ٥٩١

٢ نفسه ٥٩٢

٣ نفسه ٥٩٣

و«معجم أبي المعالي [أحمد بن إسحاق] الأبرقوهي تخريج سعد الدين مسعود الحارثي من نسخة بخط ابن الظاهري»^١.
 و«المعجم الكبير» للذهبي من خطه بالحمودية^٢.
 و«التصنيف الأول من «تاريخ اليمن» للخزرجي، مؤلف الدين أحمد أبي الحسن علي بن أبي بكر بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م. من نسخة بخطه»^٣.
 وعدة مجلدات من تاريخ حلب» لكمال الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن العديم المسمى «بغية الطلّب في تاريخ حلب»، قال:
 «كانت عند صاحبنا الجمال بن السابق الحموي [محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م] بخط مؤلفه ونقلها من صاحبنا ابن قهّند [وهي في عشرة مجلدات]»^٤.
 وعند ذكره المجلد التاسع من الكتاب قال:
 «وقفت على السُّوِّدة التي بخط المؤلف من هذا الجزء بخصوصه عند ابن قهّند وعليها بخط المؤلف تلقيه بالربع عشر»^٥.
 ثم أضاف:
 «ورأيت مجلداً آخر منه فيه بعض البلدان وكان عند السُّحْب بن الشُّعْنة من بخط المؤلف بعض الأجزاء مما لم أمّالعه»^٦.
 وقد وقّف الحافظ جلال الدين السيوطي على هذه النسخة ونقّل عنها في كتابه «بغية الوعاة» بقوله:

١ البخاري : الإعلان بالتاريخ ٥٩٤
 ٢ نفسه ٥٩٤
 ٣ نفسه ٥٩٥
 ٤ نفسه ٥٩٦
 ٥ نفسه ٥٩٧
 ٦ نفسه ٥٩٧

«رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطه»^١.

..وقد وصلت إلينا إلينا هذه النسخة عينها وعليها خط السيوطي وتقع في ثمانية مجلدات وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ٢٩٢٥ (ومنها مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية برقم ٩٠ تاريخ) . وذكر أيضاً «مُعْجَم» ابن حبيب وقال :

«وهو بخط الذهبي في المويدي»^٢.

و«تاريخ إربيل» لأبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي المعروف بابن المُسْتَوْفِي المتوفى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م ، وقال :

«وهو بخطه في خمس مجلدات»^٣.

ووصل إلينا نموذج من خط ابن المُسْتَوْفِي الإربلي حيث كتب بخطه نسخة «ديوان شعر القطامي» المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٦ أدب [انظر لائحة رقم ٤].

أما «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، فذكر أن أصله في ثمانين مجلداً وشاهد منه

«نسخة [في] المحمودية في سبعة وخمسين [مجلداً]»^٤.

ورأى ذيله الذي ألّفه الحافظ شمس الدين الذهبي وقال :

«وهو بخطه في عشرة أجزاء»^٥.

^١ السيوطي : بغية الوعاة ٢٢٢ .

^٢ السخاوي : الإعلان بالتاريخ ٦٠٦ .

^٣ نفسه ٦١٤ .

^٤ نفسه ٦٣٨ .

^٥ نفسه ٦٣٨ .

وكذلك نسخة من "تاريخ مكة" لأبي زيد عمر بن شبة التميمي، قال:
«كتبه صاحبنا ابن قُتَيْبَةَ بِمِطْطَه فِي مَجْلَدٍ»^١.

وعند حديث السَّخَاوِي عن «تاريخ بغداد» للمخطيب البغدادي قال:
«والمجلد الثاني والثالث من الذيل عليه لابن النجار وأولهما محمد بن
حمزة بن علي بن طلحة بن علي وآخرهما انتهاء المحدثين، والكتاب كله في
خمس عشرة مجلداً من الموقوف بجامع الحاكم.
... فالخاصل أن المفقود الخامس وبعض السادس وجميع العاشر
وبعض الحادي عشر، وكنت لمت منه أجزاء في أوقاف الجمالية ثم لم
أرها»^٢.

ومن الكتب التي وقَّفَ عليها السخاوي كذلك بخطوط مؤلفيها «تاريخ ابن
الجوزي»، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الدمشقي المتوفى سنة
١٣٣٨ هـ / ١٣٣٨ م، قال:

«تاريخ كبير بخطه في المحمودية»^٣.

وكتاب «شذور العقود في تاريخ العقود» لابن الجوزي وهو اختصار
لتاريخه الكبير «المنتظم» قال:

«وقفت عليه بخطه»^٤.

وذكر كذلك الذَّيْلُ الَّذِي أَلْفَهُ قَطْبُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْبُوتَيْبِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧٢٦ هـ / ١٢٣٦ م على كتاب «مرآة الزمان في
تواريخ الأعيان» لسبط بن الجوزي، قال:

«وهو بالمحمودية في أربع مجلدات»^٥.

^١ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٤٨.

^٢ نقبه ٥٩٠.

^٣ نقبه ٦٧٥.

^٤ نقبه ٦٧٢.

^٥ نقبه ٦٧٢.

كما شاهد كذلك نسخة من كتاب «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس المنصوري، قال:

«في خمس وعشرين مجلدًا بالمؤبدية»^١.

•••

أما الخافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، معاصر السخاوي، المتوفى سنة ٨٩١ هـ / ١٥٠٥ م فقد كان بين مصادره العديد من المصنفات بخطوط مؤلفيها، مثل كتاب «الوافي بالوقفيات» لخليل بن أيوب الصقدي، قال عنه:

«التاريخ الكبير للصالح الصقدي وهو بخطه في أكثر من خمسين مجلدًا»^٢.

وكتاب «التذكرة» لجمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن محمود الأسدي المعروف باليغموري، قال:

«ست مجلدات ثلاثة بمكة وثلاثة بالقاهرة بخطه»^٣.

وكتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم، قال:

«رأيت في «تاريخ حلب» لابن العديم بخطه»^٤.

وقال في ترجمة أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات المهلب اليهنسي:

«رأيت له تأليفًا في الفوائد النحوية نظمًا وشرحًا وهو مجلد لطيف عندي بخطه»^٥.

كذلك فقد كان مع السيوطي نسخة نادرة من «الجمهرة في اللغة» لابن دريد، قال:

^١ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٧٩.

^٢ السيوطي: بغية الرعاة ٣.

^٣ نفسه ٣ وانظر اعلام ص ١٢٩.

^٤ نفسه ٢٢٢.

^٥ نفسه ٣٩٩.

«ظفرتُ بنسخة منها بخط أبي النضر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس الطرابلسي اللغوي، وقد قرأها علي ابن خالويه بروايته لها عن ابن دريد وكتب عليها حواشي من استدراك ابن خالويه على مواضع منها، وثبته على بعض أروام وتصحيقات»^١.

ويحدثنا السيوطي عن نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، يقول:

«وقال بعضهم: كان لأبي علي الفاي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأي، فاشتدَّت به الحاجة؛ فباعها بأربعين مثقالاً، وكتب عليها هذه الأبيات:

أنستُ بها عشرين حولا ويعتُها	فقد طال شوقي بعدَها وحيتني
وما كان ظني أنني سأبسطُها	ولو خلدتني في السجون ذبوني
ولكن لصف وأفتقار وصبيبة	صغار عليهم تستهل شتوني
فقلت - ولم أملك سوابق عُبُرت	مقالة مكوي الفسواد حزين
وقد تُخرج الحاجات - يا أم مالك -	كسراهم من رب بهن حنين

قال: فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى، رحمه الله.

وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط القاضي مجد الدين الفيروز اباذي صاحب القاموس؛ على ظهر نسخة من العُباب للصفهاني، نقلها من خطه تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي، نقلتها من خطه»^٢.

وكانت مع السيوطي كذلك نسخة من كتاب «الفوائد» في اللغة لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري المتوفى بعد سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م بخطه نقل منها بقوله:

«وفي فوائد النجيري بخطه»^٣.

^١ السيوطي: الأثر ١: ٩٥.

^٢ نفسه ١: ٩٥.

^٣ نفسه ٢: ٣٠٤، ٣١٩، ٣٣٧.

وذكر أبو العباس المَقْرِي التلمساني صاحب كتاب «فتح الطيب» المتوفى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م أن لسان الدين بن الخطيب أرسل سنة ٧٦٨هـ نسخة من كتابه «الإحاطة بتاريخ غرناطة» إلى مصر ووقفها على أهل العلم وجعل مَقْرَهَا بخانقاه سعيد السعداء رأى منها المَقْرِي، أثناء وجوده بمصر، المجلد الرابع ويظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء، قال:

«فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريري المؤرخ ونصه: "انتهى منه داعياً مؤلفه أحمد بن علي المقريري في شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة". وما رقمه الحافظ السيوطي ونصه: "الحمد لله وحده، طالعت على طبقات النجاة واللغوين، وكتبه عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة". انتهى. وبعد هذين ما صورته: "انتهى منه داعياً مؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة". وبعده ما صورته: "أنهاه نظراً وانتقاهم علي الحموي الحنفي لطف الله به". ويخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الأوان سيدي الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصه: "طالعت منتهجاً برياضه الموثقة، وأزهار معانيه المشرقة، مرتقياً في درج كلماته العلاب سماء الاقتباس، مقتنياً من لطفه درراً وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس، كتبه محمد الصديقي غفر الله له". انتهى.

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابه جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دُقْماق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر، فمن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي بن الخطيب، والخطيب الكبير سيدي أبي عبدالله ابن مرزوق، والعلامة أبي الفضل ابن الإمام التلمساني، والنحوي الراعي، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسي شارح الألفية وصاحب التأليف، وغير هؤلاء عن يطول تعدادهم، رحم الله تعالى جميعهم^١.

فهذه النسخة النفيسة لم تصل إلينا وإن كان الأستاذ محمد عبدالله عنان ناشر كتاب «الإحاطة» يرى أن الأوراق المتناثرة من الكتاب (١٧٠) ورقة بخط مغربي قديم) والمحفوظة برواق المغاربة بالأزهر وعلى هامشها تعليقات واستدراكات بخط المَقْرِي وعليها توقيع مؤرخ سنة ١٠٢٩هـ، هي بقايا النسخة التي وصفها المقرري.

^١ المقرري: فتح الطيب ٧: ١٠٦.

وبالإضافة إلى النسخ التي بخطوط مؤلفيها فإن العديد من النسخ التي اعتمد عليها القدماء تستمد نفاستها مما جاء في قيد الفراغ من كتابتها من تواريخ تفيد في تعيين سنة وفاة مؤلفها، أو ما جاء عليها من سماعات أو قراءات أو إجازات بخطوط العلماء، فمن ذلك تحديد وفاة أبي حنيفة الدينوري، قال ياقوت:

«مات في جمادى الأولى سنة اثنين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه.»

ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين.

ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسيخ بكتاب النبات من تصنيف أبي حنيفة: «توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين»^١.

وتحديد سنة وفاة أحمد بن فارس اللغوي، حيث ذكر ابن الجوزي أن وفاته كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة، قال ياقوت:

«ووجد بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة. وكل منهما لا اعتبار به لأنني وجدت خط كُفَّه على كتاب «الفصح» تصنيفه وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة»^٢.

[ومن هذه النسخة نقل بالوث الحميري نسخة بخطه سنة ٦٦٦ هـ محفوظة الآن في مكتبة تشتربريتي برقم 39992.]

وكذلك تحديد سنة وفاة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري، يقول ياقوت:

^١ ياقوت: معجم الأديب، ٣: ٢٦.

^٢ نفسه ٤: ٨٠، ٨٢ ومعجم البلدان ٤: ٤٣٠ - ٤٣١.

«وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل* من تصنيفه :

* وقرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة^١.

واستدل ياقوت على تأخر وفاة الجوهرى عن سنة ٣٩٣هـ من نسخة من كتابه الصحاح بخطه فرغ منها في سنة ست وتسعين وثلاث مائة^٢.

كما وجد ياقوت على نسخة قديمة من كتاب «المُجمل» لابن فارس ما صورته :

«تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الزهرابي الأستاذ خرزفي، واختلفوا في وطنه فقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة بكرسنة وجيانا باذ وقد حضرت القرين مراراً ولا خلاف أنه قروي.

حدثني والدي محمد بن أحمد وكان من جملة حاضري مجالسه قال : أنه أت فسأله عن وطنه فقال : كرسف، قال : فتمثل الشيخ :

بلاد بها شُدت عليّ عاتمي وأول أرض مسّ جلدي ترابها .
وكتبه مُجتمِع بن محمد بن أحمد بخطه في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة».

وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً :

* قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري ودُفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسين علي بن عبدالعزيز* يعني الجرجاني^٣.

وقرأ ياقوت كذلك على ظهر نسخة من كتاب «معاني القرآن» للزجاج :

^١ ياقوت : معجم الأدياء ٨ : ٢٦٤ .

^٢ نفسه ١٨ : ٣٥ .

^٣ مُجتمِع بن محمد بن أحمد المسكن النحوي (أغا بُرك : اللبقة إلى تصانيف الشيعة ١٣ : ٣٨٦) .

^٤ ياقوت : معجم الأدياء ٤ : ٩٢ - ٩٣ .

«ابتداء أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بـ «معاني القرآن» في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة»^١.

لو ذكر فليبي دي طرازي أن من الكتاب نسخة بخط الزجاج في مكتبة الشيخ محمد النجار المفتي المالكي في تونس ألت بعد وفاته إلى ابنه بلحسن النجار الذي تولى مثل أبيه منصب الإفتاء المالكي^٢.

ومن الفوائد التي وجدت على ظهور النسخ ما نقله ياقوت والقفطي من خط سلامة ابن غياض النحوي، يقول ياقوت: «قرأت بخط سلامة بن غياض ما صورته:

«وقفت على نسخة من كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي في صفر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة بالرقي في دار كتبها التي وقفها صاحب بن عباد رحمه الله وعلى ظهرها بخط أبي علي (الفارسي) ما حكايته هذه:

«أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل آدم الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه كتابي في قرأه الأمصار الذي بيئت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، مما تفصحت من أثر وقراءة ولغة فهو عن المشايخ/ الذين أخذت ذلك عنهم وأسندتهم إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل آدم الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبه فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه»^٣.

ويقول القفطي: كتبت من خط أبي الخبير سلامة بن غياض النحوي ما مثاله:

«كان على ظهر الجزء الأول من التذكرة [لأبي علي الفارسي]: قال أبو الحسن أحمد بن رضوان: هذه النسخة كتبتها من خط منصور بن محمد الأشرسني؛ فكان في آخر الجزء الأول منها هذا الذي ذكرته:

^١ ياقوت: معجم الأديباء، ١: ١٥٦.

^٢ فليبي دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الحافظين، ١: ٣٥٦.

^٣ معجم الأديباء، ٧: ٢٣٩ - ٢٤٠.

كان الشيخ أبو علي سَمَّى هذا الكتاب روزنامه بالفارسي . وقال : كان محمد بن طوسي المعروف بالفصري نَسَخَ إلى آخر الكراسة السابعة من هذه الكرايس فنسخت وشاعت تسميته ، وجعل كل عشر كرايس من هذا الكتاب جزءاً منه . ويكَمُّ الكل إلى آخر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، مائة وخمسة وعشرين كراسة . وابتدأ في السادسة في سنة ست وسبعين وهذه الأجزاء التي سماها «الفصريات» هذا الجزء أولها والسابع آخرها . وقد كان الفصري قرأها على الشيخ أبي علي واستنصر فيها مواضع وترك مواضع ، فهي على خلاف هذا الترتيب في أيدي الناس^١ .

وكانت مع ياقوت الحموي نسخةٌ نفسية من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي هي نسخة الحاكم أبي سعيد ابن دوست ، قال :

جاء في آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم أبي سعيد بن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي :

«قرأ عليّ أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصححته له وكتبه إسماعيل بن حمّاد الجوهري» .

وعلى النسخة أيضاً في موضع آخر :

«سمعه مني ولديّ عليّ والحسن من أوله إلى آخره بقراءتي إيّاه إلا أوراقاً قرأها الحسن بنفسه عليّ وصح سماعهما والله تعالى يبارك لهما فيه ويوقهما لصلاح الأعمال . وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

ثم قرأه عليّ ولدي الحسن قراءة بحث واستقصاء من أوله إلى آخره ، بما على حواشيه من الفوائد وشرح الأبيات في شهور سنة ثلاث وستين وأربعمائة» .

^١ الفقهلي : إيّاه الرواد ٣ : ٥٤ وانظر السيرطي : بقية الرعاة ٢٥٩ .

وعلى النسخة أيضاً قبل هذا ما صورته :

«سمعه مني بلقظي وصحّحه عرضاً بنسخني صاحبه أبو يوسف يعقوب بن أحمد وفرغ منه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وكتب عبدالرحمن بن محمد بن دوست بخطه» .

قال ياقوت :

«... ومعرفتي بالمخطوط الموجودة على النسخة كعمرقني بما لا أشك فيه .»^١

ورأى ياقوت كذلك نسخة من كتاب «القوافي» للمُبَرَّد وعليها سماع لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي ، قال :

«رأيت سماعه [أي أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي النحوي الكاتب] علي كتاب «القوافي» لأبي العباس المُبَرَّد وقد سمعه علي نَطْقُونَه^٢ سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة .

ثم وجدت خطه علي كتاب تبيين قدامة بن جعفر وفي نَقْد الشعر وقد ألّفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة .

ثم وجدت كتاب «القوافي» للمُبَرَّد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده عبدالصمد بن خَيْش النحوي قرأه علي أبي القاسم الأمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة»^٣.

كذلك فقد أشار ياقوت الحموي والقفطي إلى إجازة بقراءة نقلها من خط سلامة بن غياض الكفرطايي نصها :

^١ ياقوت : معجم الأديباء ٦ : ٦٤ - ٦٥ .

^٢ هو أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان نبطرية النحوي المتوفى سنة ٨٣٣هـ / ٩٣٥م (المخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ - ١٦٢ ، الأثيري : نزهة الألباء ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ياقوت : معجم الأديباء ١ : ٢٥٤ - ٢٧٢ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٤٧ - ٤٩ ، القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٧٦ - ١٨٢ .

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ٨ : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

«وجدت في آخر نسخة «المقتصد» لعبد القاهر الجرجاني بالرِّي مكتوباً
ماحكايته:

*قرأ عليّ الأخ الفقيه أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري أيّده
الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل. وكتبه عبد القاهر
ابن عبد الرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين
وأربعمائة حامداً لربه ومصلياً على محمد رسوله وآله*^١.

وملك القفطي نسخة من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفتح محمد بن
محمد بن أحمد بن الأشرس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمِي، وعليها بخط
ابن فاخر النحوي البغدادي ما صورته:

«قرأت كتاب التنبيه في النحو لأبي الفتح النيسابوري قراءة تفهم وتفقه
من أصل السَّمْسَمِي وبخطه، على شيختي أبي القاسم بن عبد الله
وعبدالواحد ابني العلمين: الرقي وابن برهان الأمدي رحمهما الله في سنة
سبع وأربعين وأربعمائة، وقال لي: قرأتها من أوله إلى آخره على مصنفه أبي
الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن أشرس النيسابوري رحمه الله في سنة
أربعمائة، وقال لنا: صنفت هذا الكتاب لابن الأجل أبي الخطاب صاحب
بهاء الدولة وأنقلته إليه، فوقف أباه عليه، فحمل إليّ ما قدره خمسمائة
ديناراً من عَيْن وورق وثوب وطيب، ثم شرع في قراءته عليّ فلقتته سطرًا
منه، فعرضه عليّ أبيه فحمل إليّ مثل ما حمل إليّ عند انقاضي وأني إليّ
فكسّل المعطية الفأ. قال: وعاتبه بعض من يقع عليه موقعاً في ما أورده شيخه
أبو الفتح عثمان بن جني في التسمية بالتنبيه، فاعتذر عن ذلك بأن قال والله ما
سميته بذلك، وإنما سمّاه الأجل أبو الخطاب به، كما وقف عليه بقول أمر به،
فسمع منه، وتوقيع خطه عليه، فأثر عنه، فأقررت عليه لما في الوفاق من
القربة إليه، والحظوة لديه. قال لي شيخنا أبو القاسم بن برهان رحمه الله:
والذي دعاني إلى قراءة هذا الكتاب عليّ أبي الفتح رحمه الله، وحكائي

^١ باقوت: معجم الأبياء ٢: ١٣٥، القفطي: إنباء الرواه ٢: ١٩٠.

عليها على اشتغالي في الوقت بما هو أهم منها، أن شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد الله السُّسَمي رحمه الله يلغى أن أستاذ الأستاذين أبا العباس بن الثلاث ركب إلي أبي الفتح متعهدًا، فأكرم مرده، وأهدى إليه هذا الكتاب بخطه، تحفة ولطفًا في أمان المنصوري، فاستعاره منه على يدي وأحجب به، وعظم عنده، فنسخ منه هذه النسخة عنها لنفسه، وقابلني بقروها وأنا أنظر في الأصل، قال لي عند إزالتها: اتسخة يخطك، وأقرؤه عليك، وأستين غوامضة منه، فامتثلت أمره.

وقال لي شيخنا أبو القاسم الرُّكِّي: والذي دعاني إلى قراءة هذا الكتاب على أبي الفتح رحمه الله وحداني عليها، أن محبة أبي القاسم بن برهان لهذا الكتاب وقراءته أعدتاني، فأحببته حبه، وقراءته قراءة أبي القاسم نفاسة أن ينفرد بنسخه^١.

كما شاهد القفطي نسخة من كتاب «المَقْصُور والمَمْدُود» لأبي علي القالي وعليها بخطه

«قرأ جميع الممدود والمقصور محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي، ومحمد بن أبان بن سيد^٢، وعبدالوهاب بن أصح، ومحمد بن حسن الزبيدي - أعزهم الله - وأعاتوا باتساعه وثقله من طوامير تخريجي له، وقابلوا به كتبهم. وكثير من تعاليق هذا الكتاب مخرج بخط القرشي منهم، ومن هذا الديوان بخط عبدالوهاب بن أصح منهم. وسمعه سائر أصحابهم بقراءة القرشي له علي، وسمعه خاصة بقراءتي لهم، جعله الله علمًا نافعًا مقربًا منه^٣.

ونقل القفطي أيضًا من خط باقوت الموصلية ما جاء على نسخة نفيسة من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري، وهو ما مثاله:

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤: ١٥٠ - ١٥١.

^٢ أبو عبدالله محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمي القرطبي أحد تلاميذ أبي علي القالي (Sezgin, F., GAS VIII, 256-57).

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٣: ٦٤.

«وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري بخط أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الحشَّاب ما هذه حكايته فنقلته : وجدت بخط أبي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الختالغ الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته ، فنقلته : قرأت هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد السَّيرافي ورواه لي عن مُسَيِّح بن الحسين بن أخت أبي حنيفة الدينوري ، وذكر أنه قرأه على خاله أبي حنيفة ، وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب «الأنواء» ومسمته قراءة عليه . وقرأناه على أبي عبدالله الحسين بن هارون القاضي الضبي بهذه الرواية أيضاً ، وقرأه أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري ، وسَمِعَ أبو الحسين السَّمسمي ، وسَمِعَ الشريف المرتضى أبو القاسم . نقله أحمد بن أحمد^١ في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة».

ويخطه أيضاً على ظهر النسخة المذكورة :

«قرأ جميع هذه المجلدة - وعددها سبع عشرة كرامة على الشيخ يحيى ابن الحسين بن أحمد بن البنا من أولها إلى البلاغ المقابل لنسخة الختالغ بروايته عن أبي القاسم علي بن أحمد السَّري ، إجازة عن أبي عبدالله الضبي ، وإجازة عن مُسَيِّح بن الحسين عن أبي حنيفة - عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الحشَّاب في مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، والباقي وجادة ؛ لأنه لم يقابل المسموع من الضبي . وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت بن عبدالله في سابع رجب من سنة ست وستمائة بمدينة الموصل»^٢.

أما الإجازات الموجودة على ظهور النسخ فتفيد في التعرف على مؤلفات بعض المؤلفين أو برواية مؤلفات المجيز ؛ ومن ذلك ما وجدته ياقوت الحموي على

^١ هو أحمد بن أحمد الورَّاق المعروف بابن أخي الشافعي . قال ياقوت : «رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ، ورأيت خطه وليس بالجيد ، ولكنه متقن الفسَّط ، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من غيره» . (ياقوت : معجم الأديباء : ٢ : ١٣٧) .

^٢ لتقطي : انباء الرواة : ١ : ٤٢ - ٤٣ .

جزء من كتاب «التفسير» لابن جرير الطبري بخط الفرغاني ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير قال: فنقلته على صورته لذلك وهو:

«قد أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وكتاب «تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء» والمقطعين من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذته إجازة، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بـ «ذيل السؤل» وكتاب «القراءات وتنزيل القرآن»، وكتاب «الطيف القول وحقيقه في شرايع الإسلام»، وما سمعته من كتاب «التهديب» من مسند العشرة ومسند ابن عباس إلى حديث المراج، وكتاب «آداب القضاة والمحاضرات والسجلات»، وكتاب «اختلاف علماء الأمصار»، فليرويا ذلك عني. وكتب عبد الله بن أحمد الفرغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة»^١.

وكذلك الإجازة التي كتبها ابن جني للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر أن يروي عنه مصنفاته وهي مؤرخة سنة ٣٨٤هـ أورد ياقوت صورتها كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام الله عزه - أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري - أيد الله عزه - : عنده منها كتابي الموسوم بـ «الخصائص» وحجمه ألف ورقة، وكتابي «التمام في تفسير أشعار هذيل» مما أحفظه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري - رحمه الله - وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك، وكتابي في «سر الصناعة» وهو ستمائة ورقة، وكتابي في «تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني» وحجمه خمسمائة ورقة، وكتابي في «شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها» ومقداره خمسمائة ورقة، وكتابي في «شرح المقصور والمدود» عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة، وكتابي في «تماقب العربية» وأطرف به وحجمه مائتا ورقة، وكتابي في

^١ ياقوت : معجم الأبناء : ١٨ - ٤٤ - ٤٥ .

«تفسير ديوان المُنْتَبِي الكبير» وهو ألف ورقة وثِيْفًا، وكتابي في «تفسير معاني هذا الديوان» وحججه مائة ورقة وخمسون ورقة، وكتابي «اللُّمَحُّ في العربية» وإن كان لطيفًا، وكذلك كتابي «مُختَصَرُ التُّصْرِيفِ على إجماعه»، وكتابي «مُختَصِرُ العرُوضِ والقوافي»، وكتاب «الألفاظ المُهمَّوزة»، وكتابي في «اسم المفعول المُحتَمَلُ العين من السُّلَّامِي على إصرايه في معناه» وهو المُتَّصِبُ، وما بدأت بعمله من كتاب «تفسير المُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ ليعقوب» أيضًا - أعان الله - على إتمامه، وكتاب «ما خرج عني من تأييد المُذَكَّرِ عن الشَّيخ أبي علي» - أدام الله عزه -، وكتابي في «المحاسن في العربية» وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتَّى شدَّ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتابي «التُّوَادِرُ المُستَمعة في العربية» وحججه ألف ورقة وقد شدَّ أيضًا أصله عني، فإن وقعا كلاهما أو شيءٌ فهو لا حقٌّ بما أجزت روايته هنا، وكتاب «ما أحضرته الخاطر من المسائل المنشورة مما أملتته أو حُصِّلَ في آخر تعاليمي عن نفسي» وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو - أدام الله عزه - ذلك عني إذا أصبح عنده وأتسنَّ بتشقيفه وتسديده، وما صحَّ عنده - أيده الله - من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي - رحمهم الله - وقرآته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأتمت بها مباركا له فيه منقوعا به بإذن الله - وكتب عثمان بن جني بيده حامدا لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^١.

ووقف القفطي على إجازة أملاها أبو العلاء المَعَرِّي على ظهر كتاب

«ذكرى الحبيب» يقول القفطي:

«قصد أبا العلاء المَعَرِّي من الطلبة رجلٌ أعجمي يعرف بالكرداني، وكتب عنه فيما كتب «ذكرى حبيب». فتقدم أبو العلاء إلى بعض نُسبائه بما كتبه له على الكتاب المذكور وهو:

«قال أحمد بن عبدالله بن سليمان التُّنُوجِي، من أهل معرة النعمان: قرأ على هذا الجزء، وهو الجزء الثاني من الكتاب المعروف «بذكرى حبيب» الشَّيخُ

^١ باقرت: معجم الأديباء: ١٢: ١٠٩ - ١١١.

الفاضل أبو الحسن يحيى بن محمد الرازي، أدام الله عزه، من أول الجزء إلى آخره، ووقع الاجتهاد مني في تصحيح النسخة، وكان ابتداءه بقراءته لسبع بقين من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة، وفرغ من قراءته لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وأجزت له أن يروي عن علي حسب ما قرأها. ويشهد الله أنني معتذر إلى هذا القاري من تقصيري فيما هو علي مفترض من حقوقه والاعتراف بالمعجزة تمتع من اللاتمة المنجزة. وكتب جابر بن زيد بن عبدالواحد بن عبدالله بن سليمان، بإذن أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري، في المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة^١.

وشاهد حاجي خليفة نص قراءة ورواية علي أحد نسخ «الصحاح» التي كتبها بخطه ياقوت الموصلي كاتب نسخ الصحاح، هذه صورته:

يقول ياقوت: نقلت هذا الكتاب من خط الشيخ أبي سهل محمد بن علي الهروي النحوي رحمه الله تعالى، وذكر أنه نقله من خط المصنف ورواه عن إسماعيل بن محمد بن عبدوس عن المصنف. وشاهدت خط ابن عبدوس على النسخة التي نقلت منها ما هذا حكايته:

قرأ علي الشيخ أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي أكثر هذا الكتاب وسمع ما فيه من لفظي بقراءتي عليه فصيح له سماع جميعه متى وروايته عنّي وذلك في شهر سنة ٤٣٩ وكتب إسماعيل بن محمد بن عبدوس الدهان النيسابوري.

ويقول ياقوت: «هذا الكتاب أرويه متصلاً إلى ابن عبدوس عن المصنف فما صح في هذه النسخة فهو الرواية عن خطأ أو صواب، وما خالفها من زيادة أو تغيير، فهو من كلام غير المصنف، وقد استدرك أبو سهل وبين بعض ما صحته المصنف.

قال ياقوت: وقد أثبت ذلك في موضعه ولي أيضاً مواضع فذهبت من سهو المصنف ومن سهو وقع في خط أبي سهل على أن الكتب الكبار لا تخلوا من ذلك. انتهى^٢.

^١ التفتي: إتياء الرواه ١ : ٥٥ - ٥٦.

^٢ حاجي خليفة: كشف الظنون ٤ : ٩٧.

وعن اهتمام القدماء باستخراج نسخة جيدة عن طريق معارضة النسخ الصحيحة بعضها ببعض يقول الأزهرى عن كتاب «المعاني في القرآن» لأبي إسحاق إبراهيم بن السريّ الرّجّاج النحوي المتوفى سنة ٣١١هـ.

«حضرت به بغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب فألقيت عنده جماعة يسمعونه منه».

«وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن فهو من كتابه . ولم أفرغ ببغداد لسماحه منه . ووجدت النسخ التي حُمِلت إلى خراسان غير صحيحة ، فجمعت منها عدة نسخ مختلفة المخارج وصرفت عنايتي إلى معارضة بعضها ببعض حتى حصلت منها نسخة جيدة»^١.

وكثيراً ما كانت تُقَيّد على ظهور الكتب معلومات وفوائد لا علاقة لها بموضوع الكتاب استفاد من بعضها قديماً القفطي وجعلها موضوع كتابه «نُهْرَة الخاطر ونُزْهَة الناظر في أحسن ما نُقِل من على ظهور الكتب»^٢ ومن ذلك مثلاً أن ابن النديم وَجَدَ أسماء شُرّاح أرسطو مكتوبة «على ظهر جزء عتيق»^٣ ، كما أن ياقوت الحموي ذكر أن كتاب شرح الكافي في القوافي لابن جنّي «وَجَدَ على ظهر نسخة ذَكَرَ ناسخها أنه وجدته بخط أبي الفتح عثمان بن جنّي - رحمه الله - على ظهر نسخة من كتاب المُحْتَسِب في علل شواذ القراءات»^٤.

^١ الأزهرى : تهذيب اللغة : ١ : ٢٧ .

^٢ انظر فيما سبق من ٩٦ .

^٣ ابن النديم : الفهرست : ٣١٣ .

^٤ ياقوت : معجم الأدباء : ١٢ : ١١٣ .

الْوَرَّاقَةُ وَالْوَرَّاقُونَ

ظَهَرَتْ صناعة «الوراقة» مع ازدهار حركة التأليف والترجمة، وبعد وجود الورق وانتشار صناعته في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة؛ فلفظ «الوراقة» مشتق من الورق. وأطلقت كتب الأدب العربي على الطائفة التي تولّت أمر هذه الصناعة اسم «الورّاقين».

وقد عرّف ابن خلدون في «مقدمته» الوراقة بأنها

«معاينة الانتساح والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران»^١.

ويُعرّف السّمْعاني الورّاق بأنه

«مَنْ يَكْتَبُ المصحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الورّاق أيضاً»^٢.

ومارس مهنة الوراقة إلى جانب الورّاقين المحترفين عددٌ كبير من العلماء والأدباء والمُحدّثين والمفسرين وعلماء اللغة. ويشتمل كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي وكتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي بأخبار كثيرة عن الورّاقين وصناعة الوراقة تتعرّف من خلالها على كيفية ممارسة هذه المهنة والارتزاق منها.

يقول الخطيب البغدادي

«حدّث أبو القاسم بن بنت منيع [المتوفى سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م] قال: كنت أوزّق فسألت جدي أحمد بن منيع أن يعضي معي إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي يسأله إن يعطيني الجزء الأول من «الغزالي» عن أبيه عن ابن إسحق

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٧٤.

^٢ السمعاني: الأسماء وورقة ٥٧٩ ط.

حتى أوزّقه عليه، فجاء معي وسأله فأعطاني الجزء الأول فأخذته وطلّقت به فأول ما بدأت بأبي عبدالله بن مُنّلس وأرثته الكتاب وأعلمته أنني أريد أن أقرأ «الغازي» على سعيد الأموي، فدفع إليّ عشرين ديناراً وقال: اكتب لي منه نسخة. ثم طلّقت به بقية يومي فلم أزل أخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير فأكثر وأقل إلى أن حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نسخاً لأصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي»^١.

ويضيف الخطيب البغدادي كذلك كيف أفاد قوم بالتوريق ثروة طائلة، يقول:

«حدّث عيسى بن أحمد الهمداني قال: قال لي أبو علي بن شهاب [العكبري المتوفى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م] يوماً: أرني عطك فقد ذكر لي أنك سريع الكتابة، فنظر فيه فلم يُرضه ثم قال لي: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت أشتري كأغداً بخمسة دراهم فأكتب فيه «ديوان المتنبي» في ثلاث ليال وأبيضه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهماً، وكذلك كتب الأدب كانت مطلوبة. قال الأزهري: أخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره ألف دينار سوى ما خلفه من الكروم والمقار»^٢.

كذلك فقد كسب أبو علي الحسن بن شهاب العكبري من الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية، وكان حسن الخط سريع القلم صحيح الثقل^٣.

كما أن القاضي أبا عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي المتوفى سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م ندّم على ترك الوراقة بعد تكليفه بالقضاء وكان يقول:

«مالي وللقضاء، لو اقتصر على الوراقة ما كان حطلي بالردئ»^٤.

مع أنه كان يتقاضى في الشهر مائة وعشرين ديناراً^٥. كذلك فقد أئزى أبو

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠: ١١٣ - ١١٤ حبيب زيات: الوراقة والوراقون في الإسلام ٣٠٦.

^٢ نفسه ٧: ٣٢٩ - ٣٣٠ حبيب زيات: المرجع السابق ٣٠٧.

^٣ السمعاني: الأسباب ٢٩٦.

^٤ الكندي: الولاة والقضاة ٥٣١.

^٥ عبدالستار الحلوجي: المرجع السابق ١٢٢.

عبدالله محمد بن محمد العبدري الغرناطي التحوي المتوفى سنة ١٧٥٣هـ /
١٣٥٣ م من التكتيب بالكتب^١.

ومع ذلك فقد تأقّف واشتكى كثير من الوزراقين من الوراقة «لكساد سوقها
وخلو طريقها»، ودعاها أبو حيان التوحيدي، وكان يعمل بالوراقة ونسخ
الكتب، «حرقه الشؤم»^٢ رغم اعترافه بأن سوق الوراقة لم تكن ببغداد
كاسدة ووصف حالته فقال:

«ولقد استولى على الحرف وتمكّن مني تكذ الزمان إلى الحد الذي لا
استرزق مع صحّة ثقلي وتقيد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف
والتحريف بمثل ما يسترزق البلد الذي ينسخ النسخ ويمسح الأصل والفرع،
وقصّدت ابن عباد بأمل فسح وصنّو رحيب، فقدم إلي رسائله في ثلاثين
مجلّدة على أن أتسخها له، فقلت: نسخ مثله يأتي على العمر والبصر -
والوراقة كانت موجودة ببغداد - فأخذ في نفسه على من ذلك، وما فرّفت
بمقابل من جهته»^٣.

«ثم أتى قلت لبعض الناس في الدار مسترسلا إنما توجّهت من العراق إلى
هذا الباب وراسمت متجهمي هذا الربيع لأنقص من حرقه الشؤم، فإن
الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة»^٤.

ولنا أن نعتبر موقف أبي حيان التوحيدي وشكوته من الوراقة موقفاً خاصاً به
وليس دليلاً على تدني سوقها، فكما يقول هو فإن البلد الذي ينسخ النسخ
ويمسح الأصل والفرع كان يسترزق منها وكما أن باعتراه هو شخصياً لم تكن
الوراقة ببغداد كاسدة.

ويشير أبو حيان في كتاب «أخلاق الوزيرين» إلى كيفية تحقير بعض ولاة
الأمور لهنة الوراقة بقوله:

^١ السيرطي: بغية الوراقة ١٠٠.

^٢ ياقوت الحموي: معجم الأديب ١٥ : ٢٨ ص ٦.

^٣ نقضه ١٥ : ١٣.

^٤ نقضه ١٥ : ٢٨.

«وطلّح عليّ [أي ابن عبّاد] يوماً في داره وأنا قاعدٌ في كسّر رواق أكتب له شيئاً قد كادني به، فلما أبصرته قمت قائماً، فصاح بعلّق مشقوق: أفعد! فالوراقون أحسن من أن يقوموا لنا»^١.

وعليّنا أن نلاحظ أن الوراقة كحرفة لم تكن تُعْري الناس، فلم يكن يُقبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلاباً، لذلك اعتمد كثيرٌ من الفقهاء والمُحدّثين عليّ الوراقة في كَسْب عيشهم^٢ مثل أبي سعيد الحسن بن عبد الله السمرزباني السيسرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨هـ / ٧٩٨م يقول الخطيب البغدادي:

«كان رحمه الله زاهداً ورعاً لم يأخذ عليّ الحُكْم أجراً، إنما كان يأكل من كُتْب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى يَنْسَخَ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشر دراهم تكون بقدر مؤنته ثم يخرج إلى مجلسه»^٣.

ومثل أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصمّ المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م أحد كبار علماء خراسان ومحدّثيها الذي كان

«يُورِقُ ويأكل من كُتْب يده ويكره أن يأخذ شيئاً على التحديث»^٤.

ومثل أبي زكريا يحيى بن عديّ بن حميد المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م أحد كبار فلاسفة هذا القرن الذي نَسَخَ بخطه نسختين من «تفسير الطبري» وحملها إلى ملوك الأطراف وكان يقول:

«قد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يُخصى ولعهدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»^٥.

^١ أبو حيان: أخلاق الوزيرين ١٤٤، باقوت: معجم الأدياء ١٥ : ٢٦.

^٢ عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي ١٢٣.

^٣ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧ : ١٣٤٢، باقوت: معجم الأدياء ٨ : ١٤٦ - ١٤٧، القفطي: إنباء الرواء: ٣١٣ - ٣١٤.

^٤ ابن الجوزي: المنتظم ٦ : ٣٨٦.

^٥ ابن النديم: الفهرست ٣٢٢.

ووقف ابن النديم على كتب كثيرة بخطه ومن بينها فهرست كتب
أرسطوطاليس^١.

ومثل السري الرفاء الموصلي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م
الذي قال عنه ياقوت:

«اشغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كُشاجم وكان مغرّباً به، وكان
يدسّ فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه ويتفق
سوقه ويشتع بذلك على الخالدين لعداوة كانت بينه وبينهما»^٢.

ثم اضطر إلى الارتزاق من الوراقة عندما أصابه ضنك العيش، يقول
الخطيب البغدادي:

«عُدّ القوت فضلاً عن غيره فجلس يُورق شعره ويبيعه، ثم نسّخ لغيره
بالأجرة وركبه الدّين ومات ببغداد على تلك الحال بعيد سنة ستين
وثلاثمائة»^٣.

ومن النّسّاخ أيضاً المعدمين شيخ الإسكندرية تاج الدين علي بن أحمد بن
عبدالمحسن الحسيني الغراف المتوفى سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م.

«كان يرتزق بالوراقة فإذا حصل قوته لا يتجاوز»^٤.

وككمال الدين أبو علي الحسن المعروف بالقمحدوة القرشي الكوفي الناسخ
«كتب الكثير لنفسه وتوريقاً للناس وقتل سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م. ونظير محمد
ابن علي أبو الغنائم التّرسي ويعرف بابن الكوفي «كان يُورق للناس بالأجرة»
وتوفى سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م^٥.

^١ ابن النديم - الفهرست ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.

^٢ ياقوت - معجم الأدياء ١١ : ١٨٤.

^٣ الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤.

^٤ ابن العماد - شذرات الذهب ٦ : ١١.

^٥ حبيب زيات - المرجع السابق ٣٠٩ - ٣١٠.

واضطرب بعض الأدباء إلى الاشتغال بنسخ الكتب ليعول نفسه وأسرته مثل ما حكى عن أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور الدقاق المعروف بابن الخاضية المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، قال:

«لما كان سنة الفَرَق [أي سنة ٤٦٦هـ] وقَعْتُ داري على قماشٍ وكتبي،
وكان لي عائلة: الوالدة والزوجة والبيت فكنت أوزق الناس وأتفق على
الأهل، فأعرف أنني كتبت "صحيح مُسلم" في تلك السنة سبع مرات».

وفيما يشير إليه أبو بكر ابن الدقاق بعد ذلك دليل على مَشَقَّة مهنة النسخ وعنائها يقول:

«فلما كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومنيادي
ينادي ابن الخاضية فأحضرت فقبل لي ادخل الجنة، فلما دخلت الباب
وصرت بالداخل استلقيت على قفائي ووضع إحدى رجلي على الأخرى
وقلت: أه: استرحت والله من النسخ»^١.

وعلى ذلك فقد أشار عدد من الشعراء إلى تأفف الوراقين وشكواهم من الوراق، فيقول أبي حاتم الوراق الكشمري نسبة إلى كشمَر إحدى قرى نيسابور:

إن الوراق حرفة مزمومة محبرومة عيشي بها زمن
إن عشتُ، عشتُ وليس لي أكلٌ أو متُّ، متُّ وليس لي كسفنٌ^٢

كما ردَّد مثل هذا الصدى أبو محمد عبدالله بن محمد بن صارة الشنتريني أحد شعراء الأندلس قال:

أما الوراق فهي أنكدُ حرفة أوراقها وثمارها الحرمانُ
شبهتُ صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان^٣

^١ ياقوت: معجم الأدياء، ١٧: ٢٢٧-٢٢٨.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٧٨.

^٣ ابن خلكان: وفیات الأعيان ٣: ٩٣.



وكان الكثير من خزنة دور الكتب يشتغلون بالورقة وتسخ الكتب. فكان
 إعلان الشعبي
 «تسخ في بيت الحكمة للرشد والمأمون والبرامكة^١، كما كان له دكان يبيع
 فيه الكتب وتسخ بياب الشام، م وكان يورق عنده فنى يعرف بالقران»^٢.
 وكان أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد خازن دار الكتب
 القديمة ومن ساكني درب منصور بالكرخ
 «خطه موجود بأيدي الناس كثير يرغب فيه ويعتمد غالباً عليه (كما يقول
 باقوت). وكان أبو السعادات ابن الشجري النحوي والتقيب حيدرة كثيراً ما
 يستكباناه»^٣.

كما كان أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله البصري
 القرميسيني الملقب بالواجكا اللغوي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م^٤ يتولى ببغداد
 النظر في دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور وإليه حفظها والإشراف عليها،
 ووصفه الصفي بأنه

«صاحب الخط المصحح والضببط الفصيح»^٥

وقد وقف باقوت الحموي على عدد من الكتب بخطه منها كتاب «عقلاء
 المجانين» لأبي بكر محمد الأزهرى [ابن أبي الأزهرى]^٦، وكتاب «أشعار بني ربيعة
 الجوخ» لعلي بن إبراهيم الدهكي وقد قرأه عليه^٧، وذكر القفطي أن أبا عبد الله
 محمد بن محمد بن عباد النحوي استكتبه كتاب «الوقف والأبتداء» له، قال

^١ ابن النعم: الفهرست ١١٨ باقوت: معجم الأدياء ١٢ : ١٩١ : الصفي: الروافى ١٩ : ٥٥٨ .

^٢ باقوت : معجم الأدياء : ١٢ : ١٩٢ ، حيدالستار الحلوى : الخطوط الرمي ١١٧ .

^٣ نفسه ١٧ : ٢٢٧ .

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١ : ٥٧ - ٥٨ : القفطي: إنباء الرواء ١ : ٥٠ : ٢ و ١٧٥ - ١٧٦

الصفي: الروافى بالوفيات ١٨ : ٤١٩ - ٤٢٠ .

^٥ الصفي: الروافى ١٨ : ٤١٩ .

^٦ باقوت : معجم الأدياء ٣ : ١٨ : ٥٠ ، ١١٦ : ٧ : ١٣٢ .

^٧ نفسه ١٢ : ٢١٦ وانظر كذلك ٤ : ١٥٤ .

عبد السلام البصري «فكتبت له منه نسخة وتركت المواضع المشككة فلم أشكلها فشكلها بخطه»^١.

ونسخة «إصلاح المنطق» لابن السكيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ والتي قرّح من نسخها علي بن عبيد الله الشيرازي في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان سنة سبع وأربعين وأربعمائة نقلت عن نسخة عليها قراءة لعبد السلام بن الحسين البصري بخطه هذا نصها:

«قرأت هذه الكرامة وأصلحتها وأبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحنطاط الشيرازي ينظر في أصلها الذي قرأته وصححتها وسمعتها مع ما قبلها من لفظي فليرو عني عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح ، وقد أجاز له أبو بكر بن الجراح عن أبي بكر محمد بن القاسم الأتباري عن أبيه عن ابن رستم عن يعقوب . . . وأجزته أنا لأخيه أبي نصر عبد العزيز بن محمد بن علي الحنطاط الشيرازي الشافعي ولصهره أبي ذرعة عبد الواحد بن عبيد الله الأدمي . وكتب عبد السلام بن محمد البصري وذلك يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة».

«ويخطه أيضاً :

وقد قرأ أبو العباس هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وكان يرويه عن أبي بكر محمد بن يزيد بن أبي الأزهر عن بندار بن لثة عن يعقوب ، وسمعت أنا بقراءة أبي علي الحسن بن ينال من أوله إلى آخره على القاضي أبي سعيد ، فإن أحببنا أن يرويا عنّا هذه الرواية فليروياها إن شاء الله».

وأضاف القفطي أن المبارك بن الفاجر بن محمد بن يعقوب النحوي

^١ القفطي : إنباء الرواد ٣ : ٢١٣ .

^٢ هو النسخة التي كتب بمدينة تبريز في شهر رمضان سنة ٤٢٤ هـ نسخة «ديوان البحري» المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٥٢ لخزان كتب الأستاذ الجليل أبي الظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث (بافورت : معجم الأئمة ١ : ١١١ : الصفدي : الوافي ٥ : ٣١٠).

«كانت له طريقة في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري [هذا] مُخَلِّمة الحروف كثيرة الضبط، وخطه مرغوب فيه له قَدْرٌ عند العلماء بهذا الشأن»^١

أما أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م خازن دار الكتب بالنظامية^٢ فيقول عنه القفطي:

«كان يكتب خطاً جيداً، تولى الخزن سنين كثيرة، ورأيت بخطه أجزاء متعددة من كتاب [تهذيب اللغة] للأزهري وفيها وَهْمٌ وَعَلَطٌ وَلَا شَكَّ في موته قبل إتمامه ومقابله»^٣.

وكان لكبار المؤلفين في القرون الأولى للإسلام ورَاقسون يتَوَلَّون نسخ مؤلفاتهم وتوزيعها وهو ما يعادل مهمة الناشرين في العصر الحديث، ويتولَّون كذلك تحصيل ما يريدونه من كتب وأجزاء وتجليدها. فكان أبو محمد ثابت بن أبي ثابت سعيد اللغوي يُورِّق لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م ويعرف بـ «وراق أبي عبيد»^٤. كما كان أبو يحيى زكريا بن يحيى ابن سليمان ورَاقاً للجاحظ، يقول ابن النديم في ترجمة الجاحظ:

«ورأيت أنا هذين الكتابين [يعني كتاب النساء وكتاب البغال للجاحظ] بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى ورَاق الجاحظ»^٥.

وذكر السمعاني والخطيب البغدادي ورَاقاً آخر للجاحظ هو أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حيدة المتوفى سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م. كما لزم أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي هاشم أبا العلاء المعريّ ونسخ له كتبه بأسرها بدون أجر^٦.

١ القفطي: إنباء الرواة ٣: ٢٥٧.

٢ باقوت: معجم الأدياب: ١٢ - ٢٧٤.

٣ القفطي: إنباء الرواة ٢: ١٧٥.

٤ نفسه ١: ٢٦١ - باقوت: معجم الأدياب ٧: ٢٤٠ - ١٤١ الصفاي: الوافي ١٠: ٤٦٧ - ٤٦٨.

٥ ابن النديم: الفهرست ١٢٠٩ باقوت: معجم الأدياب ١٦: ١٠٦ وقارن أبا علي القالي: الأمانى ١: ٢٨٤.

٦ السمعاتي: الأنساب ورقة ٥٨٠ ط الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٢٨.

٧ تعريف القدماء بأبي العلاء ٣٢، ٣٨، ١٠١، ٢٠١.

وكان أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحمق يورق الحنين بن إسحاق المصنوع في منزله لعلوم الأوائل، وكان ناسخاً^١، حدث المرزباني عن أبي عبدالله اليزيدي قال:

«كان أبو العباس الأحمق يكتب لي مائة ورقة بعشرين درهماً»^٢.

وذكر ابن النديم من بين ورأقي محمد بن يزيد المبرّد المشوفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م إسماعيل بن أحمد بن الزجاج وإبراهيم بن محمد الشاشي^٣. كذلك فقد كان الحسين بن عبدالله بن شاذان السمرقندي المشوفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م يورق لداود الأصبهاني الظاهري^٤، كما كان أحمد بن أخي الشافعي ورأقا لابن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب «الوزراء والكتاب»^٥، ومحمد بن أبي حاتم النحوي ورأقا للإمام البخاري^٦، وسلمة بن عاصم وأبو نصر بن الجهم ورأقين للقرء^٧.

وذكر الففطي أن إسحاق بن الجثيد البراز البصري الوراق اللغوي كان يورق لابن دريد ويأخذ عنه ويعرف بـ «وراق ابن دريد»^٨، كما كان له أيضاً ورأق يدعى علي بن أحمد الدردي صارت إليه كتب ابن دريد بعد موته^٩.

وكان الوراقون يختزنون أحياناً مؤلفات كبار العلماء ويحتكرونها حباً بالربح كما بيّنه النص التالي الذي أورده الخطيب البغدادي عن القرء قال:

«إن القرء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما

^١ ابن النديم: القهرست: ٨٧، باقوت: معجم الأديباء: ١٨، ١٢٥ و ١٢٦.

^٢ باقوت: معجم الأديباء: ١٨، ١٢٦.

^٣ ابن النديم: القهرست: ٦٥.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٨، ٥٩.

^٥ باقوت: معجم الأديباء: ٢، ١٣٧، الصفدي: الرافعي: ٦، ٢٢٩.

^٦ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٢، ٧، ١٤.

^٧ نفسه: ١٤، ١٥٠.

^٨ الففطي: إنباء الرواة: ١، ٢٢٠، الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين: ١٨٥.

^٩ الزبيدي: طبقات النحويين: ١٨٥، باقوت: معجم الأديباء: ١٢، ٢٢٣.

سمع من العربية وأمر أن يُغرد بحجرة من حُجر الدار ووكل به جواري وخذماً يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلّق قلبه ولا تتشوّق نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤذّونه بأوقات الصلاة، وسَيّر إليه الوراقين وألزمه الأمانة والمنفقين فكان يعلي والوراقون يكتبون حتى صَنّف «الحدود» في ستين، وأمر المأمون بكتبه بالخزائن.

فيعد أن قرّع من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ بكتاب «المعاني» [يعني معاني القرآن] قال الراوي: وأردنا أن نُعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب «المعاني» فلم نضبطهم فَمَدَدْنَا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً. فلم يزل عليه حتى أتمه. ولما قرّع من كتاب «المعاني» غرّته الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نُخرجه إلا لمن أراد أن تُنسخه له على خمس أوراق بدرهم، فشكا الناس إلى القراء فدعى الوراقين وقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحتك لتنتفع بك وكل ما صنّفته فليس بالناس إليه حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب فدعنا نعيش به، فقال: قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه، فقال: سأريكم وقال للناس: إني مُملّ كتاب معان أتم شترحاً وأبسّط قولاً من الذي أمليت، وجلس يُعلمي فأملئ «الحمد» في مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه وقالوا: نحن نُكَلِّم الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم^١.

سوق الوراقين

وكانت «سوق الوراقين» في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء» حتى امتلأت بغداد بأكثر من مائة حانوت للوراقة في زمن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي^٢ المتوفى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م، فيذكر ابن النديم أن الجاحظ «كان يكثرى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر»^٣. كما كان العلماء يترددون عليها للاطلاع على نفاثس الكتب ونوادرها ولذلك اتهم محمد التوبختي أبا الفرج الأصبهاني صاحب كتاب «الأغاني» بأنه

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ : ١٥١، باقوت: معجم الأديب ٢٠ : ١٢ - ١٣، ابن خلكان: وفيات ٦ : ١٧٧ - ١٧٨.

^٢ اليعقوبي: كتاب البلدان ١٣.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٣٠.

«أكلب الناس يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون كل رواياته منها»^١. ولا يخفى ما في هذا القول من الحسنة وقلة الإنصاف. وكان المصنّف الشاعر يكثر زيارة سوق الوراقين ومطالعة ما يقع فيها من أحاسن المؤلفات، أخيراً ورأى أن يجلس إليه قال:

«ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبيدان (يقصد المصنّف) كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه، فأخذ ينظر فيه طويلاً: فقال الرجل: يا هذا أريد بيعة وقد قطعني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة فيعيد، فقال: إن كنت حفظته فمالي عليك؟ قال: أحب لك الكتاب. قال الوراق: فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى آخره ثم استلبه فجعل في كفه وقام، فتلق به صاحبه وطالبه بالسن فقال: ما إلى ذلك سبيل قد وهبت لي، فمعتاد منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للعلم فتركه عليه»^٢.

وكان لعبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هاني الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م دكان ببغداد يورق فيه ويجتمع إليه عامة أهل الأدب ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة ما لا يحصل في غيره من أندية الأدب^٣. قال عنه ياقوت:

«حسن المعرفة صحيح الخلق حسنة يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»^٤.
ومن المواضيع التي اشتهرت ببيع الكتب في بغداد «طاق الحراني»^٥، فعندما توفي أبو العباس جعفر بن أحمد المروري - أحد جماعى الكتب ومؤلفيها وأول

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٣٩٩.

^٢ نفسه ٤: ١٠٣.

^٣ نفسه ٢: ١٣٤.

^٤ ابن النديم: الفهرست ٨٨.

^٥ طاق الحراني: محلة ببغداد بالجانب الغربي من حد القنطرة الجديدة وشارع طاق الحراني إلى شارع باب الكرخ، نسبة إلى إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني من موالي المنصور وزير الهادي موسى بن المهدي - (ياقوت: معجم البلدان ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).

من ألف في المسالك والممالك كتاباً ولم يتمه - بالأهواز

«حُمِدَتْ كُتُبُهُ إِلَى بَغْدَادٍ وَبِعِمَّتْ فِي طَاقِ الْخِرَاقِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ»^١.

كما أن أبا القاسم الحارث بن علي الوراق البغدادي أحد رؤوس المعتزلة^٢ الذي كانت له مع أبي علي الجبائي مناظرات واجتمعا بسوق الأهواز ذكره أبو القاسم البَلْخِي في كتاب «المحاسن» وقال :

«كَانَ وَرَاقًا يَبِيعُ الْكُتُبَ وَيُورِّقُ لِلنَّاسِ بِقَصْرِ وَضَّاحٍ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ»^٣.

وكان ينتشر بسوق الوراقين دلالون يتادون على الكتب ويُقَوِّمُونَهَا مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الزُّبَيْدِيُّ عَنْ خَيْرَانَ الْوَرَّاقِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى تَعَلَّبَ

«خَلَّفَ كِتَابًا جَلِيلَةً ، فَأَوْصَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ - أَحَدِ أَعْيَانِ تَلَامِيذِهِ - وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي دَفْعِ كِتَابِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَطْرُوقِيِّ - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الرَّجَاجُ لِلْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [الوزير] : هَذِهِ كِتَابٌ جَلِيلَةٌ فَلَا تَقْوَتْكَ ، فَتَقَدَّمَ الْقَاسِمُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَأْسَ الْبَيْتِ أَنْ يَقْوَمَ الْكُتُبُ وَيَأْخُذَهَا لَهُ ، فَأَحْضَرَ خَيْرَانَ الْوَرَّاقِ فَقَوِّمَ مَا يَسَاوِي عَشْرَ دَنَانِيرٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ فَبَلَغَتْ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا الْقَاسِمُ بِهَا»^٤.

ويضيف الزُّبَيْدِيُّ قائلاً :

«فَلَمَّا رَأَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ - وَقَدْ أَحْضَرْنَا لِشِرَاءِ كُتُبٍ يَبِيعُهَا وَوَلَدَ الْقَاسِمَ - دِيْوَانَ مَسَائِلِ الْأَخْفَشِ» وعليه بخط ابن خَيْرَانَ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ ، وَعَلَيْهِ عَطَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ أَنْ يَسْتَخْرِجَ لِي مَسَائِلَ الْأَخْفَشِ كُلِّهَا فِي النَّحْوِ ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ بِهَذِهِ النُّسخةِ وَأَعْلَمَنِي أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مَسْأَلَةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَبَلَغَتْ الْأَجْزَاءُ فَأَخَذَهَا بَعْضُ وَلَدِ الْقَاسِمِ وَلَمْ يُمْكِنَّا مِنْ شِرَائِهَا.

قال محمد بن أبان بن سَيْدٍ : وَهِيَ بِخَطِّ ذِي الرُّمَّةِ وَرَاقِ أَبِي حَاتِمٍ . وَقَدْ

^١ ابن النديم : الفهرست ١١٦٧ باقوت : معجم الأدباء ٧ : ١١٥٦ - الصغددي : الروابي بالوقيات ١١ : ٩٦ .

^٢ القاضي عبد الجبار : فضيل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٣٠٣ .

^٣ ابن النديم : الفهرست ١٢١٨ الصغددي : الروابي ١١ : ٢٦٠ .

^٤ الزبدي : طبقات النحويين واللغويين ١٤٩ - ١٦٥٠ باقوت : معجم الأدباء ٥ : ١٢٧ .

رأيت هذه النسخة بين يدي أمير المؤمنين المستنصر بالله [الأموي] قبل ولايته،
أنته من العراق»^١.

كما يروي ابن النديم عن يحيى بن عدي قوله :

«إن شرح الإسكندر [الأفروديسي] للسمع كله ولكتاب البرهان
[لأرسطو] رأيت في تركة إبراهيم بن عبدالله الثقفي النُصْراني وأن الشرحين
عُرضاً على مائة دينار وعشرين ديناراً، فمضيت لأحتال الدنانير ثم عدت
فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب علي رجل خراساني بثلاثة
آلاف دينار»^٢.

وذكر القفطي أنه كان يحضر بمصر حلق الكتب عند بيعها، قال :

«فإذا قال المتادي كتاب كذا بخط أبي يعقوب يوسف بن يعقوب [

التجيزي رُفعت نحوه الأعتاق»

لأن خطه كان في غاية الصحة وكان للمصريين تنافس فيه إذا وقع لهم^٣.

كذلك كان يُتأدى على الكتب في سوق الوراقين كالعُطْرَف يقول أبو جعفر

محمد بن يحيى بن شبيب زَاد

«اتصل بي أن مُسَوِّدة كتاب الأغاني - وهي أصل أبي الفرج - لكتب أبو
الفرج الأغاني مرة واحدة في عمره وهي النسخة التي أهداها إلى سيف
الدولة^٤ أُخْرِجَتْ إلى سوق الوراقين لتبائع، فأنفذت إلى ابن قُرَابة وسأته
إنقاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرفني أنها بيعت في النداء بأربعة
آلاف درهم، وأن أكثرها في طروس وبخط التعليق وأنها اشترت لأبي أحمد
بن محمد بن حَفْص، فراسلت أبا بكر أحمد فأذكر أنه يعرف شيئاً من هذا،
فبحثت كل البحث فما قَدَرْتُ عليها»^٥.

^١ الزبيدي : المصدر السابق ١٥٠ .

^٢ ابن النديم : الفهرست ٣١٣ .

^٣ القفطي : إنباء الرواه ٤ : ٦٧ .

^٤ ياقوت : معجم الألباء ١٣ : ٩٨ .

^٥ نفسه ١٣ : ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر فيما يلي من ٢٢٩ .

هذا في الوقت الذي يذكر فيه ياقوت أنه قرأ على ظهر جزء من نسخة لكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني :

«حَدَّث ابن عرس الموصلِي وكان المُتَرَسِّل بين عِزِّ الدولة وبين أبي تَغَلِّب ابن ناصر الدولة، وكان يَخْلِف أبا تَغَلِّب بأمرتي بِابْتِيعَ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني فابْتِيعت له بِعِشْرَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ صَرَفِ ثَمَانِيَةِ عَشْرِ دِرْهَمًا بِدِينَارٍ، فَلَمَّا حَمَلْتَهُ إِلَيْهِ وَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَأَى عِظْمَةَ وَجَلَالَةَ مَا حَوَى قَالَ : لَقَدْ ظَلَمَ وَرَاقَهُ الْمَسْكِينُ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِأَيِّ عِنْدِي عِشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلَوْ فَقَدْ لَمَّا قُدِّرَتْ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ إِلَّا بِالرَّغَائِبِ، وَأَمْرٌ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ نَسْخَةَ أُخْرَى وَيُحَدِّدَ عَلَيْهَا اسْمَهُ قَابِتًا بِذَلِكَ، فَمَا أَدْرَى أَتَيْتُ النِّسْخَةَ أَمْ لَا؟»^١

وكان كثيرٌ من الورَّاقين يُنْسِبُونَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَيَذِعُوهَا لِتَكْتَسِبُوا مِنْ وَرَائِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «الْأَغَانِي الْكَبِيرِ» الْمُنْسُوبِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ، يَقُولُ ابْنُ النَّدِيمِ :

«قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْبِيدِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْكُوفِيِّ الْأَسَدِيِّ، حَدَّثَنِي فَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدِ الْبِزْدِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ اعْطِنِي كِتَابَ الْأَغَانِي، فَقَالَ أَيُّمَا كِتَابٍ؟ الْكِتَابَ الَّذِي صَنَّفْتَهُ أَوْ الْكِتَابَ الَّذِي صَنَّفَ لِي، يَعْنِي بِاللَّذِي صَنَّفَهُ «كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُغْنِيَّيْنَ وَاحِدًا وَاحِدًا» وَالْكِتَابَ الَّذِي صَنَّفَ لَهُ «كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَغَانِي الْكَبِيرِ» الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ .

حَدَّثَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْفَ قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ إِسْحَاقَ يَقُولُ : مَا أَلَّفَ أَبِي هَذَا الْكِتَابَ قَطُّ - يَعْنِي كِتَابَ الْأَغَانِي الْكَبِيرِ - وَلَا رَأَى . وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَشْعَارِهِ الْمُنْسُوبَةَ إِنَّمَا جُمِعَتْ لَمَّا ذَكَرَ مَعَهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَمَا غَنَّى فِيهَا إِلَيَّ وَقْتًا هَذَا، وَأَنَّ أَكْثَرَ نَسْبَةِ الْمُغْنِيَّيْنَ خَطَأً، وَالَّذِي أَلْفَسَهُ أَبِي مِنْ دَوَائِرِ غَنَائِهِمْ يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ هَذَا الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ وَرَاقٌ كَانَ لِأَبِي بَعْدَ وَفَاتِهِ، سِوَى الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ أَوْلَى

^١ ياقوت : معجم الأبياء ١٣ : ١٢٥ - ١٢٦ .

الكتاب فإن أبي الفها، إلا أن اختياره كلها من روايتنا. وقال لي أبو الفرج:
هذا سمعته من أبي بكر وكعب حكاية فحفظته واللفظ يزيد وينقص.

وأخبرني جحظة أنه يعرف الوراق الذي وصّته وكان يسمى سندي بن
علي وحانوته في طاق الزّبل وكان يُورق لإسحاق، وأثقف هو وشريك له علي
وضعه؛ وهذا الكتاب يُعرف في القديم بكتاب السّرة وهو أحد عشر جزءاً
ولكل جزء أول يُعرف به، فالجزء الأول من الكتاب «الرّخصة» هو تأليف
إسحاق لا شك فيه ولا تخلف^١.

ويروي ياقوت عن أبي حيّان التوحيدي أن ابن الخراز الوراق ببغداد وأبا بكر
القطري وأبا الحسين بن الخراساني - وهما ورّاقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة
- حدّثوه أن أبا سعيد السّيرافي إذا أراد بيع كتاب - استكتبه بعض تلامذته حرصاً
على النّفع منه، ونظراً في رق المعيشة - كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف
منه:

«قال الحسن بن عبدالله: «قد قرئ هذا الكتاب عليّ وصحّ» لِيُشْتَرَى بأكثر
من ثمنه».

وعلق ياقوت على ذلك بأنه يتعارض مع «ما وصفه به الخطيب [البغدادي]
من مشاة الدين وتأنيبه من أحد رزق علي القضاء وقناعته بما يُحصّل من
نسخه»^٢.

وتؤكد لنا النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا من كتاب «المُقْتَضَب»
للمبرّد، وهي واحدة من أقدم المخطوطات المؤرخة المعروفة ومحفوظة في مكتبة
كوبربلي باستامبول تحت رقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨ وهي أربعة أجزاء في مجلدين،
كلام أبي حيّان. فقد كتّبت هذه النسخة أحد تلامذة أبي سعيد السّيرافي هو

^١ ابن النديم: الفهرست ١٦٥٨ ياقوت: معجم الأبياء ٦: ٥٧ - ٥٨.

^٢ ياقوت: معجم الأبياء ٨: ١٩٠.

مُهَلِّهَلْ بن أحمد كتبها ببغداد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة لشخص يدعى أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي، ووَصَفَه القفطي بأنه «صاحب خط منسوب»^١، فقد جاء على صفحة عنوان أجزاء الكتاب الأربعة :
«قرأت هذا الجزء من أوله إلى آخره وأصلحت ما فيه وصححته، فما كان فيه من إصلاح وتخريج يغير خط الكتاب فهو بخطي. وكتب الحسن بن عبدالله السيرافي».

وكتب بجوار ذلك بخط مخالف على غلاف الجزء الثاني :

«خط أبي سعيد أيده الله».

وهذا يعني أن هذه النسخة واحدة من النسخ التي أعطى عليها أبو سعيد السيرافي خطه كما ذكر الوراقون البغداديون. ولكن هل قرأ أبو سعيد السيرافي الكتاب حقاً وصوّبه؟

يقول الشيخ محمد عبدالحالقي عضيمة محقق هذه النسخة رحمه الله : إن تصحيح السيرافي كان أكثره موجهًا إلى ذكر ما سقط من ألفاظها مما يتوقف عليه استقامة الكلام، وقد بلغ هذا السقط في بعض المواقع ثلاثة سطور. ولم يعلق شيئًا له صلة بالناحية الموضوعية ولو كان كلام المبرّد مناقضًا لما قدّمه، ويضيف الشيخ عضيمة أن أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقي صاحب «تفسير المسائل المشكّلة في أول المقتضب» يذكر أنه راجع نسخًا متعددة من المقتضب في بعض المسائل فوجد ألفاظها متفقة في هذه المسألة، ولذلك استبعد أن تكون نسخته قد وقع فيها غلط في ألفاظ هذه المسألة، قال :

«وقد كان بعضهم يذهب إلى أنه غلط وقع في النسخ وهذا عندي لا يصح، لبعد اتفاق مثله حتى تُجمع عليه النسخ كلها من غير أن يكون السُّملي قائله، ولو كان على ما قال لوجب أن يكون بعض النسخ قد جاء على خلاف

^١ القفطي : إنباء الرواه : ١ : ١١٩٤ الصفدي : الوافي : ٩ : ١١٢ .

هذا، ويكون بعضها على الخطأ وبعضها على الصواب، فلما اتفقت على هذا الوجه الواحد علمنا بطلان هذا القول وثبت أن صاحب الكتاب أملاها كذلك^١.

ولم يطلع الفارقي على نسختنا هذه لأن ألفاظها مخالفة لما ذكره من ألفاظ هذه المسألة^٢.

ومن نوادر ما كان يحدّث في سوق الورّاقين ما رواه ياقوت عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر بن الحشّاب المتوفى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م يقول:

«كان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع من ورقه، وقال: إنه مقطوع لياخذه بشم بئس^٣».

وكان ذلك لغرابة في أخلاقه فيضيف ياقوت أيضاً أنه كان

«إذا استعار من أحد كتاب وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه^٤».

وكان أبو محمد يحيى بن محمد الأرزني النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م

«مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب يخذاد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصح» للمُلب ويبيعه بنصف دينار ويشترى نيذاً وحمماً وفاكهة، ولا يبيت حتى يُثَق ما معه منه^٥».

^١ الفارقي: تفسير المسائل المشكّلة في أول القنص، تحقيق سير أحمد معلوف، القاهرة - معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٣، ٣٢٧.

^٢ محمد عبدالحق عصفية: مقدمة المتنصّب للمبرد ١: ٨٦ - ٨٧.

^٣ ياقوت: معجم الأدياء، ١٢: ٥١.

^٤ نفسه، ١٢: ٥١.

^٥ نفسه، ٢٠: ٣٤ - ٣٥.



وفي العصور المتأخرة غلبَ على الوراقين المشتغلين بتجارة الكتب اسم «الكتبي» وأصبح يقال لهم «الكتبيون». ومن أشهر هؤلاء الكتبيين جمال الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المعروف بالوطواط الكتبي الوراق المتوفى سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م صاحب كتاب «مباحج الفكر ومناهج العبر» الذي يعد أول موسوعة في سلسلة الموسوعات الضخمة التي ظهرت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي . ويَدُلُّ لقب الكتبي الوراق المصاحب لاسم الوطواط بوضوح تام على أنه كان من تجار الكتب ونسأخها وهي أمور تجعله وثيق الصلة بموضوعات الأدب^١. وقد مَلَكَ الصَّفدي بخطه «الكامل في التاريخ» لابن الأثير وذكر أنه ناقش المصنف في حواشيه وغأطه وواخذه^٢.

وكذلك صلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبدالرحمن الدمشقي المعروف بابن شاکر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م، يقول ابن حجر العسقلاني:

«كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرزق منها مالا طائلاً»^٣.

وربما كان جنوداً خطه ووضوحه وإتقانه في الوراقة جملة - كما يدل عليه نسخة كتابه «قوات الوفيات» التي وصلت إلينا بخطه وهي أربعة أجزاء منها ثلاثة (١، ٢، ٤) محفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢١ وجزؤها الثالث بمكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج، وكذلك أجزاء من «عيون التواريخ» بخطه أيضاً محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٣٧١ تاريخ - سبب

^١ الصفدي: الرافي ٢: ١٦ - ١١٨ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ أبو الحسن: الليل الثاني: ٥٧٩.

^٢ الصفدي: الرافي ٢: ١٧ وقارن البخاري: الإعلان بالتاريخ ٦٧٣.

^٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ١٧١ ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ٢٠٣.

في إقبال الناس على ما ينسخه من كتب، كما أضاف له حُسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال، فقد وُصف بأنه ذا مروءة في معاملته للناس^١.

ومنذ هذا التاريخ أصبحت أسواق الوراق تُعرَف بـ «سوق الكتّيبين»، وقد وصَفَ المقرئ في سوق الكتّيبين في القاهرة بقوله:

«هذا السوق فيما بين الصّاعَة والمدرسة الصّالحية أُخذت فيما أظنّ بعد سنة سبعمائة، وهو جار في أوقاف المارستان الحنّصوري - وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في أول زقاق القناديل بجوار دار عمرو - وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دُمّر الآن فلا يعرف موضعه. وكان قد نُقل سوق الكتّيبين من موضعه الآن بالقاهرة إلى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الأقرم وبين سوق الحصريين المجاور للركن المُخَلَّق، وكان يعلو هذه القيسارية ربيع فيه عدة مساكن فتضرت الكتب من ندوة أقبية البيوت وقسّد بعضها فعادوا إلى سوق الكتب الأول حيث هو الآن. وما برح هذا السوق مَجْمَعاً لأهل العلم يترددون إليه»^٢.

وظلّت تجارة الكتب والوراق مزدهرة أيضاً في هذه الأسواق التي كانت مراكز للتسخّ والتجليد نتيجة للنشاط الثقافي الكبير الذي شهده العصر المملوكي. ولا شك أن المدارس المملوكية هيأت فرصة قيام تجارة نشطة في الكتب لم تكن لتزدهر في هذا العصر بدون هذه المدارس، فعلى سبيل المثال يذكر السخاوي أن أحمد بن محمد الكتبي كان يبيع الكتب تحت [المدرسة] الصرغتمشية لطلاب المدرسة^٣، ولا شك أنه كان هناك كتّيبون آخرون يقومون بنفس المهمة بالقرب من المدارس الأخرى.

^١ مقدمة إحسان عباس لغوات الوفيات لابن شاكر ٣، وانظر كذلك حبيب زيات: المرجع السابق ٣٢٥.
^٢ المقرئ: المخطوط ٢: ١٠٠٢، ١: ٣٧٤ من ٣٢ و ٣٧٥ من ٢٢.
^٣ السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٢٠٧.

الوراقون والعلماء المشهورون بجودة الخط

كانت جودة الخط وصحة النقل ودقة الضبط شروطاً أساسية للنجاح في صناعة الوراقة. وقد بدأت عملية تحسين الخطوط والتأنيق فيها منذ عصر المأمون يقول ابن النديم:

«لم يزل الناس يكتبون على مثال الخط القديم الذي ذكرناه إلى أول الدولة العباسية، فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط. وحدث خط يسمى العراقي وهو المحقق الذي يسمى رراقي، ولم يزل يزيد ويحسن حتى انتهى الأمر إلى المأمون، فأخذ أصحابه وكتابه بتجويد خطوطهم فتفاخر الناس في ذلك»^١.

فمنذ هذا العصر أخذت الخطوط تكتسب قيمةً جمالية جديدة على أيدي النساخين والوراقين حتى أصبحت بغداد في القرن الرابع تباهي بمن فيها من الخطاطين والوراقين^٢، يقول أبو القاسم البغدادي مفاخرًا أهل أصفهان:

«هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن مثل من أرى ببغداد من الوراقين والخطاطين؟»^٣.

وكان للخط الكوفي الذي نشأ في العراق سلالتان إحداهما بها مسحة من الترييع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن تجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى الترييع والزوايا استخدمت في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، والأخرى أخف وأكثر تدويراً استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن، وهو ما عُرِفَ بالمُحَقَّقِ الرَّاقِي أو خط التحرير الذي استخدمه الوراقون في السُّخ؛ وهذا النوع من الخطوط هو الذي نال تجويداً ظاهراً فيما بعد على يد كل من ابن مقلة وعلي بن هلال النُّوَّاب^٤.

^١ ابن النديم: الفهرست، ١١، وانظر فيما سبق ص ٥٥.

^٢ عبد الستار الخلوجي: المرجع السابق، ١١٩.

^٣ حكاية أبي القاسم البغدادي، ٦٤. ^٤ انظر فيما سبق ص ٥١.

وقد بدأت عملية تطوير خط كتابة الكتب مع نشأة حركة التأليف والترجمة ومع إنشاء خزائن الكتب الكبرى، والتي كانت تزود بالكتب عن طريق وحيد هو النسخ، فبدأت حركة الوراقة لاستنساخ الكتب بالأجرة وهي حركة كانت تفرض على صاحبها أن يكون مليح الخط صحيح الضبط واسع العلم. وقد طوّر هؤلاء الوراقون الخط المعروف بالمُحَقَّقُ الرَّاقِي والذي خُصَّصَ لنسخ الكتب في القرنين الثالث والرابع الهجري. وكان يلزم على الناسخ وهو ينسخ الكتب وخاصة ما يتعلّق منها باللغة والأدب مراعاة الدقة في قواعد الإملاء وأن يكون على إحاطة تامة بأمور التدوين والرواية في مختلف أدوارها^١. وقد تحققت هذه الصفات في الرَّاقِينَ والنَّاسِخِ الذين يمكن أن نُطلق عليهم «النَّاسِخُ العلماء»، وأغلبهم من علماء اللغة والأدب مثل: عبدالله بن محمد بن وداع الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، وأبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحمول الناسخ الذي «كان ناسخاً عزيز العلم واسع الفهم جيد الرواية حسن الدراية... وكان يُورِّقُ لحنين بن إسحاق المتطّيب في متقولاته لعلوم الأوائل... وكان يكتب كل مائة ورقة بعشرين درهماً^٢»، وأبو موسى سليمان بن محمد الخامض المتوفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبيد الأسدي المعروف بابن الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨هـ/٩٦٠م، وأبو الحسن علي بن محمد بن الخلال الأديب الناسخ المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وأبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السُّسَمِي [السُّسَمَانِي] المتوفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م.

وكان من بين الذين ربطوا ابن مقلّة بآبِنِ الرَّاقِي مجموعة من النَّاسِخِ العلماء تَمَرَّقُوا في كتابة الخط الرَّاقِي ونشأوا جميعهم في العراق مثل أبو الطيب أحمد ابن أحمد بن أخي الشافعي الذي وصلت إلينا نسخة بخطه من «ديوان الفرزدق»

^١ درمان: المرجع السابق ٢٢.

^٢ باقرت: معجم الأدباء، ١٨: ١٢٥ و ١٢٦، الصفي: الوافي بالوفيات ٢: ٣٤٤ و ٣٤٥.

تَقَلَّهَا عن نسخة بخط أبي سعيد السُّكْرِي وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٨٨٠٠، ومُهَلَّهْل بن أحمد أحد تلاميذ أبي سعيد السُّكْرَانِي الذي كَتَبَ في بغداد سنة ٣٤٧هـ نسخة كتاب «المُقْتَضَب» للمُبَرِّدُ المحفوظة الآن في مكتبة كوبريلي في استانبول برقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨. وقد اقترن اسم مُهَلَّهْل بـابن مُقَلَّة وأصبح يُضْرَبُ المثل بمن يكتبون الخط المنسوب بأنهم يكتبون مثل خط ابن مُقَلَّة ومُهَلَّهْل واليزيدي^١، وقد عَظَمَ العلماء الكتب التي تَسَخَّرَهَا هذا العالم الخَطَّاط حيث أشار عبد القادر البغدادي إلى أن بحوزته شرحين على «ديوان زهير ابن أبي سلمى» أحدهما بخط مُهَلَّهْل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب^٢. أما أبو عبدالله محمد بن أسد البزَّاز شيخ ابن اليوَّاب فقد وصلت إلينا بخطه نسخة من كتاب «الأمالي» لأبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م كتبها عام ٣٧٠هـ وهي محفوظة في مكتبة عاشور أفندي بالسليمانية باستانبول تحت رقم ٩٠٤؛ وقد ذكر المؤلف المجهول صاحب الرسالة في الكتابة المنسوبة أن محمد بن أسد كان «يَسَخِّرُ الدواوين ومجاميع الشعر بِتَسَخُّرٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمُحَقِّقِ»^٣ وتُمَثِّلُ النسخ التي كتبها بخطه علي بن شاذان الرازي ووَصَلَ إلينا منها مصحفٌ محفوظٌ في مكتبة جامعة استانبول برقم A6778 مؤرخ سنة ٣٦١هـ ونسخة من «طبقات اللغويين والنحويين» لأبي سعيد السُّكْرَانِي محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا بالسليمانية باستانبول تحت رقم ١٨٤٢ ومؤرخة سنة

^١ التالبي: بيمة الدهر ٤ : ٤٠٦.

^٢ البغدادي: خزائن الأدب ٢ : ٣٣٤، وانظر مقال رمضان ششن الذي عرض فيه إلى خصائص كتابة أربع من المخطوطات المكتوبة في القرن الرابع الهجري هي: «المدخل في علم أحكام النجوم» لأبي مُسْتَشِيرِ البَلْخِي نسخة مكتبة جبار الله رقم ١٥٠٨، و«المُقْتَضَب» للمُبَرِّدُ نسخة كوبريلي رقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨، ونسخة تحتوي على ثلاث رسائل في الفلك لثابت بن قُرَّة في مكتبة كوبريلي أيضاً برقم ٩٤٨، ثم أقدم نسخ كتاب «الصناعتين» لأبي هلال السُّكْرِي وهي النسخة التي كتبها بخطه في مكتبة كوبريلي برقم ٣٣٥ (H.J. Ramazan Sesen, «Les caractéristiques de l'écriture de quatre manuscrits du IV^e s H.J.», dans *Les manuscrits du Moyen-Orient*, pp. 45-48. OX^e A.D.).

^٣ خليل محمود عسائر: رسالة في الكتابة المنسوبة ١٦٦.

٣٧٦هـ، وكذلك نسخة كتاب «حَدَف من تَسَبب قريش» عن مُؤرِّج السَّدوسي والتي كتبها أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله التَّجِيرمي المتوفى سنة ٨٤٣هـ / ٩٥٤م نموذجاً للخط الذي اصطلح على تسميته بالخط شبيه الكوفي أو الخط الكوفي المشرقي، فقد تقطعت فيه الألفاظ وشكَّلت الحروف بالشكل الكامل بالطريقة المتبعة الآن. وهذه المخطوطات بخطها وشكلها ورسمها وعلاماتها الفارقة تعد وثيقة من الطراز الأول لدراسة علم تطور الخط العربي.

ومن التُّسَاخ العلماء كذلك إسماعيل بن حَمَاد الجَوْهَري المتوفى بعد سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م، قال عنه الثعالبي:

«وخطه يُضْرَب به المثل في الحُسْن ويُذكَر في الخطوط المنسوبة كخط ابن

مُقَلَّة ومُهَلَّهَل واليزيدي»^١.

وقد تَعَلَّم الجَوْهَري الخط في بغداد ثم انتقل إلى نيسابور وأقام بها مدة، كما يقول الثعالبي، «على التدريس وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف والدفاتر اللطاف»^٢، فكان الجَوْهَري أول من حَمَلَ إلى الشرق طريقة ابن مُقَلَّة ونَشَرَهَا هناك^٣، ولم يصل إلينا للأسف أي كتاب أو مصحف بخط الجَوْهَري.

أما مدرسة ابن اليَوَّاب فقد استمر تأثيرها أكثر من ثلاثة قرون حتى ظهور ياقوت المستعصمي ووصَّلت إلينا نماذج كثيرة بالخط الذي طَوَّره ابن اليَوَّاب واستُخْدِم في نَسْخ الكتب. ومن بين الذين حاكوا أسلوب ابن اليَوَّاب وحملوا خصائص مدرسته من التُّسَاخ العلماء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالحق الديتوري المعروف بابن الخازن المتوفى سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، قال عنه ابن خَلِّكان:

«كان فاضلاً نادرة في الخط أوحد وقته فيه»^٤.

^١ الثعالبي: نيمية الدر ٤: ٤٠٦.

^٢ نفس ٤: ٤٠٧.

^٣ درمان: المرجع السابق ٢٢.

^٤ ابن خلكان - وفیات الأعيان ١: ١٤٩.

وأبو منصور مَوْهُوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ١١٤٤هـ / ١١٤٤م، قال عنه ياقوت:

«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمقالة به»^١.

ووصل إلينا نموذج بخطه هو مجموعة في اللغة كتبها سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م محفوظة الآن في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Esc. 1705، ونسخة من تفسير غريب القرآن لأبي بكر السجستاني كتبها أيضاً سنة ٤٩٩هـ محفوظة في مكتبة شيسسترني برقم ٣٠٠٩، توضح لنا تطور خط نسخ الكتب بين القرن الرابع والقرن الخامس على طرية ابن البواب.

ومع نهاية القرن السابع الهجري أخذ أسلوب ياقوت المُستعصمي يحلّ محلّ طريقة ابن البواب وأسلوبه وعلى الأخص في كتابة الخط الوراقِي وحكّت مصر محل بغداد والعراق في فنون الخط العربي، وعرفت العديد من النسخ العلماء يأتي في مقدمتهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب التويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م، صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، قال عنه أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي:

«كان قضيها فاضلاً مؤرخاً بارعاً، وله مشاركة جيّدة في علوم كثيرة وكتب

الخط المنسوب. قبل إنه كتب صحیح البخاري ثمانی مرات وكان يبيع كل

نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث

كراريس»^٢.

وصلاح الدين خليل بن أيبك الصقدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» الذي «كتب الخط المنسوب»^٣. ووصل إلينا من خطه نماذج كثيرة في شكل مسودات ومبيّضات وتعلّكات وسماعات وقراءات وإجازات على أغلفة الكتب.

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٩ : ٤٣٠٥ القفطي: إنباء الرواة ٣ : ٣٣٥.

^٢ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ : ٢٩٩.

^٣ أبو المحاسن: المنهل العاصي والمتوفى بعد الوافي ٥ : ٢٤٢.

ويعُدُّ محمد بن إسحاق النَّدِيم وياقوت الحمَوي أشهر الورَّاقين العرب الذين ذاعت شهرتهم واستمرت إلى وقتنا هذا .

فقد كان أبو الفرج محمد بن إسحاق النَّدِيم الورَّاق يتاجر في الكتب في بغداد مما أتاح له التعامل مع العديد من النُّسخ العتيقة والاطلاع على الكثير من المؤلفات التي يَسَّرَتْ له تأليف كتابه «الفهرست» - الذي بدأ في تأليفه عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م - ويعتد أول محاولة من نوعها لعرض تاريخ الأدب العربي، وأصبح منذ ذلك الوقت المصدر الرئيسي لمعرفة مصادر الأدب والعلم في القرون الأربعة الأولى للإسلام^١.

أما ياقوت الحمَوي (٥٧٥ - ٦٢٦هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٩م) فقد كان في الأصل عبداً رقيقاً ولم يبدأ اشتغاله في الكتب وتجارتها إلا في عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩م بعد وفاة سيده وإعتاقه له . ومنذ تلك اللحظة استقر في بغداد واحترف مهنة نُسْخ الكتب بالأجرة والاتجار فيها، مما ساعده على تحصيل فوائد كثيرة ضَمَّتْها في كتابيه «معجم الأدياء» و«معجم البلدان»^٢.

ويُلَغ من معرفة ياقوت الحموي بخطوط القدماء وإلفه بها أنه كان يتعرَّف عليها حتى ولو لم يُدَكِّر ذلك يقول:

«قرأت بخط [الحسن بن علي] ابن أبي سالم الذي لا أرتاب فيه»^٣.

وفي موضع آخر:

«قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب فيه»^٤.

وفي موضع ثالث:

«قال أبو حيان [النوحدي] في كتاب «تقريب الجاحظ» ومن خطه الذي لا

أرتاب فيه نقلت»^٥.

^١ انظر فيما تقدم ص ٩٨ - ٩٩ .

^٢ انظر فيما تقدم ص ١٠٠ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء : ٩ ، ٧٧ : ١٠٨ .

^٤ نفسه : ٧ : ٢٥٣ .

^٥ نفسه : ٣ : ٢٧ ، ٨ ، ١٥٠ : ١٦ ، ١٥٠ : ٧٨ ، ٩٥ ، ١٠١ .

كذلك فقد ذكر ياقوت أنه شاهد على نسخة الحاكم أبي سعيد بن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي سماعات بخطوط عدد من العلماء ثم قال :
«ومعرفي بالخطوط الموجودة على النسخة كعمرفتي بما لا أشك فيه»^١.

وقد حَفِظَ لنا كُلُّ من ابن التديم وياقوت الحموي والقفطي وابن أبي أصيبعة والصفدي أخبار الوراقين الذين اشتهروا بحسن الخط وضبطه ورغبة الناس في اقتنائه حتى قرب نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، فمنهم :
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن توزون [توزون] الطبري النحوي المتوفى سنة ٩٣٥هـ / ٩٦٦م . قال ياقوت :

«سكن بغداد وصحب أبا عمر الزاهد وكتب عنه كتاب الباقوتة

وكان صحيح النقل جيد الخط والضبط» .

وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمر الزاهد^٢.

وقال القفطي :

«كان يكتب خطاً حسناً صحيحاً ينافس في تحصيله الرغبة في الأدب»^٣

وقد ملك القفطي كتاباً لابن درستويه في الكلام على نسبة كتاب «العَيْن» للخليل بن أحمد بخط توزون هذا^٤.

أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن حيش التَّجَرِّمِي [قال السمعاني نسبة إلى تَجَرِّمَ محلة بالبصرة وقال ياقوت : تَجَرِّمَ قرية كبيرة على ساحل بحر فارس والتجار وأهلها يقولون نريم فيسقطون الجيم تخفيفاً] البغدادي النحوي الكاتب المتوفى سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م^٥.

^١ ياقوت : معجم الأدياب ٦ : ٦٤ .

^٢ نفسه ٦ : ١١٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ٣٠٧ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٥٩ .

^٤ نفسه ١ : ٣٤٣ .

^٥ ياقوت : معجم الأدياب ١ : ١٩٨ ، القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٧٠ ، الصفدي : الوافي ٦ : ٣٤٤ ، القرظي : الملقى الكبير ١ : ٢٣٩ ، السيوطي : بقية الوعاة ١ : ١٨١ .

كان من أصحاب الزّجاج النحوي وروى عن أبي خليفة وغيره، وروى عنه أبو عميران موسى بن عيسى، ورَحَّلَ من بغداد إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي واتَّصَلَ به وكان يحترمه.

وألَّفَ النَّجِيرَمِي تَوايُفَ عِدَّةٍ مِنْهَا كِتَابُ «الفوائد» الذي نَقَلَ عَنْهُ السُّيُوطِي فِي «المزهر» عن نسخة بخط النَّجِيرَمِي نَفْسِهِ^١.

وقد وَصَلَ إلينا من خط النَّجِيرَمِي النسخة الوحيدة من كتاب «حَدَف من نَسَب قريش» عن مؤرِّج بن عمرو السُّدُوسِي.

وكانت هذه النسخة من بين كتب خزانة الفاطميين في مصر، فنجد في رأس صفحة العنوان.

«للخزانة السعيدة الظافرية عمرها الله بدائم العز والبقاء».

والخزانة الظافرية نسبة إلى الظافر بأمر الله أحد الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ). ثم انتقلت هذه النسخة في تاريخ مجهله إلى المغرب الأقصى فأوقفت على زاوية الناصري بتامكروود في جنوب المغرب ثم انتقلت إلى الخزانة العامة بالرباط واستقرت بها الآن. وجاء في ختام هذه النسخة:

«تم الكتاب، وكتب إبراهيم بن عبدالله بن محمد النَّجِيرَمِي الوَرَّاق».

ووصف الدكتور صلاح الدين المنجد، الذي قام بنشر الكتاب، النسخة وخطها بقوله:

«كتبت النسخة بالخط الكوفي اللين، على الشكل الذي ظهر في القرن الثالث فكان مرحلة تطوّر نحو النَّسخ. ونقطت الألفاظ وشكلت الحروف بالشكل الكامل. وخشبية وقوع التباس في الحروف فقد تميّز الكاتب بعض الحروف من بعض بعلامات صغيرة فارقة، وأكثر من وَضَعَ حرف صاد صغير فوق الكلمات دلالة على أنها صحيحة. والنسخة بخطها وشكلها ورسمها

^١ السُّيُوطِي: المزهر ٢: ٣٠٤، ٣١٩، ٣٢٧.

وعلاقتها الفارقة تعتبر وثيقة من الطراز الأول لدراسة علم تطور الخط العربي (الباليوغرافيا)^١.

إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك، قال ابن التديم:

«كان جماعة للكتب صحيح الخط صادق الرواية»^٢.

ورأى ابن التديم بخطه كتاب «النوادر» لأبي اليقظان سحيم بن حنص السبابة^٣.

أبو الحسن أحمد بن إبراهيم اللغوي أستاذ أبي العباس ثعلب، قال ابن التديم:

«وخطه يُرغَب فيه ولا مُصَنَّف له»^٤.

أبو العلي أحمد بن أحمد بن أختي الشافعي المتوفى بعد سنة ٣٣١هـ / ٩٤٣م

قال ياقوت:

«رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ورأيت خطه وليس بجيد المنظر ولكنه مُنَقَّن الضبط، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خيره، ولكنني وجدت خطه في آخر كتاب وقد قال فيه:

«كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أختي الشافعي ورافق ابن عبدوس الجهمي»^٥.

(ووصل إلينا نموذج خطه كتيبه سنة ٣٣١هـ، شرح ديوان الفرزدق) محفوظ في المكتبة الظاهرية برقم ٨٨٠٠ ونشره بطريقة الفاكسميل شاعر القحام، دمشق - مجمع اللغة العربية (١٩٦٥).

^١ صلاح الدين الشجد: مقدمة حذف من نسب قريش لمؤرخ السدوسي ١٢ - ١٣.

^٢ ابن التديم: القهرست ٨٧، القفطي: إنباء الرواة ١: ١٨٥.

^٣ نفسه ٩٦، ١٠٧.

^٤ نفسه ٨٨.

^٥ ياقوت: معجم الأبياء ٢: ١٣٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٩.

جاء في آخره

«وكتب أحمد بن أحمد وراق أبي عبدالله بن عبدوس»

وعلى يساره

«نسخته من خط السكري»

وعلى يمينه

«قابلت أحمد بن أحمد وكتب علي بن عيسى التحوي بخطه

في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة»

وعلى نفس الصفحة

«قابلت به نسختي وكتب نصر الله بن حمزة

قابلت به نسختي وكتب إبراهيم بن بشارة»

ووقف ابن التميمي على كتاب «أخبار علماء الكوفة» بخطه ونقل عنه بقوله :

«قرأت بخط أبي الطيب [بن] أخي الشافعي»^١.

كما رأى عدة أجزاء من كتاب في السمر لآب عبدوس الجهشياري يحوي
أربعمائة ليلة وثمانون ليلة بخط أبي الطيب [بن] أخي الشافعي^٢.

أبو العباس أحمد بن يختيار بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الواسطي المعروف
بإبن التميمي المتوفى سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، قال الصفدي :

«وكي الإعادة بالنظامية، وكتب بخطه الكتب المطوكة من الفقه والحديث
والتاريخ، وكان يكتب خطاً حسناً صحيحاً . . . وله اليد الباسطة في كتب
السجلات والكتب الحكمية»^٣.

^١ ابن التميمي : الفهرست ٧١، ٧٢، ٧٨، ١٠٤، القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٠٠، ١٠٤.

^٢ نفسه ٣٦٤ الصفدي : الوافي ٣ : ٢٠٥.

^٣ الصفدي : الوافي ٦ : ٢٦٢ وقارن باقرت : معجم الأديباء ٢ : ٢٢٢.

ووصل إلينا من خط ابن بختيار نسخة من كتاب «جَمَهْرَة نَسَب قُرَيْش وأخبارها» للزبير بن بكار كانت في الأصل في ثلاثة وعشرين جزءاً الموجود منها من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين كل جزء منها في كراسة أي في عشرين ورقة إلا الجزأين الحادي والعشرين والثاني والعشرين فعدد أوراق كل جزء منها ١٨ ورقة، وأما الجزء الثالث والعشرون فهو عشر ورقات. والنسخة محفوظة في مكتبة أكسفورد تحت رقم March 384 وجاء بأخرها:

«فرغ من كتابه أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن المندائي الواسطي في سبع شعبان من سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمدينة السلام حماها الله».

وكتب ابن بختيار هذه النسخة قبل وفاته بأقل من خمس سنوات وهو في نحو الثانية والسبعين من عمره فموالده كان في سنة ٤٧٦ هـ نسخها من نسخة أبي الفضل ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي وقرأها عليه ثم عارضها بالأصل، ونسخة أبي الفضل نسخة مؤثقة مسندة فيها سماع شيوخه وسماعه عنهم^١.

أحمد بن بشر بن علي الشجبي يعرف بابن الأقبس المتوفى سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٨م، قال ياقوت:

«كان حافظاً للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والخطيب للكتب»^٢.

أبو بكر أحمد بن جابر كان شيخاً فاضلاً في الطب . . . وخدم المستنصر بالله بالطب وأدرك صدرًا من دولة المؤيد، وكان أولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان أدبياً فهماً وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب والمجامع والفلسفة وعمر زماناً طويلاً»^٣.

^١ مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب الجهرة ٢٠ - ٢٣.

^٢ ياقوت: معجم الأديب، ٢: ٢٣٥، الصفي: الرافعي ٦: ٢٦٥.

^٣ ابن أبي أصيبعة: حبر الأديب، ١: ٥٦.

أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم بن عبيد الله الأسدي الغفاري. قال
ياقوت:

«له خط يزري بخط ابن مقلّة على طريقته»^١.

أبو الحسين أحمد بن سليمان الأسدي المَعْبُدي أحد العلماء المشاهير الثقات، قال
ابن النديم:

«وخطُه يُرَقَّب فيه»^٢

تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن محمد بن سليم القيسي النحوي
المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م في طاعون مصر، قال الصفدي:

«نقلت هذه النسبة من خطه»^٣.

وقال ابن حجر العسقلاني:

«جمع كتابًا حافلًا سمّاه «الجَمْعُ المتناه» في أخبار النحاء» رأيت منه الكثير
بخطه من ذلك مجلدة في الحمدتين خاصة. وقلّ ما وقفت على كتاب من
الكتب الأدبية من شعر وتاريخ ونحو ذلك إلا وعليه ترجمة مصنف ذلك
الكتاب بخط ابن مكتوم»^٤.

مثل ما ورد بأول نسخة «النخبة من مشبهه النسبة» لإسماعيل بن هبة الله بن محمد
الموصللي الشاطبي المعروف بابن باطيش المتوفى سنة ٦٥٥هـ المحفوظة في خزانة جامع القرويين
بفاس بالمغرب تحت رقم ١٧٣ / ٨٠ حيث سجل ابن مكتوم ترجمة بخطه لابن باطيش.

وجاء في آخر نسخة «إنباء الرواه» للقفطي المحفوظة في مكتبة فيض الله
بإستامبول تحت رقم ١٣٨٢ (مصورة في دار الكتب المصرية برقم ١١٦٠٤ ح) والموجود منها
فقط الجزأين الرابع والخامس وهي بخط محمود بن علي بن محمد المعروف بابن
اليمني المعلم كتبها سنة ٦٤٦هـ:

«لخص هذا المجلد لنفسه أحمد بن مكتوم القيسي».

^١ ياقوت : معجم الأديباء ٢ : ٢٠٢.

^٢ ابن النديم : الفهرست ٨٧.

^٣ الصفدي : الوافي ٧ : ٧٤١.

^٤ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ١٨٧.

وتوجد نسخة من هذا الملخص بخط ابن مكتوم نفسه محفوظة في المكتبة التيمورية برقم ٢٠٦٩ تاريخ (ومصورة بدار الكتب المصرية برقم ١١٩٥٨ ح).

كذلك فإن نسخة كتاب «الإيناس في علم الأنساب» للوزير المغربي المحفوظة في المكتبة التيمورية رقم ٢٢٥٧ تاريخ كتبها أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم نقلا عن أصل بخط الحافظ زكي الدين المنذري، وجاء في آخرها: «كتبه لنفسه العيد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي عفى الله عنه وغفر له ولوالديه وجميع المسلمين».

ووصل إلينا بخطه أيضاً نسخة من كتاب «الاشتقاق» لابن دريد محفوظة في الخزانة العامة بالرياض برقم ١٧٣ ق. ووقف له الصفدي على كتاب «الدُرُّ اللقيط من البحر المحيط» في تفسير القرآن، قال:

«وهو كتاب ملكه بخطه في مجلدين النقط فيه «إعراب المحيط» تصنيف شيخنا أمير الدين، فجاء في غاية الحسن وقد اشتهر هذا الكتاب»^١.

أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هشام بن الحطَّيئة اللُّخمي القاسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م. قال القفطي:

«كان خطه صحيحاً كتب جملةً من كتب الآداب والفقه والحديث، وخطه مرغوبٌ فيه من أئمة العلم بمصر لصحته وتحقيق»^٢.

وقال الصفدي:

«تَسَخَّ الكثیر بالأجرة وكان جيِّد الضَّبْط وليس خطه بالطائل . . . وعلم زوجته وابنته الكتابة فكانتا تكتبان مثل خطه سواء، فإذا شرعوا في نسخ كتاب أخذ كل واحد جزءاً وكتبوه فلا يُترق بين خطهم إلا الحاذق، وخطه معروف»

^١ الصفدي: الرافعي بالرفعات ٧: ٧٤ - ٧٥.

^٢ القفطي: إنباء الرواه ١: ٣٩.

^٣ الصفدي: الرافعي ٧: ١٢١ - ١٢٢، ابن الجزري: غاية النهاية ١: ٧١.

مرغوب فيه لصحته . وقد رأيت بخطه كثيراً من كتب الأدب^١ .

أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقاني المقرئ توفي في الثاني والعشرين من صفر سنة ستين وأربعمائة بأصبهان / ١٠٦٧ م .

قال السمعاني :

« كتب بنفسه الكثير وكان حسن الخط دقيقه^٢ .

أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة المعروف بابن شرام العسائي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م .

أحد النحاة المشهورين بالشام صحب أبا القاسم الزجاجي وأخذ عنه وكتب تصانيفه . قال ياقوت :

« وكان جيد الخط والفتى صحيح الكتابة وجذت خطه في كتاب أمالي الزجاجي وقد فرغ من كتابتها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة^٣ .

وقال القفطي :

« كتب بخطه الكتب الأدبية ، وكان خطاً حسناً صحيحاً . . . ورأيت منه من « أمالي أبي القاسم الزجاجي » وتصفحته فكان محكم الصحة^٤ .

أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن دلوته الاستوائي مات فيما ذكره الخطيب سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٣ م ؛ قال ياقوت :

« كان الدلوي أدبياً قاضلاً وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه وكان صحيح النقل جيد الفتى معتبر الخط في الغالب^٥ .

أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي خميصه الحرزمي المكي المعروف بابن أبي الملاء ، قال ابن النديم :

^١ ياقوت : معجم الأدياب : ٤ : ١٠٠ - ١٠١ ؛ الصفدي : الرائي : ٧ : ٢٨٨ .

^٢ نفسه : ٤ : ٢٦٣ ؛ نفسه : ٧ : ٣٢٨ .

^٣ القفطي : إنباء : ١ : ١٠٤ .

^٤ ياقوت : معجم الأدياب : ٣ : ٣٩ ؛ الصفدي : الرائي : ٣٥١ .

«أحد العلماء ويرقب في خطه لضبطه وكان أخبارياً»^١.

وقال القفطي:

«له خط حسن يرقب فيه لجودة ضبطه . وكان أخبارياً ورأيت من
«الموقفيات» للزبير بن بكار جزءاً بخطه وهو على نهاية الصحة وحسن
الترصيع»^٢.

أحمد بن محمد بن بنت الشافعي . قال ياقوت:

«صحيح الخط متقن الضبط من أهل الأدب يُعتمد على خطه وضبطه . لا
أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه بكتاب «تفسير القرآن» لابن جرير الطبري
وقد ذكر عند خاتمه

وكتبه أحمد بن محمد بن بنت الشافعي وراق الجهشياري»^٣.

أحمد بن محمد بن الحسن الخلال الوراق الأديب . قال ياقوت:

«صاحب الخط المليح الراق والضبط المتقن الفائق أظنه ابن أبي الغنائم
الأديب . وجدت خطه على كتاب من كتبه سنة خمس وستين وثلاثمائة»^٤.

أبو بكر أحمد بن محمد بن سعيد بن هبيل الله بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم الوراق
القرشي وراق الخافظ أبي الحسن أحمد بن عمير المعروف بابن فطيس توفي في
شوال سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م . قال ابن عساكر:

«هو صاحب الخط الحسن المشهور».

^١ ابن التميمي : الفهرست ، ٨٩ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ، ٣٣٨ .

^٣ الصقلي : الوراق ، ٣٥١ .

^٤ ياقوت : معجم الأديباء ، ٢٦٤ ، وانظر ، ١٤ : ٢٤٥ .

وقد ذكره عبد العزيز الكتاني وقال :

«كان ثقة مأموناً يُورِّق للناس بدمشق له خطٌ حسن».

وقال ياقوت :

«... فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جَوْدَةِ الخط أما أنا فلم أر من خطه شيئاً»^١.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون المتوفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، قال ابن بشكوال :

«جَمَعَ من الكتب كثيراً في كل فن وكانت جلها بخط يده، وكانت متنتية مضبوطة صحاحاً أمهات لا يدع فيها شبهة مهملة وقلَّ ما يجوز عليه فيها خطأ ولا وهم، وكان لا يزال ينتسخ ما يجده في كتبه من السُّقَط والحلُّل بزيادة في اللفظ أو نُقْصان منه فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب. وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصحَّ كتب بطلَّيلة»^٢.

أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن تبهان الدمشقي المعروف بابن الجوهري المتوفى سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، قال الذهبي في "العبر" :

«رحل إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين [وستمائة] وكتب الكثير واستنسخ وحصل، وكان زكياً متقناً رئيساً ثقة»^٣.
وأضاف في "تذكرة الحفاظ" :

«وكتب ما لا يُوصف كثرة واستنسخ وأنفق ميراثه في طلب هذا الشأن... وكان قليل الضبط»^٤.

^١ ياقوت : معجم الأبياء ٤ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ السفدي : قرافي ٧ : ٤٠٣ .

^٢ ابن بشكوال : الفصلة ٢٧ .

^٣ الذهبي : العبر في خير من خير ٥ : ١٧٥ .

^٤ الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٥٩ .

وقال الصفدي :

«رُكِّلَ وَسَهَّرَ وَكُتِبَ الكَثِيرَ وَحَصِّلَ مَا لَمْ يَحْصِلْهُ غَيْرُهُ»^١.

سَهْلَبُ الدِّينِ أَبُو الحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مَنبَرٍ بْنِ مُفْلِحِ الرِّفَاءِ الطَّرَابِلُسِيِّ المِتْرَفِيُّ سَنَةَ ٥٤٨هـ / ١١٥٣م -

شاعراً مشهوراً كان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان^٢.

وَصَلَّ إلَيْنَا بِخَطِّهِ نَسْخَةُ كِتَابِ الشَّعْرِ (أو إيضاح الشعر) لأبي علي الفارسي المحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٣١٨٠، وهي بخط نسخي متقن مضبوط بالشكل الكامل، وجاء بآخرها :

«هذا آخر ما عمله أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه الله.

نسخته من نسخة مقابلة على أصل المصنف، ووافق الفراغ من نقله يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وكتب أحمد بن منبر بن أحمد بن مُفْلِحِ الطَّرَابِلُسِيِّ حامداً لله تعالى ومصلياً على سيد الأولين والآخرين محمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا».

(وعن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناسي الكتاب في القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٨٨)

مُتَجَبِّبُ الدِّينِ أَبُو الفَتْوحِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي الفَضَائِلِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ العِجْلِيِّ المِتْرَفِيُّ سَنَةَ ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، قال ابن خلكان :

«كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة لا يأكل إلا من كَسَبَ يده وكان يُورِّقُ ويبيع ما يتقوت به»^٣.

^١ الصفدي : الواقعي بالوفيات ٨ : ١٦٧.

^٢ العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم الشام) ١ : ٧٦، ٧٥، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ١٥٦ -

١٦٠، الصفدي : الواقعي ٨ : ١٩٣ - ١٩٧، القرظي : المقفى الكبير ١ : ٦٩٢ - ٦٩٣.

^٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٨.

أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبدالله الكاتب المتوفى بعد سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م .
لم يترجمه أحدٌ من المتقدمين .

وَصَلَّ إلينا بخطه نسخة «أمالى ابن الشَّجَرِي» المحفوظة بمكتبة راغب باشا
بإستانبول تحت رقم ١٠٧١ ، ١٠٧٢ . وهي مكتوبة بخط نسخي نفيس جداً
وضبطت بالشكل الكامل ضَبْطاً صحيحاً متقناً . وجاء بأخرها :

«تحت الأمالى التي أملاها الشريف النقيب ضياء الدين أبو السعادات هبة
الله بن علي الشجري البغدادي رحمه الله .

وكتب أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبدالله في شهر سنة إحدى
وثماتين وخمسمائة حامداً لله تعالى على نعمه ومصلياً على خيرته من خلقه
محمد النبي وعلى آله وصحبه ومسلماً وحسيناً الله ونعم الوكيل .
بَلَّغَ العرض على أصله المنقول منه فصيحاً والله الموفق .

(وعن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناحي الكتاب في القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٩٢)

وكذلك نسخة «شرح ديوان هَذْبَلِ المسمى «التمام في تفسير أشعار هَذْبَلِ
عما أغضله السُّكْرِي» لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢هـ
المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد برقم ٥٦٥٧ ، وهي مكتوبة بقلم
نسخي جيد مشكول وفرغ من كتابتها سنة ٥٨٠هـ .

(وعن هذه النسخة نشر أحمد مطلوب وخديجة الحديدي وأحمد ناجي القيسي الكتاب في بغداد - مطبعة

العاني ١٩٦٢)

أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الفارابي الجَوْهَرِي صاحب كتاب «الصَّحاح في اللغة»
الذي يُضْرَبُ به المثل في حفظ اللغة وحسن الكتابة المتوفى بعد سنة ٣٩٦هـ/
١٠٠٦م . قال الثعالبي :

«إمامٌ في علم اللغة ، وَخَطَّهُ يُضْرَبُ به المثل في الحسن ويُذَكَرُ في المخطوط
المنسوبة كخط ابن مَقْلَةَ ومُهَلِّهَلِ واليزيدي»^١ .

^١ الثعالبي : بيتة الدرر ٤ : ٤٠٦ ؛ القنطري : إنباء الرواد ١ : ١٩٤ ؛ الصفدي : الوافي ٩ : ١١٢ .

وقال ياقوت:

«إمام في علم اللغة والأدب له خطٌّ يضرب به المثل في الجودة لا يكاد يُفترق بينه وبين خط أبي عبدالله بن مُقَلَّة»^١.
و«أقام بنيسابور على التدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر»^٢.

وقال الصفدي:

«يُذكر خطه مع خط ابن مقلة ومُهَلِّك واليزيدي وهو ابن أخت إبراهيم الغرابي صاحب ديوان الأدب»^٣.

أبو محمد إسماعيل بن مَوْهوب بن أحمد بن الجواليقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م، قال ياقوت:

«كان مليح الخط جيّد الضبط يشبه خطه خط والده»^٤.

وملك الصفدي «شَرْح اللَّمَع» للثماني بخطه قال:

«وهو مجلدة واحدة في غاية الحسن ووصحة الضبط قلَّ أن رأيت مثلها»^٥.

ونسخة كتاب «شرح اللَّمَع في النحو» لابن جني المحرّفة في مكتبة تبره نجيب باشا باستنبول تحت رقم ٥١٦ كتبها إسماعيل بن مَوْهوب الجواليقي سنة تسع وستين وخمسائة.

البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلي المكي ثم القوسي المصري الشاعر المتوفى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، قال الصفدي:

«وكتابه جيّدة قوية مصفولة مليحة منسوبة، رأيت بخطه نسختين من الأمثال للثماني . وخطه عندي على بعض مجلداته»^٦.

١ ياقوت: معجم الأديب ٦ : ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ نفسه ٦ : ١٥٣ ، الثماني : بيبة الدهر ٤ : ٤٠٧ .

٣ الصفدي : الواقعي ٩ : ١١٢ .

٤ ياقوت : معجم الأديب ٧ : ٤٥ .

٥ الصفدي : الواقعي ٩ : ٢٣٠ .

٦ نفسه ٤ : ٣٣٧ .

أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م،
قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا من خطوط الأوائل، وهو أقرب خط إلى الصحة.
وكتب الكثير»^١.

وقال ياقوت:

«وجدت خطه على كتاب «تبيين» قدامة بن جعفر وفي «تقد الشعر» وقد
آلفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وقد قرأه عليه وكتب خطه في
سنة خمس وستين وثلاثمائة»^٢.

أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن بن العملاء السُّكْرِي النحوي
المتوفى سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، قال ابن النديم:

«كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام مرغوبًا في خطه لصحته . . .
وعمل أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل»^٣.

وقال ياقوت:

«كان أبو سعيد السُّكْرِي كثير الكتِّب جدًا، فكتب بيده مالم يكتبه أحد»^٤.

وقد وقَّفَ ابنُ النديم على العديد من الكتب التي كتبها بخطه منها: «غريب
الحديث» للأصمعي في نحو مائتي ورقة و«كتاب الذهب» لابن الأعرابي وكتاب
«الأثواء» لأبي الهيثم الرازي في نحو عشرين ورقة وكتاب «النساء» لأبي عمر
العمري وكتاب «النحل» للزبير بن بكار»^٥.

١ القفطي: إنباء الرواة ١: ١٨٧.

٢ ياقوت: معجم الأديباء ٨: ٧٧.

٣ ابن النديم: الفهرست ١٨٦ القفطي: إنباء الرواة ١: ٢٩٢.

٤ ياقوت: معجم الأديباء ٥: ١٠٧.

٥ ابن النديم: الفهرست ٦١، ٧٦، ٨٦، ٩١٣.

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الجوثي الكاتب المعروف بابن المنيّة - تصغير
لُعْبَة - المتوفى بمصر سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م، قال ياقوت:

«صاحب الخط المنسوب كان مقيمًا ببغداد لم يكتب أحدًا بعد أبي الحسن
علي بن هلال بن البواب أجود من الجوثي وكان استاذَه في الكتابة يعقوب
الغزوي»

وكان من شيمه الجوثي أنه ما كتب شيئًا قطّ بخطه كثر أو قلّ دقّ أو جلّ إلا
ويكتب في آخره: «كتبه الحسن بن علي الجوثي»^١.

وقال العماد الكاتب: «وليس بمصر الآن من يكتب مثله»
وقال الصفدي:

«يقال إنه كتب مائتين وستة وثلاثين خنمة وربّعة . . . وخطّه مليح
مرغوب فيه»^٢.

وقال ابن خلكان:

«الكاتب المشهور، كتّب كثيرًا ونسخ كتبًا توجد في أيدي الناس بأوفر
الأمان بجمود خطها ورغبتهم فيه»^٣.

أبو علي الحسن بن علي بن عبدالله بن محمد بن أبي جرّاعة المتوفى بمصر سنة
٥٥١هـ / ١١٥٦م، قال ياقوت:

«كان فاضلاً كاتبًا شاعرًا أديبًا يكتب الشّخ على طريقة أبي عبدالله بن
مُقلّة والرقاع على طريقة علي بن هلال، وخطّه خلوصًا جيّدًا خال من التكلف
والنّصف»^٤.

١ ياقوت: معجم الأديباء، ٩: ٤٣ - ٤٤.

٢ الصفدي: الرّاقع، ١٣: ١٢٨.

٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢: ١٣١.

٤ ياقوت: معجم الأديباء، ١٦: ١٢٢؛ الصفدي: الرّاقع، ١٢: ١٧٢ - ١٧٤.

أبو محمد الحسن بن موسى التوثيقي، ابن أخت أبي سهل بن توثيخت الفيلسوف المتكلم، قال ابن التديم:

«كان جماعة للكتب قد نسخ بخطه شيئاً كثيراً، وله مصنفات وتاليفات في الكلام والفلسفة وغيرها»^١.

أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بـ ابن الحازن الكندي المتوفى سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م، قال ابن خلكان:

«كان فريد عصره في الكتابة وكتب ما لم يكتبه أحد، فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين ربعة وجامع»^٢.

وقال الصفدي:

«كان فريد عصره في الكتابة، كتب خمسمائة مصحف ما بين ربعة وجامع، خلا ما كتبه من كتب الأدب، وخطه مشهور. وكتب من الأغاني» ثلاث نسخ»^٣.

أبو علي الحسين بن يوسف بن الحسن بن عبدالحق الصنهاجي الشاطبي الإسكندراني الكندي الناسخ الملقب بـ النظام المتوفى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، سمع من السلقي وأبي الطاهر بن عوف وحدث بالإسكندرية ومصر، قال الصفدي:

«كتب الكثير بخطه»^٤.

أبو التمام حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل التاجر الحراني المتوفى سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م، قال الصفدي:

^١ ابن التديم: الفهرست ٢٢٥، الصفدي: الروابي ١٢: ٢٨٠.

^٢ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ١٩١.

^٣ الصفدي: الروابي ١٢: ٤٤.

^٤ نفسه ١٣: ٥٨١.

«رَحَلَ وَسَمَّحَ الكَثِيرَ بالعراق والشام ومصر وخراسان . وكتب بخطه وَحَصَلَ الشُّخْ»^١.

أبو الفتح حيدرة بن المَعْمَر بن محمد بن المَعْمَر بن أحمد الحسيني الملقب بـ الرُّضِي
المتوفى سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م ، قال الصفدي :

«حفظ القرآن في صباه وقرأ الأدب . . . وكتب بخطه كثيراً من كتب التفسير والأحاديث والسِّيَر والأنساب والأدب ، وكان خطه مليحاً ونقله صحيحاً»^٢.

أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسن الخُوذِي من أهل واسط ، قال القفطي :

«سمع الكثير ونقل بخطه»^٣.

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي صاحب الشافعي وراوى كتبه المتوفى سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وهو آخر من روى عن الشافعي قال عنه الشافعي ، «ما في القوم أَفْعَعُ لِي منه ولوددت لو حشوته العلم حشوا»^٤.

وهو الذي كتب نسخة «الرُّسالة» في أصول الفقه للشافعي أقدم مخطوط وصل إلينا على الكاغد .

الرُّمَّان بنت الفتح الكاتبة المعروفة بـ بنت يَظْطِين قال محب الدين بن النجار :
«رأيت بخطها : ولدت سنة أربعين وخمس مائة»

وذكر الصفدي نقلاً عن الصاحب كمال الدين بن العديم :

«أنها كانت من الكاتبات المشهورات ببغداد وقد كتبت كثيراً ، ورأيت بخطها نسخة من ديوان ابن حجاج ، وقد كتبت عدة شُخْ . وكانت تكتب خطاً جيداً»^٥.

١ الصفدي : الرافي ١٣ : ١٥٤ .

٢ نفسه ١٣ : ٢٢٨ .

٣ القفطي : إنباء الرواة ١ : ٣٥٨ .

٤ الصفدي : الرافي ١١ : ٨٢ .

٥ نفسه ١١ : ١٢٨ .

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنصاري الحزرجي ثم البغدادي المعروف
بـالْوَرَّاقِ دَلال الكُتُبِ المتوفى سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^١.

أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدعان البغدادي النحوي المتوفى سنة ٥٦٩هـ /
١١٧٣م بالموصل.

كتب الكثير من كتب الأدب بخطه وله مصنفات منها كتاب التذكرة وسَمَّاهُ
«زَهْرَ الرِّياضِ» في سبعة مجلدات ، قال القفطي :

«رأيتها وملكتها بخطه»^٢.

أبو الخير سلامة بن عِيَّاضِ بن أحمد النحوي الشامي الكُفْرطايي المتوفى سنة ٥٣٤هـ /
١١٣٩م.

كان حسن الضَّبْطِ والخط كثير التنقيب والتحقيق وله رسالة في فضل العربية
والحث على تعليمها ، قال القفطي :

«وقعت إلى بخطه وهي في غاية الجودة والصحة وحسن النقية»^٣.

أبو موسى سليمان بن محمد الحامض المتوفى سنة ٣٠٥ / ٩١٧م ، أحد أصحاب
تُغَلِّبِ وكان مُخْتَصِّصاً به . قال ابن التديم :

«يوصف بصحة الخط وحسن المذهب في الضَّبْطِ وكان يُورِّقُ»^٤.

وقال القفطي :

«كان حسن الوراقة في الضَّبْطِ»^٥.

^١ باقوت : معجم الأديب ١١ : ١٩٥ ، الصفدي : الوافي ١٥ : ١٦٩ وانظر مجلة معهد المخطوطات العربية
٣٣ (يناير ١٩٨٩) ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ .

^٢ القفطي : إتياء الرواه ٤٧٢ ، ٥٠ وانظر الصفدي : الوافي ١٥ : ٢٥٠ - ٢٥١ .

^٣ نفسه ٢ : ٦٨ .

^٤ ابن التديم : القهرست ٨٧ .

^٥ القفطي : إتياء الرواه ٢ : ٢٢ .

أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين بن فارس بن الحسين الثعلبي الشهرزوري،
المتوفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، قال الصفدي:

«نسخ بخطه من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحد من الوراقين.
كتب بخطه ديوان ابن حجاج سبع مرات. قال عبد الوهاب الأنماطي: ولما
يوجد بلد من بلاد الإسلام إلا وفيه شيء بخط شجاع الثعلبي»^١.

قال السمعاني:

«لما رجعت إلى خراسان حصل لي تاريخ الخطيب بخط شجاع بن فارس
الثعلبي الأصل الذي كتبه بخطه لأبي غالب محمد بن عبد الوهاب القزويني
وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوب اسماع لأبي غالب ولابنه أبي
منصور عبد الرحمن ولأخيه عبد المحسن»^٢.

أبو إسحاق صالح الوراق التيسابوري، تلميذ الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد
الجوهري. قال القفطي:

«كان أديباً فاضلاً وصاحب عطف جيد صحيح. لازم الجوهري وأخذ عنه
كتابه في اللغة المسمى بالصّحاح وغيره»^٣.

أبو سعد عالي بن عثمان بن جتي بن أبي الفتح النحوي، قال القفطي:

«كتب بخطه كثيراً وكان محققاً لما يكتبه»^٤.

وقال الصفدي:

«كان مثل أبيه أبي الفتح نحوياً أديباً حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه
كثيراً من تصانيف أبيه ورواها عنه»^٥.

^١ الصفدي: الرافعي ١٦ : ١١٣.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ٤ : ٢٨.

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٢ : ٩٠.

^٤ نفسه ٢ : ٣٨٥.

^٥ الصفدي: الرافعي ١٦ : ٥٧٤؛ السيرامي: بغية الرعاة ١٧٤.

وقال باقوت في ترجمة أبي الفتح عثمان بن جني :

«وكان لابن جني من الولد علي وعيال وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد غرَّبهم والدهم وسَمَّهم وحَسَّنَ خطوطهم، وهم معدودون في الصحيحى الصَّيِّطِ وحَسَنِي الخط»^١.

وشاهد القفطي في الشركة المُخَلَّقَة عن خطيب حلب هاشم بن أحمد بن عبد الواحد كتاب سيبويه وقال :

«يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ بِخَطِ أَحَدٍ وَلَدِي عُثْمَانَ بْنَ جَنِّي وَعَلَيْهِ خَطُ أَبِي عَلِي

الْفَارِسِيِّ فِي عِدَّةِ مَجَلِّدَاتٍ قَدْ قَدَّمَ أَحَدَهَا»^٢.

أبو الفضل العباس بن أحمد بن موسى بن أبي مَوَاسٍ النحوي اللغوي أحد أصحاب أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي في طبقة أبي الفتح بن جني المتوفى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م^٣.

وصيل إلينا بخطه نسخة من كتاب [أدب] الكتاب لابن قُتَيْبَة محفوظة في مكتبة لاله لي باستانبول تحت رقم ١٩٠٥ جاء بأخرها :

«وكتب العباس بن أحمد بن موسى بن أبي مَوَاسٍ الكاتب في جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثلثمائة وحسبنا والله ونعم الوكيل».

بهاء الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي

المتوفى سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م، قال الصفدي :

«كان فقيهاً مناظراً وكتب الكثير بخطه»^٤.

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ /

١٢٠١م، قال محب الدين بن التتار

^١ باقوت : معجم الأدياء ١٢ : ٩١١ الصفدي : الرافعي ١٩ : ٤٧٣ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ٣ : ٣٥٥ .

^٣ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ الصفدي : الرافعي بالرفعات ١٦ : ٦٥١ - ٦٥٢ السيوطي : بغية الرعاة ٢٧٥ .

^٤ الصفدي : الرافعي ١٨ : ٩٦ .

«هكذا كان يكتب نسيه بخطه، وهكذا رأيت بخط شيخه ابن ناصر»^١.

قال سبطه شمس الدين أبو المظفر:

«سمعتَه يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد، وثاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني. ومثل عن عدد تصانيفه فقال: تزيد على ثلاث مائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد»^٢.

وتحتفظ مكتبة حسين چلبلي بتركيا تحت رقم ٤٣٥ بنسخة من كتاب «الخواتيم» لابن الجوزي بخطه فرغ من كتابتها في يوم الخميس ١٩ ذى الحجة سنة ٥٨١ هـ بالمدرسة الشاطبية بباب الأزج^٣. وفي مكتبة لاله لي باستانبول تحت رقم ٤٦٣ نسخة من «الجامع الصحيح» للترمذي كتبها ابن الجوزي بخطه سنة ٥٣٦ هـ. وتحتفظ مكتبة شستر بيتي تحت رقم 3370 بنسخة من كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة كتبها ابن الجوزي سنة ٥٤٣ هـ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. كما يوجد خط ابن الجوزي بصحة سماع علي غلاف نسخة كتاب «أعمار الأعيان» له كانت بين كتب العلامة خير الدين الزركلي ثم آلت الآن إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. (وهذه النسخة رأها المحافظ بن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ وقال عنها، فيما نقله الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي من كتابه «التوضيح لكتاب المشته في الرجال»: «وهكذا وجدت أيضاً مقيداً بالخط في كتاب «أعمار الأعيان» لأبي الفرج بن الجوزي في نسخة قرئت عليه وعليها خطه»).

أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عياش بن جوشن بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن الحصار الطائلي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م، قال ابن بشكوال:

«كان حسن الخط جيد الضبط وكانت أكثر كتبه بخطه، وكان صبوراً على الشئخ. ذكر عنه أنه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه في يوم واحد، وأنه كتب بقية واحدة خمسة عشر سطراً»^٤.

^١ الصفدي: الوافي ١٨ : ١٨٦.

^٢ نقسه ١٨ : ١٩٠.

^٣ Hartmann, A., «Codicologie comme source biographique: à propos d'un autographe inédit d'Ibn al-Gawzi (m. 597/1201)», *Les manuscrits du Moyen Orient*, pp. 23 - 30.

^٤ ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأئمة ٣٦٦ - ١٣١٧ الصفدي: الوافي ١٨ : ٢٥٦.

أبو المطرف عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن فليس بن أصبغ قاضي الجماعة
بقرطبة المتوفى سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م قال ابن بشكوال:

«كان حسن الخط جيد الضبط جمع من الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس مع سعة الرواية والحفظ والدراسة . وكان يُملئ الحديث من حفظه في مسجده ومستعمل بين يده على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق والناس يكتبون عنه .

وكان له ستة وراقين ينسخون له دائماً ، وكان قد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً ، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للاشتياق منه ، وبالغ في ثمنه . فإن قدر على ابتاعه وإلا انتسخه منه ورده إليه .

أخبرني حفيده أبو سليمان أنه سمع عمه وغير واحد من سلفه يحكون أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع جده هذا مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء ، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية .

وأخبرنا أيضاً أن القاضي جده كان لا يعبر كتاباً من أصوله البتة ، وكان إذا سأله أحد ذلك وألحقت عليه أعطاه للناسخ فتسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده .

وجمع كتباً حسناً . . . نقلت تسميتها من خط يده وكانت كتبه في مجلس جذراته بالخضرة ، وشمكه وسطحه والبُرطل أمامه والبسط التي فيه والتمارق كلها خضرة»^١ .

عبدالرحمن بن موسى بن عمر الناسخ بن المتاديلي المتوفى سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م قال
ابن حجر العسقلاني:

«كان دلالاً في الكتب ونسخ كثيراً من الدواوين الشعرية وكان خطه حسناً»^٢ .

أبو الفضل عبدالرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الأخوة العطار
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م بشيراز ، قال الصفيدي:

«سافر إلى خراسان في طلب الحديث ، وسمع بتيسابور وبالري وبيطرسان وبأصهبان وقرأ بنفسه ، ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت الحد ، وكان يكتب خطاً مليحاً وكان سريع القراءة والكتابة .

^١ ابن بشكوال: الفصة في تاريخ أمة الأندلس ٢٩٨ - ٢٩٩: الصفيدي: الروافي ١٨ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

^٢ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢ : ٤٥٨ .

قال محب الدين بن النجار : رأيت بخطه كتاب "التنبيه" في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد . . . وكان يقول : كتبت بخطي ألف مجلدة^١.

أبو نصر عبدالرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان بن رومي السلمي الحنفي المتوفى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، قال الصفدي :

«وكتب بخطه الكثير ، وكان مليح الخط سريع التّقل فاضلا حافظا متقنا صدوقا ، له يد في النّظم والنثر ، وكان من أكمل الناس طرّقا ولطفا»^٢.

أبو الحسين عبدالغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبدالغافر القارسي مُصنّف «السياق لتاريخ نيسابور» المتوفى سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م ، كان جيد الخط حسنه ، قال ياقوت :

«تقلت من خطه الذي يفوق أسداغ الملاح قصائد تفوق سلاف الراح»^٣.

صفي الدين أبو طالب عبدالكريم بن حسن بن جعفر بن خليفة اللغوي البعلبي المتوفى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م ، قال الصفدي :

«كتب بخطه سبعمائة مجلدة»^٤.

وصلت إلينا منها نسخة «غريب الحديث» للخطّابي المحفوظة في المكتبة السلجمانية باستامبول . فقد جاء في آخر الجزء الثاني منها :

«كتبه لنفسه عبدالكريم بن الحسن بن جعفر بن خليفة البعلبي ببلبك ووافق الفراغ منه في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين وخمسائة».

وعبدالكريم البعلبي هذا ، كتب بخطه كذلك نسخة كتاب «الإكمال» لابن ماکولا ، وهي في مجلدين محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٨ مصطلح حديث فقد جاء في آخرها

^١ الصفدي : الرافي ١٨ : ٣٢٢ .

^٢ نفسه ١٨ : ٣٩٨ .

^٣ نفسه ١٩ : ١٨ .

^٤ نفسه ١٩ : ٢٧٥ .

«كتبه لنفسه عبدالله الحفيظ عبد الكرم بن الحسن بن جعفر بن خليفة
البلخي يوم الخميس غرة شهر شوال سنة إحدى وتسعين وخمسائة».

وهي منقولة من نسخة الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
الشافعي وهي بخط محمد بن عبد الملك بن علي بن نصير الغافقي التدميري
وتاريخ نسخها سنة ٤٩٦ هـ.

**موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي المتوفى سنة
٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م، قال ابن أبي أصيبعة :**

«كان الشيخ موفق الدين عبداللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من
أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدته من خطه أشياء
كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً
كثيرة من تصانيف القدماء»^١.

ووقف ابن أبي أصيبعة على سيرة عبداللطيف بخطه يقول :

«نقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله»^٢.

وهي غير كتاب الإفادة والاعتبار .

**أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الحنبلري المعلم المتوفى سنة
٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م، قال ياقوت :**

«كان متمكناً من علم اللغة ويكتب الخط الحسن»^٣.

وقال القفطي :

«كان يكتب خطاً حسناً صحيحاً»^٤.

وقال الصفدي :

^١ ابن أبي أصيبعة : عيون الأبياء ٢ : ٢٠٢ .

^٢ نفسه ٢ : ٢٠٢ .

^٣ ياقوت : معجم الأبياء ١٢ : ٤٦ .

^٤ القفطي : إتيان الرواة ٢ : ٩٨ .

«كان متمكناً في علم العربية، ويكتب خطاً مليحاً ويضبط خطباً صحيحاً
... وكتب بخطه كثيراً»^١.

**أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر الحشّاب بن أبي الكرم
النحوي** المتوفى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م. قال الصّفي:

«كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال إنه كان في درجة أبي علي
الفارسي. وكان له معرفة بالحديث واللغة والفلسفة والحساب والهندسة، ما
من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يدٌ حسنة.
وكان يكتب مليحاً ويضبط صحيحاً، وحصل من الأصول وغيرها ما لا
يدخل تحت حصر، ومن خطوط الفضلاء، وأجزاء الحديث شيئاً كثيراً، ولم
يبت أحدٌ من أهل العلم إلا واشترى كتبه»^٢.

ووقف ياقوت على شيء من خطه ونقل منه بقوله:

«قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الحشّاب»^٣.

عبدالله بن رستم اللّغوي، قال القفطي:

«مُستمل يعقوب بن السكّيت. كان قد استفاد من يعقوب وطبقته وكتب
بخطه الكثير، وأفاد الطالبين»^٤.

**أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي الجوع الأديب الورّاق المشهور من أهل مصر
المتوفى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م**، كان شاعراً أديباً... قال ابن خلكان:

«كان نسخه في غاية الجودة وكان يُنسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه
موجودة بأيدي الناس ومرغوبة فيه»^٥.

وقال الصّفي:

^١ الصّفي: الرافعي ١٧ : ٥.

^٢ نفسه ١٧ : ١٤ ، ١٥.

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ٧ : ٢٥٣ ، ١٤ : ٦١ ، ٨٤.

^٤ القفطي : إثبات الرواة ٢ : ١٢٠.

^٥ ابن خلكان : وفيات ٤ : ٣٧٩.

«كان مليح الخط جيّد الشبّط وخطه مرغوباً فيه . . . وصل إليه من العزيز وابنه الحاكم جملة كبيرة على الوراقة»^١.

أبو الحسين عبدالله بن محمد بن سفيان الخزاز النحوي التوفى سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م.

كان مليح الخط صحيحه قال القفطي :

«رأيت بخطه * شعر أبي تمام * وهو في غاية الإتقان والجودة»^٢.

كما نقل ابن النديم من كتب رآها بخطه ولم يسمها بلفظ

«قرأت بخط أبي الحسين الخزاز»^٣.

عبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هاني الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ /

٨٤٤م . قال ابن النديم :

«حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»^٤.

وقال القفطي :

«حسن المعرفة بالأدب صحيح الخط يرغب فيه الناس ويتغالون في ثمنه لإتقانه ، من زمانه في حدود سنة ثلاثين ومائتين وإلى يومنا هذا وهو حدود ستة ثلاثين وستمائة . ولقد اقتنيت بخطه كتاب «الأمثال» لأبي عبيد فرأيت من الإتقان والتحقيق ما لا شاهدته لغيره . واقتنيت بعد ذلك غيره من الكتب الأدبية بخطه . وقيل إن خطه في زمانه كان يباع بالثمن العالي وكذلك اليوم عند من يعرفه»^٥.

كما شاهد بقفط في شهور سنة تسع وثمانين وخسمائة جزءاً من «ديوان الأعشى» بخط ابن وداع وحواشيه بخط أبي عبدالله بن مقلّة^٦ ، وقال الصّفي :

«كان ورثاً حسن المعرفة صحيح الخط يرغب الناس في خطه ، وكان خطه نقاقاً وثمن ونفاً»^٦.

^١ الصّفي : الرافي ١٧ : ٥٢٧ .

^٢ القفطي : إنباه ٢ : ١٣٥ وانظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ : ١٢٣ : الصّفي : الرافي ١٧ : ٥٢٨

^٣ ابن النديم : الفهرست ٤٧ ، ٦٢ ، ٩٠ .

^٤ نفسه ٨٨ .

^٥ القفطي : إنباه الرواه ٢ : ١٠١٣٤ : ٥٣ .

^٦ الصّفي : الرافي ١٧ : ٥٢٦ .

أبو محمد عبدالله بن يس التميمي النحوي الأديب قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا ويُدَّعَبُ المصاحف»^١.

صفي الدين عبدالمؤمن بن فاضل الأزعمي المتوفى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م، كان يعرف علومًا كثيرة منها العربية وتعلم الشعر وعلم الإنشاء وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى، قال العزّ الأربلي الطيب:

«لم يكن في زمانه من يكتب الخط المنسوب سوى الشيخ زكي الدين لا غير وهو بعده، وفاق في فنه الأوائل والأواخر، وبه تقدّم عند خليفة زمانه»

وأضاف على لسان صفي الدين عبدالمؤمن أنه قال:

«وردت بغداد صبيًا وأثبت فقيهاً بالمستنصرية شافعياً أيام المستنصر، واشتغلت بالمحاضرات والأدب والعربية وتجويد الخط، قلبت فيه غاية ليس فوقها غاية. ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتي فيه أعظم من الخط لكني اشتهرت بالخط ولم أُعرَفْ بغيره في ذلك الوقت»^٢.

أبو الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد المعروف بـجَمَّحِيحِ النحوي، قال الصفدي:

«سَمِعَ النُّحَوِيَّ وطبقته وابن دُرَيْدٍ. وكان ثقةً صحيح الكتابة كتب بخطه حتى قال الناس: إن يده من حديد»^٣.

وهو الذي كتب النسخة الصحيحة من «الجمهرة في علم اللغة» لابن دُرَيْدٍ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها على ابن دُرَيْدٍ^٤.

أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبدالله بن يزيد اللغّاق المعروف بـابن السماك المتوفى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، قال ابن الجوزي:

^١ القفطي: إنباء الرواه ٢ : ١٥.

^٢ الصفدي: الوافي ١٩ : ٢٤٢.

^٣ نفسه ١٩ : ٣٤٧.

^٤ ابن التميمي: الفهرست ٦٧.

«كتب المصنفات الكبار بخطه ، وكان كل ما عنده بخطه»^١ .

أبو عمرو عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد الطرطوشي الكاتب القاهري كان من الأدباء الفضلاء ، قال ياقوت :

«رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر . . . وكان متقن الخط سريع الكتابة»^٢ .

موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور بن العين زكري التتوفي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م . أقام ببغداد مدة ثم انتقل منها إلى الديار المصرية في عهد الدولة الفاطمية وكان مشغولاً بصناعة الطب والعلوم الحكيمة ويرع في علم النحو ، قال ابن أبي أصيبعة :

«كان ابن العين زكري خبيراً بالعربية جيد الدراية لها حسن الخط ، وقد رأيت كتاباً في الطب وفي غيره بخطه وهي في نهاية الحسّن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة»^٣ .

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي التبريزي المعروف بابن الحازن ، قال القفطي :
«كان من أعلم الناس بالأدب واللغات حسن الخط عالماً بفنون العربية ثقة فيما يرويه»^٤ .

أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي دجاجة المصري الكاتب الوراق ، قال ياقوت :
«جيد الخط كثير الضبط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وإن قل ، وهو من أهل مصر ومقامه بغداد وبها كتب ونسخ الكثير»^٥ .

أبو الحسن علي بن كروان بن زيد بن الحسن الكندي المتوفى بدمشق سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ، قال القفطي :

^١ ابن الجوزي : المتظم ٦ : ٣٧٨ .

^٢ ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ١٢٠ .

^٣ ابن أبي أصيبعة : حيون الأبياد ٢ : ١٠٨ .

^٤ القفطي : إنباء الرواد ٢ : ٢٢١ .

^٥ ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٢٢٣ .

«كان يكتب خطًا صحيحًا يشبه خط أبي منصور الجواليقي في الجودة والصحة. رأيت بخطه كتاب "الحماسة" وهو في غاية الحُسْن والافتان»^١.

أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بـ **كُراج التَّمَل** المتوفى بعد سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م؛ قال القفطي:

«كان خطه حسنًا صحيحًا قليل الخطأ، وكان يُوزَّق تصانيفه ولم أر له خطًا في غيرها. ورأيت جزءًا من كتابه «المُتَّصِد» من خطه وقد كتب في آخره أنه كَمَلَ وراقة وتصنيفًا في سنة سبع وثلاثمائة»^٢.

وقال ياقوت:

«وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى «المُتَّصِد» من تصنيفه وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة»^٣.

واستفاد من هذه النسخة في معجم البلدان^٤.

وهي النسخة نفسها التي رآها القفطي وتَمَلَّكها يقول:

«فمن تصانيفه كتاب «المُتَّصِد» في اللغة كبيرٌ على الحروف ملكته»^٥.

أبو الحسن علي بن الحسين الأمدي النحوي، قال ياقوت:

«خرج إلى مصر فاقام بها منقطعًا إلى أبي الفضل بن حنزابة الوزير. وخطه صحيح مليح، وهو من مشايخ عبدالسلام بن الحسين البصري»^٦.

= أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الأمدي.

علي بن الحسين بن علي التَّيْسِي المعروف بـ **ابن كَوَاجِك الوَرَّاق** كان حيًّا سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٤م، قال ياقوت:

^١ القفطي: إنباء الرواه ٢: ٢٣٤.

^٢ نفسه ٢: ٢٤٠.

^٣ ياقوت: معجم الأدياب ١٣: ١٢٢.

^٤ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٣٠، ٤: ٦٠٨.

^٥ القفطي: إنباء الرواه ٢: ٢٤٠.

^٦ ياقوت: معجم الأدياب ٣: ١٦٢.

«كان أديباً فاضلاً يُورِّق بمصر سمع من أبي سُلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنّابة الوزير»^١.

وهو شقيق أبي القاسم المُحَسَّن بن الحسين بن علي بن كُوَاجِك المتوفى سنة ٤١٦ هـ الأتي ذكره.

علم الدين أبو الحسن علي بن حمزة بن علي بن طلحة الرازي الأصل البغدادي المولد المتوفى بمصر سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م، قال ياقوت:

«وهو صاحب الحفظ المليح على طريقة ابن البواب خصوصاً قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحد مثله من تقدّم»^٢.

أبو الحسن علي بن زيد القاشاني النحوي أحد أصحاب ابن جني، قال ياقوت:

«وجدت بخطه ما كتبه سنة إحدى عشرة وأربعمائة. وهو صاحب الخط الكثير الضبط المُعَدَّ سلك فيه طريق شيخه أبي الفتح»^٣.

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن القاضي الجرجاني صاحب كتاب «الوساطة بين المتني وأبي تمام المتوفى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م، قال ياقوت:

«كان جيّد الحفظ مليحاً يُعَيِّب بخط ابن مُقَلَّة»^٤.

وقال الثعالبي:

«يجمع خط ابن مُقَلَّة إلى نثر الجاحظ وتُظَم البُحْتري»^٥.

أبو القاسم علي بن عبدالله بن علي بن الحسين العلوي المعروف بـ الثَّيْبِي صاحب كتاب «المبسوط» المتوفى سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، قال ياقوت نقلاً عن علي بن أحمد الحافظ:

^١ ياقوت: معجم الأدياء، ١٣: ١٥٥؛ الصفدي: الوافي، ٢١: ٢٧.

^٢ نفسه، ١٣: ٢١١؛ نفسه، ٢١: ٧٥.

^٣ نفسه، ١٣: ٢١٨؛ نفسه، ٢١: ١٢٢؛ السيوطي: بغية الرعاة، ٢٣٨.

^٤ ياقوت: معجم الأدياء، ١٤: ١٦، ١٢٢؛ الصفدي: الوافي، ٢١: ٢٣٩.

^٥ الثعالبي: بديعة الدرر، ٤: ٣.

«كان ديتا حسن الاعتقاد يُورق بأجرة ويأكل من كَسْب يده»^١.

وأضاف ياقوت :

«وجدت على ظهر ديوان عُروّة بن الوَرْد بخط ابن الشَّيبه وكان الديوان كله بخطه...»^٢.

وفي موضع آخر :

«وجدت بخط ابن الشَّيبه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي العَلَمَنحان الفَيْتي بخطه ما صورته :

«وكتب في صفر في سنة عشرين وأربعمئة بخط أبي الحسن علي بن هلال السَّري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي...»^٣.

وقال الصَّفدي :

«وكان خطه مليحاً، وقد رأيت بخطه رُبعةً مليحةً بقلم السُّنخ»^٤.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة المَقْبَلِي الأتطائي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م، قال ياقوت :

«صنَّدر زمانه وفرده آوانه ذو فنون من العلوم . وخطه مليح جداً على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة... ورُتّب «غريب الحديث» لأبي عُبَيْد على حروف المعجم رأيت بخطه، وشرَّح في شرح أبياته شروعاً لم يُقصر فيه، ظفرت منه بكراريس من سُوداته لأنه لم يتم»^٥.

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٣ : ٢٧١ الصَّفدي : التواقي ٢١ : ٢٠٧.

^٢ نفسه ١٣ : ٢٧٢.

^٣ نفسه ١٥ : ٢٢١.

^٤ الصَّفدي : التواقي ٢١ : ٢٠٧.

^٥ ياقوت : معجم الأديباء ١٦ : ١٠.

«حدثني كمال الدين [ابن العديم] قال : سمعت والدي - رحمه الله - يقول : كتب الشيخ أبو الحسن بن أبي جركانة بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه ، وخزانة لابنه أبي البركات ، وخزانة لابن أبي عبدالله^١ .
وقال القفطي :

«له خط حسن ويد في الحساب والهندسة على ما شاهدته بخطه»^٢ .

أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السَّمْسَمِي (ويقال السَّمْسَمَانِي) اللغوي
التحوي المتوفى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، قال ياقوت :

«كان جَيِّدَ المعرفة بفتون علم العربية ، صحيح الخط غاية في إتقان الصُّبْط ، قرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي . وكان ثقة في روايته»^٣ .
وأضاف :

«وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الصُّبْط حُجَّة فيما يكتبه ، ومن هذا البيت جماعة كُتِبَ عليهم مجيدون»^٤ .

وقال ابن خلكان :

«وَكُتِبَ الأدب التي عليها خطه مرغوب فيها . . . وكان صدوقاً وكتَّب الكثير وخطه في غاية الاتقان والصحة . . . وأكثر كتبه بخطه ، وحَصَلَتْ بعده عند ابن دينار الواسطي الأديب وأدركها الغرق فَنَسَدَ أكثرها»^٥ .

وقال الصفدي :

«كان يكتب خطاً صحيحاً مليحاً ، كتب بخطه كثيراً من كتب الأدب وخطه مرغوب فيه»^٦ .

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٦ : ١١ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٢٨٥ ، الصفدي : الوافي ٢١ : ٢١٠ .

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ١٤ : ٥٨ ، الصفدي : الوافي ٢١ : ٢٩٥ .

^٤ نفسه ١٤ : ٥٩ ، نفسه ٢١ : ٢٩٥ وانظر فيما يلي محمد بن علي السَّمْسَمَانِي .

^٥ ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣١٢ .

^٦ الصفدي : الوافي ٤ : ١٣٨ ، ٢١ : ٢٩٥ .

ووقفت ياقوت على كتاب في العروض بخطه يقول :
 «نقلت من كتاب آفة أبو القاسم عبيد الله بن جرير الأسدي في العروض،
 وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمساني»^١.
 ووجد كذلك خطه على ظهر كتاب للمزني صاحب الشافعي^٢.
 كما رأى القفطي نسخة من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفتح محمد بن
 محمد بن أحمد بن الأثرس النحوي النيسابوري بخط السمساني قال :
 «ملكها ولله المنة»^٣.

ولم يصل إلينا خط السمساني ولكن وصلت إلينا نسخة من شرح «أشعار
 الهذليين» كتبها محمد بن علي العتابي المتوفي سنة ٦٥٦ نقلًا عن نسخة بخط
 السمساني (السمسماني) وقرأها العتابي أيضًا على شيخه موهوب بن أحمد بن
 الجواليقي المتوفي سنة ٥٣٩ وقابل بعضها بنسخة شيخه ابن الجواليقي التي بخط
 يده وقابل كذلك بنسخة محمد بن فتوح الحميدي المتوفي سنة ٤٨٨، وهذه
 النسخة محفوظة في مكتبة ليدن.

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن بكري البغدادي المتوفي سنة
 ٥٧٥هـ / ١١٧٩م، حازن دار الكتب بالنظامية. له معرفة جيدة بالأدب قرأ
 النحو على أبي منصور الجواليقي وغيره، قال ياقوت :

«وكان فاضلاً عارفاً حسن الأمر مليح الخط جيد الضبط قد كتب من كتب
 الأدب الكثير الذي يفوق الحصر»^٤.

قال القفطي :

«كان يكتب خطاً جيداً، تولى الحزن سنين كثيرة ورأيت بخطه أجزاء»

^١ ياقوت : معجم الأدياب، ٤ : ١٢٣٣، الصفدي : الوافي، ٧ : ٣٢٨ - ٣٣٠.

^٢ نفسه، ١٤ : ٦٠.

^٣ القفطي : إنباء الرواة، ٤ : ١٥٠.

^٤ ياقوت : معجم الأدياب، ١٢ : ٢٧٤، الصفدي : الوافي، ٢١ : ٣٤٨.

متعددة من كتاب الأزهري [يعني تهذيب اللغة] وفيها وَهَمَّ وَقَطَط، ولا شك في موته قبل إتمام مقابله^١.

أبو الحسن علي بن محمد بن الحلال الأديب الناسخ المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م، قال ياقوت:

«صاحب الخط الملقب والضبُّب الصحيح معروف بذلك مشهور»^٢.

أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالرحيم بن دينار الكاتب البصري الواسطي المتوفى سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م، قال ياقوت:

«كان حسن الخط يقال إنه على طريقة ابن مقلَّة»^٣.

وقرأ على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي النحوي اللغوي المعروف بابن الكوفي المتوفى في ذي القعدة ٣٤٨هـ / ٩٦٠م^٤.

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أبي زيد النحوي المعروف بالقصبي الاسترابادي المتوفى سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م. قال القفطي:

«كان يكتب خطاً صحيحاً، رأيت بخطه «شرح الحماسة» للبياري وهي في غاية الجودة والصحة»^٥.

ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، قال الصفدي:

«ملك ديوانه (أي عبدالصمد بن منصور بن بابك الشاعر) وهو في

^١ القفطي: إتياء الرواد ٢: ٢٩٣.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٤: ٢٤٥.

^٣ نفسه.

^٤ النظر فيما تقدم من ٩٦-٩٨.

^٥ القفطي: إتياء ٢: ٣٠٧.

مجلدة بخط ضياء الدين أبي الحسن علي بن خروف النحوي المغربي
وكتابتها طريفة فيها مغربية ما في غاية الصحة والفاء بوحدة والقاف بالثتين
على عادة المشاركة^١.

ووصل إلينا بخط ابن خروف النحوي نسخة من «الكتاب» لسيبويه أتم
كتابتها سنة ٥٦٢ هـ تنقص للأسف نحو ثلث أبواب الكتاب، وهي محفوظة في
المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 6499 arabe. وهي نسخة عارضها ابن خروف
بأصلين لكتاب سيبويه أحدهما لأبي نصر هارون بن موسى النحوي، وهو أصل
معروف في الأندلس تلقاه أبو نصر عن طريق أبي عبد الله محمد بن يحيى
الرياحي، وعن طريق أبي علي القاسبي صاحب «الأمالي»، والأصل الثاني
«نسخة عتيقة شرقية عليها خط أبي علي الفارسي نقلت من نسخة أبي بكر بن
السراج»^٢.

أبو الحسن علي بن نصر بن سليمان التبرتي النحوي اللغوي نزير مصر المتوفى بعد
سنة ٩٣٨ هـ / ٩٩٤ م. قال القفطي:

«كتب بخطه الكثير وكان الناس يتنافسون في خطه ومحبته وذلك مستمر
إلى زماننا هذا».

«وكان خطه خطاً قاعداً عاقلاً بين الخطوط كثير الضبط في غاية التحقيق
والتنقيب والتصحيح»^٣

وقال ياقوت:

«رأيت بخطه كتباً أدبية ولغوية ونحوية، فوجدته حسن الخط متقن
الضبط. وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها»^٤.

^١ الصفي: الرازي ١٨ : ٤٥٦ : ٢٢ : ٩٠ .

^٢ Humbert. G., «Le kitāb de Sibawayh d'après l'autographe d'un grammairien andalou
du XI^e siècle», *Le Manuscrit arabe et la Codicologie*, Rabat 1994, pp. 9-20

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٢ : ٣٢٣ .

^٤ ياقوت: معجم الأدياء ١٥ : ٤٧ : الصفي: الرازي ٢٢ : ٢٧ : السوطي: بغية ٣٥٧ .

وأخشاف القفطي:

«ولقد رأيت نسخة بخطه من كتاب «الجمهرة» لابن دريد وقد أبيع في
 شركة الجمالي السجلي البغدادي المعروف بابن الفضل الكرخي مدرس المدرسة
 الخنقية بالقاهرة المعزية بما يبلغه أربعة وعشرون ديناراً مصرياً. ولولا الحياء عن
 تَمَرُّض له - وهو مبارك بن مُنْقذ التبريزي أحد أمراء الدولة الصلاحية - لكان
 ثمنها قد زاد على ذلك»^١.

أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بابن السيّاب المتوفى سنة ٤١٣هـ/
 ١٠٢٢م، وقيل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م. ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل،
 قال ياقوت:

«صاحب الخط المليح والإنعاب الفائق . . . بَلَغني أنه كان في أول أمره
 مُزَوِّقاً يَصَوِّرُ الدور ثم صَوَّرَ الكتب ثم تعانى الكتابة ففارق فيها المتقدمين
 وأصجز المتأخرين»^٢.

وقال الصّدي:

«هو صاحب الخط الفائق الذي لم يُرَاق أحدٌ في الكتابة سعاده بإجماع
 الناس، على أن الوكي العجمي كتب خيراً منه فيما أرى ولا يجسر أحدٌ على
 قول ذلك. وأوّل من عَرَّبَ الخط من الكوفي ابن مقلّة، لكن بقي به تكويف ما
 إلى أن جاء ابن السيّاب هذا فزاده تمريراً ودوّر حروفه ووضّح هذا الضبط على
 ما قيل»^٣.

وأخشاف ياقوت:

«قرأت بخط سلامة بن غياض: رأيت بالرقي بخط علي بن هلال كتاب
 «من نُسب من الشعراء إلى أمه» لأبي عبدالله بن الأعرابي وهم خمسون
 شاعراً، وعلى ظهره

^١ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٣٢٧.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٥: ١٢٠-١٢١.

^٣ الصّدي: الرافي ٢٢: ٩.

كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة

وفي آخره بخطه

نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي -
أيده الله - يَلِّغُ عثمان بن جني نسخًا من أوله وعرضه^١.

كما ذكر الصفدي أنه :

«قرأ من خطه كثيرًا، ومَلَكَ منه قطعة بقلم الرِّقَاع، فرأها الشيخ بهاء الدين محمود بن عطيبة بعليك، فقال: لم أر لابن التُّوَاب رِقَاعًا قطُّ غير هذه. إلا أن هذه القطعة المذكورة كان عليها خط القاشي الكاتب السُّلَعَبِي، وكان فاضلاً مُذَهَّبًا أيضًا له مجاميع أدبية وتوالييف، وقد شهد لهذه القطعة أنها من نفائس عقود ابن التُّوَاب»^٢.

وقال أيضًا :

«وَرَعَمَ بعض الفضلاء أن خطه ثلاث طبقات: سُفْلَى وُوسَطَى وُعُلْيَا؛ فالسُّفْلَى أول كتابته واسمه فيها: علي بن هلال - يَألف بين اللامين - ، والوُوسَطَى أوسط كتابته واسمه فيها علي بن هليل - يباء آخر الحروف بين اللامين - ، والُعُلْيَا وهي آخر ما كتب واسمه فيها: علي بن هلال بحذف الألف من بين اللامين»^٣.

وقال ابن خلكان :

«وكان شيخه في الكتابة [أبو عبدالله محمد] بن أسد الكاتب المشهور»^٤.

ووضع ابن التُّوَاب رسالة في علم الخط ونسخ المصحف بيده أربعة وستين مرة إحداها بالخط الثلث مكتوبة على الرِّقِّ محفوظة في مكتبة شيلستر بتي بدبلن

^١ باقرت : معجم الأدباء ١٥ : ١٢٩ - ١٣٠ .

^٢ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٢٩١ .

^٣ نفسه ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

^٤ ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣٤٢ .

تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ / ١٠٠٠م بالإضافة إلى نماذج أخرى كتبها بخطه ١.

أبو أحمد عمر بن محمد بن جعفر الزُّهْراني المعروف بدومي الكوفي النحوي، قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا جميلًا صحيحًا في غاية الصحة»^٢.

سراج الدين عمر بن محمد بن حسن المعروف بالسراج الوراق الشاعر المشهور

قال ابن شاعر الكتبي:

«ملكت ديوان شعره وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه إلى الغاية.

وخطه في غاية الحسن والقوة والأصالة»^٣.

ونقل الصَّفدي من خطه قصيدة رثى فيها الحافظ زكي الدين عبدالمعظم بن عبدالقوي المنذري^٤.

أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن الفف من نصارى الكرك المتوفى سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، قال ابن أبي أصيبعة:

«اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها وبلغ الغاية من بعبدها وديعها

وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الأيصار ولا يلحقه كتاب في سائر الأقطار

والأمصار»^٥.

أبو يحيى مالك بن دينار البصري المتوفى سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م بالبصرة، قال ابن النديم:

^١ انظر فيما سبق ص ٥٦ - ٥٧.

^٢ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٧.

^٣ ابن شاعر: فوات الوفيات ٣: ١٤٠.

^٤ الصَّفدي: الوافي ١٩: ١٥ - ١٦.

^٥ ابن أبي أصيبعة: عيون ٢: ٢٧٣.

«كان زاهدًا كثير الورع فتورعًا لا يأكل إلا من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة»^١
وقال السجستاني :

«دخل عليه جابر بن زَيْد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ / ٧١٢م، فوجده يكتب المصحف فقال له : مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة هذا والله كسب الحلال هذا والله كسب الحلال»^٢.

أبو الوليد مالك بن عبدالله بن محمد العتبي المعروف بالسُهيلي القرطبي المتوفى سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م، قال القفطي :

«كان ضابطًا لما كتبت حسن الخط جَيِّد الضبط وكتب بخطه علمًا كثيرًا وأتقنه وأخذ الناس عنه»^٣.

أبو الفرج المبارك بن سعيد الحماسي المؤدب المتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، قال ياقوت :

«كان يكتب خطًا حسنًا معروفًا عند الناس مرغوبًا فيه»^٤.

أبو الكرم المبارك بن الفاسخر بن محمد بن يعقوب بن التماس النحوي البغدادي، المتوفى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م، قال القفطي :

«كانت له طريقة في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري مُخَلَّعة الحروف كثيرة الضبط . وخطه مرغوب فيه له قدر عند العلماء بهذا الشأن»^٥.

أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي المتوفى ٥٨٥هـ / ١١٨٩م

كان أوحد زمانه في حُسْن الخط على طريقة علي بن هلال بن اليوب . قال ياقوت :

^١ ابن النديم : الفهرست : ٩٩ ابن خلكان : وفيات : ٤ : ١٣٩ .

^٢ السجستاني : كتاب المصاحف : ١٣١ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة : ٣ : ٢٥٤ .

^٤ ياقوت : معجم الأديباء : ١٧ : ٥٣ .

^٥ القفطي : إنباء الرواة : ٣ : ٢٥٧ والسيوطي : بغية الرعاة : ٣٨٤ .

« سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم
الثقت حتى رأيت من يغالي فيقول إنه كتب خيراً من ابن اليوباب وكان ضيقاً
بخطه فلذلك قلّ وجوده»^١.

أبو الوفاء الميثر بن فائق الأمري المتوفى نحو سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٧م، من أعيان
أمراء مصر اشتغل بصناعة الطب ولازم أبا الحسن علي بن رضوان الطبيب،
قال ابن أبي أصيبعة:

«كان كثير الكتابة وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين»^٢.

أبو القاسم المحسن بن الحسين بن علي بن كوجك العبسي المتوفى سنة ٤١٦هـ /
١٠٢٥م، قال ياقوت:

«كان الغالب عليه الوراثة ويقول الشعر وعظه معروف مرغوب فيه يشبه

خط الطبري لـ أي إبراهيم بن أحمد بن توزون»^٣.

وكتب ابن كوجك الأصل الذي نقلت عنه نسخة «أنساب الأشراف» للبلاذري
المحفوظة بمكتبة عاشر أفندي باستانبول برقم ، فقد جاء في آخرها:

«نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط البلاذري وأصله وهي
نسخة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات يشهد لها بذلك خطه
عليها رحمه الله تعالى بعد أن قوبل بها ووثق بصحتها حرفاً حفاً».

وهو شقيق علي بن الحسين بن علي بن كوجك المتوفى سنة ٣٩٤هـ السابق ذكره.

محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الرهيني الوشقي، قال ابن الزبير:

«كان ... يارع الخط حسن الوراثة»^٤.

^١ ياقوت: معجم الأدياب ١٧: ٥٦. انظر فيما تقدم

^٢ ابن أبي أصيبعة: حيون الأدياب ٢: ٩٨ - ٩٩.

^٣ ياقوت: معجم الأدياب ١٧: ٨٩.

^٤ السيرافي: بغية الوعاة ٥.

محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن معاوية المَندري القرشي القرطبي المعروف بـ
المصنوع المتوفى سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م، قال ابن الفَرَضِي:

«كان يوصف بالصَّبْطِ وحُسْنِ الثَّقَلِ»^١.

بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الحلبي
الثوري شيخ الديار المصرية في علم اللسان المتوفى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م،
قال الصفدي:

«كتب خطاً أزرى بالوشي إذا حُكِبَ والذهب إذا سُبِكَ . . . واقتنى كتباً نفيسة»^٢.

وقال السيوطي:

«كتب الخط المنسوب . . . واقتنى كتباً نفيسة»^٣.

أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام الطَّلِيطي الأنصاري المتوفى
سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م، قال السيوطي:

«مليح الخط حسن الثَّقَلِ»^٤.

محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَمي الكاتب المتوفى سنة ٦٣٧هـ / ١٣٣٩م، قال
الصفدي:

«كتب [الخط] المنسوب، وتصويره أحسن وأعلى طبقة من خطه، كان
مخزياً بأن يَنْسَخَ الكتاب ويصوِّره مثل "ديوان أبي نواس" رواية حمزة
الأصبهاني ومثل "قلك المعاني" لابن الهَيَّارِية وغير ذلك. ملكت بخطه
وتصويره كتاب "قلك المعاني" وذكر في آخره أنه كتبه وصوِّره في الحرم سنة
ثمان وعشرين وست مائة»^٥.

^١ السيوطي: بغية الرعاة ٥.

^٢ الصفدي: الواقعي ٢: ١١ - ١٢.

^٣ السيوطي: بغية الرعاة ٦.

^٤ نفسه ٧.

^٥ الصفدي: الواقعي بالوفيات ٢: ١١٣.

أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البغدادي الكاتب، كاتب الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنّزاية، المتوفى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، قال الداني: بغدادي سكن مصر وقال الخطيب البغدادي:

«كان من أهل العلم والمعرفة بالحديث. كتّباً وجمّحاً، ولم يكن بمصر بعد عبدالغني (بن سعيد) أقهّم منه»^١.

وجاء بأخر نسخة «مجالس العلماء لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٧٧ أدب ش:

«نسخت هذه النسخة من نسخة نسخت من نسخة بعضها بخط الشيخ أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب كاتب ابن حنّزاية وهي نسخة وعليها خطه بالملك وكانت في خمسة أجزاء. وكاتب هذه النسخة التي نقلت منها عبدالله الفقير إليه أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي، وذكر ما ذكر أعلاه بخطه في آخر نسخته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»^٢.

أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أشروس المعروف بـ أبي الفتح بن الأشروس التحوي التيسابوري، كنيته أغلب من اسمه المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، قال القفطي:

«رأيت له خطاً قريباً في الجودة غاية في الصّحة، واسمه بين العلماء إلى زماننا هذا رفيع، وصنّعه في القبط والإتقان صنيح، ولقد رأيت بخطه نسخة من كتاب سيبويه من ملكها من العلماء ضاهى يملكها ملك آل بُويّه، وخطه مما تَقَّحُ المنافسة فيه، ومضى فات عالماً تحصيله لم يقم عنده شيء مقامه في تلافيه»^٣.

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١: ٣٢٣.

^٢ القفطي: إنباء الرواة ٤: ١٤٩.

محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بريك الأنصاري السكري المعروف بابن البرقطي المتوفى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م، قال ياقوت:

«تخلّف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن اليّوباك لم تجتمع في زماننا عند كاتب وكان يغالي في شرائها.

[وهو] أوحدها عصرنا في حُسْن الخط والمشار إليه في التحرير.

وكان في أول أمره معلماً فلما جاد خطه صار مُحَرَّرًا، وكان يغالي في أثمان خطوط ابن اليّوباك فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرائها^١.

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن فرج [قنوح] بن شقران الأحمي المعروف بالطرسوني المتوفى سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م. قال لسان الدين بن الخطيب:

«كان قِيَمًا على النحو والقراءات واللغة... وكانت له مشاركة في الأصولين والمنطق... يجمع إلى ما ذكر خطًا بارعًا... وكان صَنَّاعَ اليدين يرسم بالذهب ويُسَمِّر... أحظه وزير الدولة أبو عبدالله بن المحروق واختصه ورثب له بالخمراء جارية، وقُلِّد نظره خزانة الكتب السلطانية^٢.

وقال السيوطي:

«كان... بارع الخط... وكان حَسَنَ التذهيب والتجليد حظى عند الوزير المحروق ورثب له معلومًا وجعله ناظرًا لخزانة الكتب السلطانية^٣.

القاضي أبو جعفر محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد الزوزني البهائي المتوفى بخرّنة سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، قال عبدالعافر الفارسي:

«كان يَنْسَخُ كتب الأدب بخط مَقْرُوءٍ صحيح أحسن النسخ، ولقد رأيت

١ ياقوت: معجم الأديباء ١٧: ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢ لسان الدين الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣: ٢٤ - ٢٥.

٣ السيوطي: بغية الرعايا ١٨.

نسخة من كتاب «تيسمة الدُّعْر» لأبي منصور الثعالبي في خمس مجلدات بخطه المصحح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك.

وقد كتب نسخة من «غريب الحديث» لأبي سليمان الخطابي وقرأها على جدي الشيخ عبدالعافر بن محمد الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم الإمام أبي سعد بن دُوسْت قراءة تصحيح وإثقان. أقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة آتية ولا أمْلَح منها، وهي الآن بوسم خزائن الكتب الموضوعه في الجامع القديم موقوفة على المسلمين^١.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي المعروف بابن تميم الجزوي المتوفى سنة ١٧٥١هـ / ١٣٥٠م، أحد تلاميذ ابن تيمية وأحد شيوخ المذهب الحنبلي، قال ابن العماد:

«كتب بخطه ما لا يُوصف كثرة، وصنّف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابه ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره»^٢.

أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد المعروف بابن الثلاث الموصلي، قال ابن أبي أصيبعة:

«فاضل في صناعة الطب خبير بالعلم والعمل وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الأشعث لازمه واشتغل عليه وتميز وكتب بخطه كتباً كثيرة»^٣.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن بن عبدالله الحسين الواسطي المتوفى سنة ١٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، قال ابن العماد:

«دَرَسَ بالصَّارِمِيَّة وأعاد بالشامية البرانية وكتب الكثير نسخاً وتصنيفاً بخط حسن»^٤.

^١ باقوت: معجم الأبياء ١٨ : ٢٠ - ٢١، القفطي: إنباء الرواد ٣ : ٦٧.

^٢ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ١٦٩.

^٣ ابن أبي أصيبعة: حيون الأبياء ١ : ٢٤٧.

^٤ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٢٤٤.

أبو عبدالله محمد بن الحسن بن كامل الملقب المعروف بابن القفطاري المتوفى سنة ١٥٣٩هـ / ١١٤٤م، قال القفطي:

«له خطٌ حسنٌ من خطوط أهل الأندلس وكان في أول المائة السادسة للهجرة، ورأيت بخطه كتاب «عارضة الأحوزي في شرح كتاب الترمذي لابن العربي وقد قرأه عليه، والخط في غاية الحسن والصحة»^١.

محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي، قال ياقوت:

«مشهورٌ في أهل الأدب وله خطٌ مرغوبٌ فيه»^٢.

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، قال ابن النديم رواية عن محمد بن الحسن الورّاق:

«لم يكن يفارق المدارج والتشّخ، ما دخلت عليه قط إلا رأيتُه يتشّخ إما بسود أو بيض»^٣.

ثم أضاف:

«ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ودرسات لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام، وقيل إن بخراسان كتبه موجودة»^٤.

أبو عبدالله محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م قال القفطي:

«كثير الكتب كتب بخطه الكثير، ولم يجارِه أحدٌ في صحة خطِّه وحسن نقله»^٥.

تاج الدين محمد بن سليمان بن أحمد بن الفخر الشافعي المتوفى سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م، قال الصفدي:

^١ القفطي: المحدثون من الشعراء ٢٩٥.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٨ : ١٨٨ السيوبي: بقية الرعلاء ٣٨.

^٣ ابن النديم: الفهرست ٣٥٧.

^٤ القفطي: إنباء الرواة ٣ : ١٣٨.

«كتب الخط الجيد وكتب كثيراً من الحديث والفقه وغير ذلك»^١.

أبو عبدالله محمد بن سليمان بن كَطْرَمَش (كُتَلَمَش) الحاجب البغدادي المتوفى سنة ١٢٢٣هـ / ١٢٢٣م ، قال ياقوت :

«خَلَّف له والده أموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالترد حتى احتاج إلى الوراقة ، فكان يُورَثُ بأجرة بخره المليح الصحيح المعبر ، فكتب كثيراً من الكتب»^٢.

الإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبدالرحمن بن عبدالسائر الأنصاري الماردني المتوفى سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م بأمد ، قال ابن أبي أصيبعة :

«وَقَفَّ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن أرتق . وكان هذا حسام الدين فاضلاً حكيماً فيلسوفاً وقد وقفه أيضاً في مشهده كتباً حكيمية . والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من أجود الكتب وهي تُسَمُّه التي كان قد قرأ أكثرها على مشايخه وخرَّجها وقد بالغ في تصحيحها وإتقانها»^٣.

أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الأمدي ، خرَّج من بغداد إلى مصر وكان منقطعاً إلى الوزير ابن حنَّابَة ، قال ابن التميمي :

«وخطه مليح صحيح»^٤.

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن حاصم التميمي المعروف بالحزَّيْل ، لقبه أشهر من اسمه . عالم راوية روى عن ابن السكيت كتاب «السَّرَقَات أو سرقات الشعر» وكان كثير الرواية عن عمرو بن أبي عمرو والشيباني ، قال القفطي :

^١ الصغدي : الرازي ٣ : ١٣٩ .

^٢ ياقوت : معجم الأديب ١٨ : ٢٠٥ .

^٣ ابن أبي أصيبعة : عيون الأديب ١ : ٣٠٠ .

^٤ ابن التميمي : الفهرست ٨٩ .

«وله خط جيد معروف بين العلماء بالصحة والتحقين»^١.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكزيماني النحوي الوراق المتوفى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م، كان عالماً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة، من أصحاب ثعلب، قال ابن التميمي:

«مليح الخط صحيح الثقل يرقب الناس في خطه وكان يؤرق بالأجرة»^٢.

وقال القفطي:

«رأيت بخطه كتاب «المعارف» لابن قتيبة وملكنه وهو في غاية الحسن

والصحة»^٣.

أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بلبل النحوي المتوفى سنة ٤١٠هـ/ ١٠٢٠م، قال ابن النجار:

«قرأ النحو على ابن خالويه وروى عنه وكان يكتب خطاً صحيحاً مليحاً»^٤.

ولم يصل إلينا نماذج من خط أبي عبدالله محمد بن عثمان بن بلبل، ولكن نسخة كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ جاء بأخرها:

وعورضت هذه النسخة بنسخة بغدادية بخط ابن بلبل كان في آخرها مكتوب

«قرأ عليّ [إصلاح] المنطق هذه النسخة من أوله إلى آخره أبو عبدالله بن بلبل البغددي أيد الله، وضبطه وصححه بعد تصحيحنا على شيخنا أبي سعيد آدم الله عافيته. فهذه النسخة غاية وإمام يرجع إليها ومن قرأ على أبي عبدالله بن بلبل فهو كالقارئ على أبي سعيد وعليّ لأنه ما عدّ ولا قصر ولا إلا نفعه الله وإياتنا بالعلم والأدب. وكتب الحسن بن خالويه»

^١ القفطي: إنباء الرواه: ١: ٣٣٩ وانظر كذلك ابن التميمي: الفهرست ٧٩ والصفدي: الوافي ٣: ٣٢٨.

^٢ ابن التميمي: الفهرست ١٨٧ باقوت: معجم الأديباء ١٨: ٢١٣، الصفدي: الوافي ٣: ٣٢٩.

^٣ القفطي: إنباء الرواه ٣: ١٥٥، الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٢٩، السمرقاني: بغية الرعاة ٦٠.

^٤ الصفدي: الوافي ٤: ٨٤.

وفي أولها مكتوب

«رواية أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيراقي قرأه عليه عن أبي بكر محمد ابن أبي الأزهر قرأه عليه عن أبي عمرو بندار بن لؤة الكوجي صاحب معاني الشعر قرأه عليه قال : سمعت أبا يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت يقول : الكتاب كان على هذا . . . وأما رواية ابن الأثيري فرواه عن أبي أحمد عييد السلام بن الحسين بن محمد البصري قال : حدثنا ابن يزيد عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح الخزاز عن أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار عن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن أبي جعفر أحمد بن عييد الملقب بأبي عصيدة عن يعقوب بن السكيت . . . وأما رواية أبي بكر ابن الأثيري فمن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن عبدالله بن رستم وأبي جعفر أحمد بن عييد جميعاً عن ابن السكيت».

وكان على ظهرها مكتوب

«سمع أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بلبل هذا الكتاب إلى آخره بقراءته وقراءة من قرأه عليه وكتب الحسن بن عبدالله السيراقي».

وكذلك نسخة مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٥٤٨٣ من كتاب «المبتهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لأبي تمام» لابن جني والمؤرخة سنة ٤٢٠ هـ نقلت من خط محمد بن عثمان بن بلبل صاحب المؤلف.

أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زهير بن أبي البقاء العتّابي النحوي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م، قال ياقوت :

«كتب الخط المصحح مع الصحة والضبط»^١.

وقال الصفدي :

«كان إماماً في النحو متصديراً لإقراء الناس ويكتب خطاً مليحاً صحيحاً»^٢.

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٨ : ٢٥١.

^٢ الصفدي : الوافي ٤ : ١٥٢.

جمال الدين محمد بن علي بن عليّ الكاتب المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م، قال القفطي:

«شيخ فاضل عالم بالسّير والأخبار، كتّبت بخطه كثيراً وجمّع عدّة مجاميع واختصر كتاب "الأغاني" للأصفهاني»^١.

أبو الحسين محمد بن علي السّمساني النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م أحد النحاه المشهورين بمعرفة الأدب واللغة، قال الصّفي:

«كان يكتب خطاً صحيحاً مليحاً، كتب بخطه كثيراً من كتب الأدب وخطه مرغوب فيه»^٢.

أبو نصر محمد بن علي السّمساني الكاتب المتوفى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م، قال الصّفي:

«صاحب الخط المليح كان طبقة في البغداديين في حسن الخط بعد ابن اليّوب»^٣.

أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م نزيل مصر، وكان نحويّاً وله رئاسة المؤذنين بجامع عمرو بن العاص، قال القفطي:

«وله خط صحيح يتنافس فيه أهل العلم وكتب الكثير من كتب اللغة والنحو، وكان مفيداً وحَدَّث»^٤.

أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان متميزاً في الطب وعمله. ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد

^١ ابن القوطي: الخواص الجامعة ٦٠.

^٢ الصّفي: الوافي ٤: ١٣٨.

^٣ نفسه ٤: ١٣٨.

^٤ القفطي: إنباء الرواة ٣: ١٩٥.

قرأ عليه، وهو كثير اللحن يدل على أنه لم يشغل بشيء من العربية. وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسماية^١.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن مَرْج بن قَطُوس الأنصاري الأندلسي البَلَنَسِي المتوفى سنة ٦٦٠هـ / ١٢١٣م، قال ابن الأثير:

«انفرد في وقته بالبراعة في كتابة المصاحف وتقطها، يقال إنه كتب ألف مصحف ولم يزل الملوك والكبار ينافسون فيها إلى اليوم، وقد كان آلى على نفسه ألا يكتب حرفاً إلا من القرآن، وغتلف آياه وأخاه في هذه الصناعة».

وقال الصَّفدي:

«أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن الصَّيِّد القاسي بصقّد سنة ست وعشرين وسبعمائة أنه كان له بيت فيه آلة السُّنْح والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحدٌ من أهله، يدخله ويخلو بنفسه وربما قال لي إنه كان يضع المسك في الدواة. وكان مصحفه لا يهديه إلا بمائتي دينار. . . . وقد رأيت أنا بخطه مصحفاً أو أكثر وهو شيء غريب من حسن الرُّضْخ ورعاية المرسوم، ولكل حَسْبُ لون من الألوان لا يُخلُّ به: فسالازورد للشدات والجزمات واللك للضّمات والفتحات والكسرات والأخضر للهمزات المكسورة والأصفر للهمزات المفتوحة لا يُخلُّ بشيء من ذلك وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة، وكأنه متى قَسَد معه شيء أبطل تلك القائمة. ومن سلك هذه الطريقة في المصاحف ابن خَلْدُون البَلَنَسِي^٢. (روصل إلينا بخطه مصحفاً محفوظاً في مكتبة جامعة استانبول برقم A6754 وأخر في المكتبة الأحمديّة بفرنس كتيبه بمدينة بلنسية سنة ٥٦٤)

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م، أحد فقهاء الشافعية وقرأ اللغة والأدب على الخطيب التيزي، قال ابن الجوزي:

^١ ابن أبي أصيبعة: حبر الأبياء، ١: ٢٥٥. ^٢ الصَّفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٥١-٣٥٢.

«وخطه في غاية الإتقان والصحة»^١.

وقال ياقوت وعنه الصفدي :

«وكان مع علمه بالحديث ورجاله جيّد المعرفة بالأدب صحيح الخط غاية في إتقان الضبط»^٢.

جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي عم الصاحب كمال الدين بن عمر المتوفى سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣١م، قال ياقوت : «كتب جمال الدين هذا بخطه الكثير وشغف بتصانيف أبي عبدالله محمد ابن علي بن الحكيم الترمذي، فجمّع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه، وكتب من كتب الزهد والرقائق والمصاحف كثيرا، وكان خطه في صباه على طريقة ابن الزكّاب القديرة وكتب لأهله مصاحف بخطه. وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين»^٣.

ووصل إلينا بخطه كتاب "المسائل المكنونة" للحكيم الترمذي في دار الكتب المصرية برقم ٣٢٨٢ج، و"الفروق" للحكيم الترمذي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ١٣٥٨٦ج.

الأمير أبو سلامة مُرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مقلد المتوفى بشيُوْر سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م، قال السمعاني في تاريخه :

«رأيت مصحفاً بخطه كتبه بماء الذهب على الطاق الصوري [أي الثياب الصورية] ما رأيت ولا أظن أن الرّين رأوا مثله، فقد جمّع إلى فضائله حسن خطه»^٤.

أبو نصر منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الخرجين السعدي الحلبي التميمي المؤدب المعروف بابن أبي التّميك، قال ياقوت :

^١ ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٣ ، الصفدي : الوافي ٥ : ١٠٥ .

^٢ الصفدي : الوافي ٥ : ١٠٥ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء ١٦ : ١٣٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ١٥٨ .

^٤ ياقوت : معجم الأدياء ٥ : ٢٢٦ .

«كان أديباً فاضلاً نحوياً شاعراً له تصانيف وردود على ابن جني منها:
تتمة ما قصّر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة وديوان شعر وكفّت عليه
بخطه الرائع فوجدته مشحوناً بالفوائد النحوية، وقد شرح الفأظف اللغوية
واعنى بإعرابه فذكراً على تبحره في علم العربية»^١.

وقال القفطي:

«صنّف كتاباً في الرد على أبي الفتح بن جني في «إعراب الحماسة» وهو
كتاب حسن جيد يدل على تفضل في العربية وجودة عرض، ملكته بخطه»^٢.

أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الحفص الجواليقي البغدادي صاحب
«المعرب» المتوفى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م.

كان من كبار أهل اللغة إماماً في فنون الأدب صادقاً صدوقاً. قال ياقوت:
«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغلاة به»^٣.

وقد وكّف على نسخة من كتاب «القوافي» لمحمد بن يزيد المبرّد بخطه^٤.
وقال القفطي:

«مليح الخط كثير الضبط... وخطه مرغوب فيه يتنافس في تحصيله
والمغلاة له»^٥.

ووصلت إلينا مجموعة بخطه كتبها سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م، محفوظة الآن
في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Bsc. 1705 وتشتمل على تسعة كتب (رسائل)

^١ ياقوت: معجم الأديباء، ١٩: ١٩٤.

^٢ القفطي: إنباء الرواه، ٣: ٣٢٦.

^٣ ياقوت: معجم الأديباء، ١٩: ٢٠٥.

^٤ نفسه، ٨: ٧٧، وانظر كذلك، ١٢: ٩٦، ١٠٢، ١٧: ٢٠.

^٥ القفطي: إنباء الرواه، ٣: ٣٣٥.

هي: «أسماء خيل العرب وفرسانها» لابن الأعرابي، وكتاب «تَسَبُّ الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، وكتاب «الإبل» للأصمعي، وكتاب «الشاء» للأصمعي أيضاً، وكتاب «الأمثال» لأبي عكرمة الضبي وكتاب «ما يُذَكَّر وما يُؤْتَمَّن من الإنسان ومن اللباس» لأبي موسى الخامض، وكتاب «تَسَبُّ عدنان وقحطان» للميرد، وكتاب «الأمثال» لمؤرِّج السدوسي.

وكذلك نسخة من «تفسير غريب القرآن» لأبي بكر السجستاني كتبها أيضاً سنة ٤٩٩ هـ محفوظة في مكتبة شستريتي برقم ٣٠٠٩.

أبو المظفر نصر بن محمود بن المَعْرُف أحد تلاميذ موفق الدين بن العَيْن زُرِّي، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان يلمظفر حسن الخط جيد العبارة وكان مغرَى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها، وكتب بخطه من الكتب التي صُنِّت فيها أشياء كثيرة جداً وكذلك أيضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكومية... ورأيت خطه في آخر تفسير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس وهو يقول إنه قرأه على [موفق الدين بن العين زُرِّي] وأنقن قراءته وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسائة»^١.

موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم التلميذ، قال ابن أبي أصيبعة:

«أُوْحِدَ زمانه في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها... وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسويًا وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة»^٢.

ياقوت بن عبد الله الرومي الأصل نزيل الموصل الكاتب الأديب النحوي المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م عن سن عالية.

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ٢: ١٠٨.

^٢ نفسه: ١: ٢٥٩.

كان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه على طريقة ابن اليوَّاب. قال ياقوت الحموي: اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشر وستمائة فرأيت على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار وقد أسنَّ وبلغ من الكبر الغاية، ثم قال:

«رأيت كتباً كثيرة بخطه يتناولها الناس ويتغالون بأثمانها بينها عدة نسخ من «الصَّحاح» للجَوْهري و«المقامات الحريرية»^١.

وذكر ابن خلكان أنه كان مُعَرِّمًا يَنْقُلُ «الصَّحاح» للجَوْهري فكتب منه نُسخًا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد، قال:

«رأيت منه عدة نُسخ وكل نُسخة تباع بمائة دينار»^٢.

وسماه حاجي خليفة «كاتب نُسخ الصَّحاح»^٣

ويحتفظ متحف القرن الإسلامي بالقاهرة بمصحف بخطه.

مُهَذَّب الدين أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي المتوفى سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، قال ياقوت:

«أحد أدياء العصر وشعرائه المجيدين، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، وعنى بالتحصيل في المدرسة النظامية، [و] كان حسن الخط والخطبة»^٤.

أمين الدين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي النَّبَاسِي

أتقن الصناعة الطبية وتميز في العلوم الرياضية، وصل من المغرب إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة ثم توجه إلى دمشق.

«كتب بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيرها».

^١ ياقوت: معجم الأدياء ١٩ : ٣١٢ - ٣١٣.

^٢ ابن خلكان: وفيات ٦ : ١١٩.

^٣ حاجي خليفة: كشف القنون ٤ : ٩٧.

^٤ ياقوت: معجم الأدياء ١٩ : ٣١١.

ونقل ابن أبي أصيبعة من خطه بعض خبر أبي القنوح أحمد محمد بن الصلاح^١.

أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م قال ابن النديم:

«وإليه انتهت رئاسة أصحابه في زماننا . . . قال لي يوماً في الوراقين، وقد عاتبته على كثرة نسخته، فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري، قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى، ولعمري بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»^٢.

وأطلع ابن النديم على فهرست كتب أرسطوطاليس بخط يحيى بن عدي ونقل عنه بقوله:

«كلما قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه»^٣.

يحيى بن عيسى بن علي بن جزولة المتوفى سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان من المشهورين في علم الطب وعمله . . . وله أيضاً نظر في علم الأدب . وكان يكتب خطاً جيداً، وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله وتعرب عن معرفته، وكان نصرانياً ثم أسلم»^٤.

أبو محمد يحيى بن محمد الأزدي النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م. قال القفطي:

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢: ١٦٣ - ١٦٤.

^٢ ابن النديم: الفهرست، ١٣٢٢، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ١: ٢٣٥.

^٣ نفسه، ٣١٠ - ٣١٤.

^٤ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ١: ٢٥٥.

«كُتِبَ بخطه الكثير وصنّف، رأيت من تصنيفه بخطه مقدمة في النحو»^١.

وقال ياقوت:

«مليح الخط سريع الكتابة كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصيح» لتعلّب ويبيعه بنصف دينار ويشترى نبيذًا وحمًا وفاكهة ولا يبيت حتى يُتفق ما معه منه»^٢.

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب «إصلاح المنطق» وغيره المتوفى سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م.

وصل إلينا بخطه أقدم المخطوطات المؤرخة وهي نسخة من «تاريخ ملوك العرب» لعبد الملك بن قريب الأصمعي الذي نسخ ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس برقم 6726^٣.

يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى نحو سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، قال ابن التندم: «قرأت في جزء ترجمته ما هذه حكايته: كتاب في ملل الهند وأديانها. نسخت هذا الكتاب من كتاب كتب يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين، لا أدري الحكاية التي في هذا الكتاب لمن هي، إلا أنه رأيت بخط يعقوب بن إسحاق الكندي حرفًا حرفًا»^٤.

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن عُرَافَةَ النَجِيمِي اللغوي المتوفى سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م، قال القفطي:

«له خط ليس بالجميل في الصورة وهو في غاية الصحة. وللمصريين تنافس في خطه إذا وقع، ولقد رأيت بخطه نسخة من «ديوان جرير» وقد أبيعت بعشرة دنانير، ورأيت «طبقات الشعراء» لابن سلام الجُمَاحي وقد أبيعت بقرب من ذلك.

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤ - ٣٥.

^٢ ياقوت: معجم الأديب ٢٠: ٣٤ - ٣٥.

^٣ راجع مناقشة صحة نسبة هذه النسخة في مقال دي روش Déroche, Fr., «A propos du ms. Arabe 6726 de la Bibliothèque Nationale (Paris)», *REL* LVIII (1990).

^٤ ابن التندم: القهرست ٤٠٩.

وكنت أحضر حلق الكتب عند بيعها فإذا قال المنادي: كتاب كذا بخط النجيري رفعت نسوة الأعتاق. وأكثر ما تُروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية المعروفة وأيام العرب في مصر عن طريقه^١.

وكما أشار القدماء إلى الوراقين والتسّخين الذين اشتهروا بجودة الخط وخطبه، أشاروا كذلك إلى من اشتهر بسوء الخط وعدم جودته مثل:

أبو سهل أحمد بن عاصم الحلواني، قال ابن النديم:

«يقال إنه كان قريباً لأبي سعيد السكري وروى كتبه وأخذ عنه، وخطه في نهاية الفتح إلا أنه من العلماء»^٢.

ورأى ابن النديم بخطه شعر أبي نؤاس على معانيه وغريبه نحو ألف ورقة من عمل أبي سعيد السكري^٣.

وأبو الرجاء محمد بن حرب بن عبدالله الحلبي النحوي، يقول القفطي:

«رأيت بخطه أجزاء من كتاب 'الكشاف' للزمخشري في تفسير القرآن وفيها سقمٌ ظاهر»^٤.

ويقول أيضاً:

«رأيت بخطه أوراقاً ذكر فيها رحلته إلى العراق وما يجرى له في حالة الطلب من جزيات الأمور، وشاهدت في عبارته بخطه ما يدل على قلّة علمه بهذا الشأن، وقد كانت هذه الأوراق عند الإمام كمال الدين عمر بن أبي جراحة الحلبي وهو وقف عليه»^٥.

^١ القفطي: إنباه الرواه ٤: ٦٦ - ٦٧.

^٢ ابن النديم: الفهرست ٨٨.

^٣ نفسه ٨٦.

^٤ القفطي: إنباه الرواه ٤: ١٢١.

^٥ نفسه ٤: ١٢٠.

وشرف الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى المحدث القرشي
الدمشقي الكتبي الناسخ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ / ١٢٧٩م، قال الصفدي نقلاً عن
الذهبي:

«لم يكن عليه أنس المُحدِّثين وخطه كثير السَّقم مع حُسْنِه . . . (و) كان
مووراً كذاباً سَماعاً لنفسه وزوراً»^١.

النَّسَّاخُونَ الْمُحَدِّثُونَ

كانت مهنة النَّسْخ منتشرة في العالم العربي وأماكن أخرى إلى منتصف هذا
القرن، وكان قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية يمثلها بالعديد منهم. وتحتفظ
دار الكتب المصرية بعدد كبير من المخطوطات التي كَتَبَهَا هؤلاء النَّسَّاخُونَ نقلاً
عن أصول موجودة بالدار أو بالمكتبات الملحقة بها أو بالمكتبة الأزهرية يرجع
تاريخ آخرها إلى منتصف الخمسينيات من هذا القرن مذكورة كلها في الفهرست
الذي أعدّه والذي المرحوم فؤاد سيد^٢.

وأشهر هؤلاء النَّسَّاخِينَ هم: محمود حمدي النَّسَّاخ، و[محمد] محمود
عبد اللطيف فخر الدين النَّسَّاخ، ومحمود نصحي التابعي النَّسَّاخ، وحسين
فهمي النَّسَّاخ، وحسن أفندي رشيد النَّسَّاخ، والشيخ حسن زيدان، ومحمود
صدقي النَّسَّاخ، وجابر صبحي، ومحمد أمين بن عمر الأنصاري، ومحمد
قناوي النَّسَّاخ، ومحمد فهمي خضر، وعبد الحميد راشد علي، وإبراهيم العبَّاس
النَّسَّاخ، وإبراهيم بسيوني الطحلاوي، والشيخ مصطفى سيد شجر النَّسَّاخ.

^١ الصفدي: الوافي بالرفقات ٢ : ٢٣٦.

^٢ فؤاد سيد: فهرست المخطوطات - نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - ١ - ٣،
القاهرة - مطبعة دار الكتب ١٩٦١ - ١٩٦٣.

وقد أشار المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي في كتابه الممتع «مع المخطوطات العربية» إلى هؤلاء النساخين الذين كانوا يسترزقون من النسخة أثناء ترده على قسم المخطوطات بالدار في مطلع هذا القرن، يقول:

«وكان زوَّار هذه المكتبة كثيرين نسبياً بصورة دائمة . . . ويتشكَّل نصف هؤلاء الزوَّار من الطلبة الشبان والنصف الآخر من النساخ المحترفين للمخطوطات الذين كانوا يحتلون منضدتين . . . وقد ظهر لي بعد عدة أيام من عملي بالمكتبة أن وجودي كان يستدعي نوعاً من القلق بين النساخين والمخططين الجالسين على المنضدة إلا أنني لم أعر هذا اهتماماً. بيد أنني في المرة التالية رأيتهم عند دخولي يتهامون فيما بينهم ثم انفصل منهم أكبرهم سناً - حسب ما يبدو لي - واقترب مني قليلاً ثم استرسل في كلام كثير طويل وأخذ يوضح كيف أنهم أناس فقراء وأنهم يحصلون على قوت حياتهم من هذا العمل وحده، أما أنا فأجئني وأستطيع أن أجد لنفسي عملاً آخر وأنهم مستعدون أن يقدموا إليّ مكافأة إذا لم أتسبب في حرمانهم من لقمة العيش. وفي البداية لم أفهم حقيقة الأمر لكنني فسحت فيما بعد عندما علمت الحقيقة وأسرعت لتهدئتهم وأوضحت لهم أن عملي في المخطوطات عمل شخصي وليس الغرض منه كسب العيش أو منافستهم في أرزاقهم، ومنذ ذلك الوقت صارت بيننا علاقات حسنة. وقد كانت غالبيتهم أناس هادئين متواضعين وكبار في السن. وكانوا عادةً غير مثقفين ونادراً ما يفهمون ما ينسخون، لكن بعضهم كانوا من هواة هذا العمل ويبدو لي أنهم على دراية بالمخطوط والنسخ إلا أنه في ذلك الوقت لم يكن لفتهم ميدان كاف، ولعلمهم يتلون الجليل الأخير لهذه المهنة التي كانت في طريقها إلى الموت»^١.

^١ كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية - صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر، القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٦٩، ٣٤ - ٣٥.

ولا شك أنه مع بداية انتشار التصوير الضوئي «الفوتوستات» والتصوير الميكروفلمي قُضي نهائياً على هذه المهنة التي حفظت لنا تراثنا العربي المكتوب على امتداد أربعة عشر قرناً ، حيث سمح التصوير الضوئي بتداول صور النسخ الأصلية للمخطوطات العربية بخطوطها الأصلية وبما عليها من تقييدات . كما أن تطوّر طرق حفظ وتسجيل المخطوطات على الأقراص المليزية CD ROM يقدم لنا تطوراً جديداً لحفظ المخطوطات وتداول صورها ، كذلك فإن نظام طبع المخطوطات بطريقة الفاكسيلي يتيح لنا كذلك نشر المخطوطات القديمة وتداولها بحالتها الأصلية .

المكتبات الإسلامية وهواة الكتب

بدأت المؤلفات الضخمة في فنون العربية وعلومها المختلفة في الظهور منذ أواخر القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى ما نقله المترجمون والنقلة عن اليونانية والسريانية والسكندرانية في الشرق واللاتينية في الأندلس. وقد حفظ لنا الوراق العربي الشهير ابن التميمي أسماء وموضوعات هذا الإنتاج الفكري الغزير في كتابه «الفهرست» الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م. كذلك فقد أورد ابن خيّر الإشبيلي في «فهرسته» قائمة مفصلة بالكتب الشرقية من مختلف فروع المعرفة التي أدخلت إلى الأندلس وكذلك الكتب التي ألقت فيه.

وعرقت حواضر الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة وكذلك مدن أخرى شهيرة مثل: حلب والبصرة والموصل والقيروان خزانين الكتب التي كانت تحوي هذه المؤلفات التي تعد السجل الحافل لما أنتجه الفكر العربي الإسلامي على امتداد العصور.

بيت الحكمة

ومن أشهر خزائن الكتب التي كانت تُعد في ذلك الوقت مكتبات عامة تفتح أبوابها لجمهور العلماء والباحثين: «بيت الحكمة» في بغداد الذي بلغ أوج ازدهاره في زمن المأمون العباسي وجمع لخزانتها أهم الكتب الموجودة وأمر المترجمين والنقلة أن ينقلوا إلى العربية أهم المخطوطات اليونانية والسريانية. وقد

^١ انظر كتاب يوسف المش - publiques العربيات - publiques العربيات المش
Eche, Y., *Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen - Age*, Damas IFEAD 1967.

فَقَدَّتْ مكتبة بيت الحكمة دورها الأكاديمي بعد انتقال مقر الخلافة من بغداد إلى سامراء زمن المعتصم وأصبح يُطلق عليها «خزانة المأمون». وظلَّ العلماء يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث انعدم ذكرها عند المؤلفين المتأخرين، وأضيفت في أغلب الظن إلى أحد مكتبات الخلفاء أو تقاسمها سلاطين السلاجقة بعد ذلك وعُرِّقَتْ كتبها طريقها إلى مكتبات جديدة^١، فنحن نعلم أن بعض مقتنيات بيت الحكمة التي تحمل علامة المأمون العباسي أهديت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة في الوقت الذي كان يولف فيه كتابه «عيون الأنباء»^٢.

دار العلم

وأعقب مرحلة بيت الحكمة ظهور «دار العلم» وهي مؤسسة ذات طبيعة شبه رسمية استعادت التقاليد الهلنستية في الاهتمام بالعلوم الطبيعية، كانت مهمتها نشر الدعاية السرية للشيعة والإسماعيليين بوجه خاص. وقد وُجِدَتْ دور للعلم في كل من الموصل والبصرة ورامهرمز، وإن كانت أشهر هذه الدور هي «دار العلم» الفاطمية التي أنشئت في القاهرة في زمن الحاكم بأمر الله في عام ٣٩٥ / ١٠٠٥م^٣. يقول الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيبي في تاريخه الكبير:

«وفي يوم السبت هذا، يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فُتِحَتْ الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة. وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة. ودخل الناس إليها وتَسَخَّرَ كل من الشمس نَسَخَ شيء مما فيها ما الشمس، وكذلك من رأى قراءة

^١ Ebe, Y., *op. cit.*, pp. 27 - 60

^٢ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ١٨٧ (طبعة مولر ١٨٨٤).

^٣ Ebe, Y., *op. cit.*, pp. 67 - 159 ؛ ابن فؤاد سيد : المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة - تاريخ المصريين ١٩٩٢، ١٠٤ - ١٠٩.

شيء مما فيها . وجلس فيها القراء والمُتَنَجِّمُونَ وأصحاب النحو واللغة والأطباء ، بعد أن فُرِشَتْ هذه الدار وَزُخِرَتْ وَعُلِّقَتْ على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم قُورَامٌ وَخُدَامٌ وَقَرَّاشُونَ وغيرهم رُؤَسَاؤُا بِخِدْمَتِهَا . وَحَصَلَ في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم يُرَ مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم من يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يسمع بمثلهما من إجراء الرزق السنِّي لمن رُؤِسَ له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره ، وحضرتها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للتَسْنِخِ ، ومنهم من يحضر للتَعَلُّمِ . وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابير ، وهي الدار المعروفة بمختار الصَّفْقِي^١ .

و«دار العلم» التي أسَّسَهَا بِالْمَوْصِلِ أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ الْمَوْصِلِيِّ الشَّافِعِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٣هـ / ٩٣٥ م ، قال ياقوت الحموي نقلاً عن أبي علي بن أبي الزَّمَرَامِ :

«وكانت له يبلده دار علم قد جَمَلَ فيها خزائنة كتب من جميع العلوم وَرَقًا على كل طالب للعلم ، لا يُمَنَعُ أَحَدٌ من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب وإذا كان مُعَسَّرًا أعطاه ورقًا وورقًا ، تُفْتَحُ في كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس فَيُتَمَلِّي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنَّعاته مثل الباهر وغيره من مصنَّعاته الحسان ، ثم يُتَمَلِّي من حفظه من الحكايات المستطابة ، وشيئًا من النوادر المولَّفة وطَرَقًا من الفقه وما يتعلَّق به»^٢ .

^١ السبكي : تصريح ضائعة من أخبار مصر ١٢٢ ، القريري : مسودة المواقف والاعتبار ٣٠٠ - ٣٠١ ، الخطط ١ : ٤٨٥ - ٤٨٦ ، العناظ الحفا ٣ : ٥٦ .

^٢ ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ١٩٣ ، الصَّفْقِي : الرازي ١١ : ١٣٨ .

كما عمل القاضي ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومسكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق، ولم يكن يسمح بإعارة الكتب خارج الخزانة^١.

وأنشأ أبو علي بن سوار - أحد رجال حاشية عضد الدولة البويهبي المتوفى سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م - دار كتب في مدينة رامهرمز على شاطئ بحر فارس، كما بنى داراً أخرى بالبصرة، يقول المقدسي:

«والداران جميعاً اتخذهما ابن سوار وفيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتباً، وفي هذه أهدأ شيخ يدرّس عليه الكلام على مذهب المعتزلة»^٢.

وأنشأ الوزير أبو نصر سابور بن أردشير بن فيروز به المتوفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م أيضاً دار علم بالكرخ، يقول الصفدي:

«وكان قد ابتاع في سنة إحدى وثلاث مائة داراً بين السورين وسماها «دار العلم» وحمل إليها من الدفاتر ما اشتمل على سائر العلوم والآداب ووقف عليها دار العزك ورثب فيها قواماً وخزناً. ورد مراعاتها إلى أبي الحسين ابن الشيبه وأبي عبدالله البلخاني العلويين، ولم يتعرض إليهما أحد بعد تغيير أمره إلى أن ولي الوزارة بنو عبدالرحيم، فأخذوا من أحاسنها شيئاً كثيراً. وذكر أنه كان فيها عشرة آلاف مجلدة من أصناف العلوم، وكان فيها مائة مصحف بخطوط بني مقله، ولما وقع بالكرخ بعد هروب أهله في الجفلة مع الساسيري وقدم طغرل بك إلى بغداد احترقت دار العلم سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، وجاء الكنتري فأخذ خيار كتبها ونهب البعض الآخر الباقي، وهذه هي التي أشار إليها أبو العلاء المعري في قصيدته اللامية، فقال:

وغثت لنا في دار سابور قبة من الورق مطراب الأصائل ميهال^٣.

^١ آدم منز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ١٨٤.

^٢ المقدسي: أحسن التقاسيم، ٤١٣.

^٣ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٥ : ٧٣.

كما كانت «دار العلم» بطرابلس من أغنى دور العلم بالكتب النفيسة التي تفرقت ونُهبت في وقت خروج الفرنج إلى الشرق الإسلامي، فروى ابن القرات في حوادث سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م نقلا عن الشيخ يحيى بن أبي طيِّ حميد النجار الغساني الحلبي ما صيغته :

«كان في طرابلس دار للعلم ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسنا وجوده، وقال حدثني أبي قال : حدثني شيخ من أهل طرابلس قال : كنت مع فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس وهو في شتّى وقد وصله أخذ طرابلس فأعني عليه وأفاق ودموه مستغيضة وقال : والله ما أسقي على شيء كأسفي على دار العلم فإن فيها ثلاثة آلاف ألف كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال : إن بها خمسون ألف مصحفاً وأن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عزّ وجل . قال أبي وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا وكان بنو عمّار قد عنوا بها العناية العظيمة، كان فيها مائة وثمانون ناسخاً تنسخ بالجرابة والجامكية ومنهم ثلاثون نفساً لا يفارقونها ليلا ولا نهاراً، وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة، وكانت طرابلس في أيام بني عمّار قد صارت جميعها دار علم وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار ونفقت على بني عمّار سائر العلوم وقصدهم الناس بها لا سيما علم الإمامية فإنهم أحيوه وأحبوا أهله قال : ولما دخل الفرنج إلى طرابلس واقتسحوها أحرقوا دار العلم، وكان السبب في إحراقهم لها أن بعض القسسوس - لعنهم الله تعالى - لما رأى تلك الكتب هالته واتفق أنه وقع في خزنة المصاحف الكرام فمدّ يده إلى مجلد فإذا هو مصحف ثم إلى آخر فراه كذلك ثم إلى آخر فوجده مصحفاً حتى اعتبر عشرين مجلداً، فقال كل ما في هذه كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها وتخطفت الفرنج - لعن الله من مضى منهم ونزل من بقي منهم - أشياء من الكتب وهي التي خرجت إلى بلاد المسلمين، وهدموا ما فيها من المساجد وتحوّلوا على قتل جميع من فيها من المسلمين»^١.

^١ ابن القرات : تاريخ الدول والملوك (مخ . قينا رقم ١٨١٤) : ٣٨٨-٣٨٨ ط.

المكتبات وخزائن الكتب

تعتبر «خزانة كتب القصر الفاطمي بالقاهرة» التي كانت تحتوي على أكثر من ستمائة ألف مجلد أشهر المكتبات في العصر الإسلامي، ويقول عنها المؤرخ الشيعي يحيى بن أبي طي أنها

«من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر»^١.

ويُحدِّثنا المؤرخ المُسيحي في حوادث سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م عن بعض ما كانت تُزخَّر به هذه الخزانة يقول:

«وذكر عند العزيز بالله «كتاب العين» للخليل بن أحمد، فأمر خزانة دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفاً وثلاثين نسخة من «كتاب العين» منها نسخة بخط الخليل بن أحمد. وحكّم إليه رجل نسخة من كتاب «تاريخ الطبري» اشترأها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزانة فأخرجوا من الخزانة ما يتف عن عشرين نسخة من «تاريخ الطبري» منها نسخة بخطه. وذكر عنده كتاب «الجمهرة» لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها»^٢.

وكان صاحب خزانة كتب العزيز بمصر والمتولى لعرضها هو أبو عبدالله محمد بن إسحاق الشَّابُثِيُّ صاحب كتاب «الديارات» المتوفى سنة: ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م^٣.

ويذكر صاحب «الذخائر والتحف» أن

«عدة الخزانة التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها

^١ القرظي: المخطوط ١: ٤٠٩.

^٢ المسيحي: تصورش خزانة من أخبار مصر ١٧: القرظي: المخطوط ١: ٤٠٨ ومسودة المواظ والاعتبار ١٤٠-١٤١.

^٣ بالقوت: معجم الأدياء ١٨: ١٦٦: الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ١٩٤، ٢٢: ١٧٤.

من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في رُبعمات بخطوط متنوية زائدة الحسن محلاة بلذهب وفضة وغيرهما، وأن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم لم يبق في خزائن القصر البيروانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها. ووجدت صناديق مملوءة أفلاماً مبرية من براية ابن مقلّة وابن البواب وغيرهما^١.

ويضيف صاحب كتاب «الذخائر والتحفة» كذلك أنه كان بمصر في العشر الأول من المحرم سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م، قال:

«فرايت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرةً كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الحلبيين، وأن حصص الوزير أبي الفرج قومت عليه بخمسة آلاف دينار وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار نُهيئت بأجمعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة^٢.

ويقدم لنا ابن الطوير وصفاً مشيراً للإعجاب لتنظيم هذه الخزانة يقول:

«وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم أي على أحد مجالس المارستان العتيق والرفوف مقلّعة بحواجز وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائة ألف كتاب من للمجلدات وسير من المجرّدات؛ فمنها في الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث النبوي والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخة والعشرة، ومنها التواضع التي

^١ الرشيد بن الوزير: الذخائر والتحفة ٢٦٢، القرظي: المخطوط ١: ٤٠٨ ومسوة المرامض والاعتبار ١٤٠ واماظ الخطا ٢: ٢٩٤.

^٢ القرظي: المخطوط ١: ٤٠٨-٤٠٩ واماظ الخطا ٢: ٢٩٤-٢٩٥.

ما تُسَمَّت، كل ذلك لترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزنة وما فيها .
والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها فوقها، ومنها من الدرّج بخط ابن مقلّة
ومن يليه ومن يمثله كابن البوّاب وغيره، وهي التي تولّى بيعها ابن صوّرة في
أيام الملك الناصر صلاح الدين^١.

وقد ظلّت هذه الخزنة موجودة حتى استيلاء صلاح الدين على مقاليد
السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١٠٧٢م، فأمر ببيعها وتخصّص لذلك يومين في
الأسبوع واستمر ذلك لمدة عشر سنوات وتولى بيعها ابن صوّرة دلال الكتب .

وقد وصلت إلينا بعض كتب هذه الخزنة وعليها ما يفيد وثّقها على خزنة
كتب الفاطميين منها كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري في دار
الكتب المصرية برقم ٣٤٢ لغة و«حذف من نسب قرّيش» لمؤرّج السدوسي
بزاوية تامكروود بالمغرب والجزء الأول من كتاب «الحماسة» اختيار أبي تمام حبيب
ابن أوس الطائي وتفسير أحمد بن فارس في لاله لي باستانبول برقم ١٧١٦ ،
وكل هذه النسخ كتبت برسم الخزنة السلطانية المولوية الملكية الظاهرية نسبة إلى
الخليفة الظاهر بالله الفاطمي المتوفى سنة ٥٤٩هـ .

ويذكر ابن أبي طي الذي أورد خبر بيع خزنة كتب الفاطميين في زمن
صلاح الدين الأيوبي

«أنها كانت تحتوي على ألف وستمئة ألف كتاب وكان فيها من
المخطوط المنسوبة شيء كثير»^٢.

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين في أخبار الدولتين ١٢٦ - ١٢٨ ، القرظي : مسودة المراءض والاعتبار ١٢٨ -
١٣٩ والمخطوط ١ : ٤٠٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ١ : ٤٦٧ .
^٢ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ١ : ٥٠٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧ : ٦٨٨ ، القرظي :
مسودة المراءض والاعتبار ١٣٩ - ١٤٠ والمخطوط ١ : ٤٠٩ .

ورغم ما يبدو على هذا الرقم من مبالغة إلا أنه يدل على عظم حجم هذه المكتبة وما احتوت عليه من المجلدات، خاصة وأن معاصراً لصالح الدين هو العماد الكاتب الأصفهاني يذكر أن خزانة الفاطميين كانت مشتملة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة فيها من المخطوط المنسوبة ما اختلطت الأيدي وأنه نقل منها ثمانية أحمال إلى الشام^١. ولكن المقرئ يعلّق على ما أورده ابن أبي طيّ بأنه ليس يبيد حيث ذكر غير واحد من المؤرخين أن القاضي الفاضل أوقف في مدرسته التي يدرب ملوخيها مائة ألف مجلدة أخذها من جملة خزانة الكتب التي كانت بالقصر^٢.

ويصف ابن أبي طيّ الطريقة التي حصل بها القاضي الفاضل على هذه الكتب بقوله:

«وحصل للقاضي الفاضل قدرٌ منها كبير حيث شغفَ بحبها وذلك أنه دخل إليها واعتبرها، فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماء في بركة كانت هناك، فلما قرع الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخرومات ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حصل ما حصل من الكتب، كذا أخبرني جماعة من المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى ابن محمد^٣».

فقد كان للقاضي الفاضل هوى في تحصيل الكتب، كما يقول الصّدي، وكان عنده زهاء مائتي ألف كتاب من كل كتاب نسخ^٤. وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نسخ لا يفترون ومجلدون لا يسأمون حتى بلغ

^١ أبو شامة: الروضتين ١: ٥٠٨.

^٢ المقرئ: مسودة المواقف والاعتبار ١٤٠ والخطوط ١: ٤٠٩.

^٣ أبو شامة: الروضتين ١: ٥٠٧؛ الصّدي: الوافي ١٧: ٦٨٨.

^٤ الصّدي: الوافي ١٨: ٣٣٦.

عدد كتبه قبل وفاته بعشرين سنة مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب^١. وكان
لخزانة كتب المدرسة الفاضلية فهرس^٢ لكتبتها وآه القفطي وأطلع عليه^٣.

وقد ذهبت مكتبة القاضي الفاضل الموجودة في مدرسته وتفرقت في نهاية
القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يقول المقرئ في سبب ذهابها:

«وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة
أربع وتسعين وستمائة - والسلطان يومئذ الملك العادل كتبًا المنصوري - منهم
الضَّرَّ فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من
الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت. وبها الآن مصحف
قرآن كبير القدر جدًا مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس
مصحف عثمان بن عفان، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين
ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو
في خزانة مفردة بجانب المحراب من غريبه وعليه مهابة وجلالة»^٣.

كذلك فقد كان للمكتبة التي كوَّنها الخلفاء الأمويون في قرطبة بالأندلس
شهرة كبيرة. وقد شرع في تكوين هذه المكتبة الخليفة الحكم الثاني المستنصر
واستعان في ذلك بوكلاء ودلائن انتشروا في العالم الإسلامي يجمعون له
الكتب، حتى بلغ ما احتوت عليه هذه الخزانة أكثر من أربعمئة ألف مجلد.
وكان الفهرس المشتمل على عناوين كتبها وأسماء مؤلفيها مكوَّنًا من أربع
وأربعين كُرَّاسة كل كُرَّاسة منها تشتمل على خمسين ورقة.

يقول ابن خلدون والمقرئ في وصف الحكم المستنصر ومكتبته:

«كان محبًا للعلوم، مكرِّمًا لأهلها، جَسَّامًا للكتب في أنواعها بما لم
يجمعه أحد من الملوك قبله، قال أبو محمد بن حزم: أخبرني تليد الخصي -
وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان - أن عدد القهارس التي فيها

^١ ابن العماد: شذرات الذهب ٤ : ٣٢٥.

^٢ القفطي: إنباء الرواء ٣ : ١٨٧.

^٣ المقرئ: الخطط ٢ : ٣٦٦.

تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جُمِّيت إليها بضائعه من كل قطر. ووفد على أبيه أبو علي القالي صاحب كتاب «الأمالي» من بغداد فأكرم مشواه، وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشراؤها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يمهده، وبعث في كتاب «الأغاني» إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة من قبل أن يخرجها إلى العراق، وكذلك فعل مع أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبدالحكم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الخلفاء في صناعة التسخين والمهارة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يُذكر عن الناصر العباسي ابن المستضيء. ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب وأضح من موالي المنصور بن أبي عامر، ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إيها عنوة^١.

كما يقول المراكشي عنه أيضاً:

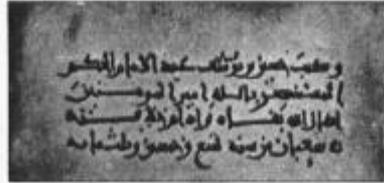
«جَمَعَ بقصره الخلفاء في صناعة التسخين والمهارة في الضبط والمجيد في التجليد. . . . واجتمعت له بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ومن بعده، ولما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته، ويأني من بعد ذلك بفرائب لا تكاد توجد إلا عنده»^٢.

^١ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٠٠٠، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤: ١١٦، القرني: فتح الطيب ١: ٣٨٥-٣٨٦ والتزميت بنص القرني. وراجع: - «The Library of al-» Wasserstein, D., Hakam II al-Mustansir and the Culture of Islamic Spain», *MME* V (1990- 1991), pp. 99-105.

^٢ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٦٣، ٦٢.

ومن بين كتب هذه الخزانة تحتفظ خزانة القرويين بقامس بنسخة من «المختصر في الفقه» لأبي مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارس الزُّهري كتبه حسين ابن يوسف للحكم المستنصر سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م، وهو محفوظ بها برقم ٨٧٤ وجاء في آخره:

«وكتب حسين بن يوسف عبدالإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام خلقاته في شعبان من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة»^١.



عائقة نسخة «المختصر في الفقه» المكتوبة بخزانة الحكم المستنصر

وقد ضاع كل أثر لهذه المكتبة الضخمة بعد سقوط غرناطة، خاصة بعد أن أمر الكاردينال سيزينيروس بإحراق كل الكتب المكتوبة باللغة العربية في الميدان العام بقرناطة^٢.

وكانت خزائن الكتب في مَشْرِقِ العالم الإسلامي كذلك غنية بالكتب والناوادر. وقد زار ياقوت الحَمَوِي مدينة مَرُوء في مطلع القرن السابع الهجري

^١ Lévi-Provençal, E., « Un manuscrit de la bibliothèque du calife al-Hakam II », *Hesperis*

et XVIII (1934), pp. 198-200

^٢ خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية (ترجمة جمال محرز)، مجلة معهد الخطوط العربية ٤ (١٩٥٨)، ص ٨٨.

وأقام بها ثلاثة أحوام (٦١٣-٦١٦هـ) ووصف ما بها من خزائن الكتب، يقول:

«ولولا ما عاين من ورود النثر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات
لما في أهلها من الرُفد ولين الجانب وحسُن العشرة وكثرة كُتُب الأصول المتفتة
بها. فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقوف لم أر في الدنيا مثلها كثرة
وجودة، منها خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها العزيزة وقفها رجل يقال
له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر وكان قُضَاعيًا للسلطان
سنجر وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مَرُو ثم صار شرايبًا له
وكان ذا مكانة منه، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلدًا أو ما يقاربها.

والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري إلى من تنسب وبها خزنة شرف الملك
المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته، ومات المستوفي هذا في
سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب. وخزينة نظام الملك الحسن بن إسحاق في
مدرسته، وخزانتان للسعانيين، وخزينة أخرى في المدرسة العبيدية، وخزينة
لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الحياتونية في مدرستها،
والضميرية في خاتكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا
مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكانت أربع فيها واقتبس من
قوائدها وأتساني حبيها كل بلد وألهاقي عن الأهل والولد. وأكثر فوائد هذا
الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن»^١.

وأضاف ياقوت الحموي في «معجم الأدياء» أنه شاهد بمدينة مَرُو نسخة من
«تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السَّعَاني، وكتب منها نسخة وأحضرها
في صحبته من خراسان^٢، وذكر القفطي أن هذه النسخة دُهب خبرها في وقعة
التر سنة سبع عشرة وستمائة^٣. كما ذكر ياقوت أن أبا الفتح محمد بن سعد بن
محمد بن محمد الديباجي المَرَوَزي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م

^١ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٥٠٩-٥١٠.

^٢ ياقوت: معجم الأدياء ١: ٢٢٦.

^٣ القفطي: إنباء الرواء ١: ٢٢٦.

«كان ينظر في خزنة الكتب التي بالجامع الأكبر بمرو»^١، وأنه رأى في وقف هذا الجامع فهرس كتب أبي الريحان البيروني في نحو الستين ورقة بخط مكنتز^٢. كما أنه عندما ورد إلى مرو نظر في كتاب «المذيل» للسمعاني وقد ألحق فيه السمعاني بخطه في تضاعيف السطور بخط دقيق:

«قرأت بخط والدي - رحمه الله - سألت المبارك ابن الفاضل عن مولده فقال: ولدت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة»^٣.

كذلك فقد وقع له بمرو كتاب «تمام الفصح» لأحمد بن فارس بخطه وقد كتب في آخره:

«وكتب أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالحمدية»^٤.

وقد نقل ياقوت نسخة عنه في سنة ٦١٦ هـ وصنعت إلينا وهي محفوظة الآن في مكتبة شستر بيتي بدبلن برقم 3999 ونشرها آربري Arbery بالتصوير في لندن سنة ١٩٥١.

مكتبات المدارس

ومع ظهور السلاجقة وانتشار المدارس كمؤسسة سنّية تعمل على تدريس الفقه على المذاهب الأربعة ومحاربة الفكر الشيعي، وكذلك دور الحديث التي تخصصت في تدريس الحديث النبوي، حلت مكتبات المدارس في الشرق محل مكتبات قصور الخلفاء ودور العلم والحكمة. وأهم هذه المدارس سلسلة المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك وكذلك المدرسة

^١ السيوطي: بغية الرعاة ٤٥.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٧: ١٨٥، السيوطي: بغية الرعاة ٢١.

^٣ نفسه ١٧: ٥٤-٥٥، ١٦٣، ٢٦٩.

^٤ نفسه ٤: ٨٢، معجم البلدان ٤: ٤٣٠-٤٣١. وقد استدل ياقوت من هذه النسخة على تأخر وفاة ابن فارس على هذه السنة.

المستنصرية في بغداد، أما أول دار حديث فهي دار الحديث التورية التي أنشأها في دمشق السلطان نور الدين محمود سنة ٥٥٧هـ / ١٠٦٢م^١.

ويصف ابن الفوطي خزانة الكتب التي كانت بالمدرسة المستنصرية التي شرع في بنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م وافتتحت عام ٦٣١هـ / ١٢٣٤م قائلاً:

«ونقل في هذا اليوم (الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣١) إلى المدرسة من الرِّبعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حَمَلَهُ مائة وستون حَمَلًا^٢ وجعلت في خزانة الكتب، وتقدّم إلى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحرم بالحضور بالمدرسة وإثبات الكتب واعتبارها، وإلى ولده المدّك ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضًا، فحضر واعتبرها ورثتها أحسن ترتيب مُقَصِّلاً لفتونها لِيَسْهُل تناولها ولا يتعب تناولها»^٣.

أما عبدالرحمن الأريبي فيصف الخليفة المستنصر بالله واهتمامه بالكتب بقوله:

«إته لم يزل من أول أمره ومبدأ عمره متشاعلاً بالعلوم الدينية والأدبية عما كُتِبَ على نُقْل الكتب حريصاً على ذلك مواظباً عليه، حَسَنَ الخط صحيح الضبط. ومن محبته للعلوم أنشأ خزانة كتب بشريف حضرته ومقدس سترته جَمَعَ فيها من أنواع العلوم على اختلافها وتباينها واتلافها بالأصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حدَّ الكثرة»^٤.

^١ راجع Pedersem, I., and Makdisi, G., *Et al. Madrasa*, V, p. 1120, Makdisi G., *The Rise of Colleges - Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981.

^٢ في خلاصة الذهب المسبوك ٢٨٨: مائتين وتسعين حملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك.

^٣ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٥٤.

^٤ الأريبي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ٢٨٦.

وكان من بين كتب هذه الخزانة نسخة من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي في أربعة عشر مجلداً بخطه، ونسخة موقوفة من «مسند» الإمام أحمد بن حنبل تقع في تسعة عشر مجلداً، ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»^١.
ووضَّح هجوم المغول على بغداد وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م نهاية للعديد من خزائن الكتب ببغداد وضاع معها علم كثير، يقول ابن خلدون في وصف واقعة التتر:

«... واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغ الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب المعلم التي كانت بخزانتهم جميعاً في دجلة»^٢.

وباستيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر عرفت المدارس طريقها إليها وحلّت محل خزانة كتب الفاطميين ودار العلم الفاطمية وكذلك الجامع الأزهر الذي لم تعد إليه صفته التعليمية إلا في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م في زمن الظاهر بيبرس، يقول القلقشندي وهو يكتب في مطلع القرن التاسع الهجري:
«أما الآن فقد قُلت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاءً بخزائن كتب المدارس التي ابتناها من حيث أنها بذلك أمس»^٣.

وهكذا ظلت المدارس في مصر وأروقة الأزهر بعد إعادة افتتاحه تحتفظ بهذه الكتب وتضيف إليها ما أنتجه العلماء المسلمون من مؤلفات^٤. كما كانت هناك خزانة للكتب بقلعة الجبل - مقر حكام مصر منذ الدولة الأيوبية - ولكن حريقاً وقع بها في سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م أُنلف شيئاً كثيراً منها، يقول المقرئ:
«وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة قُلت بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئاً كثيراً جداً كان

^١ حاجي خليفة: كشف الظنون ٢: ١١٩، ٥: ٥٣٤.

^٢ ابن خلدون: المعر ٣: ١٥٣٧، القلقشندي: صبح ١: ٤٦٦ والنظر السيوطي: الزهر ١: ٩٧.

^٣ القلقشندي: صبح الأمش ١: ٤٦٧.

^٤ ابن فؤاد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ١٢٠ - ١٢٥.

من ذخائر الملوك، فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقاً محترقةً طَقَّرَ الناسُ منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الأثمان»^١.

وكان في أغلب مدارس القاهرة في العصر المملوكي خزائن للكتب مثل: المدرسة الصاحبية والمدرسة الظاهرية ببيبرس والمدرسة الناصرية محمد بن قلاوون والمدرسة الحجازية والمدرسة الطيرسية والمدرسة المنكوتمرية ومدرسة آل ملك الجوكندار والمدرسة السابقية والمدرسة البشيرية والمدرسة المحمودية ومدرسة ألباي اليوسفي ومدرسة خَوَّند بَرَكَة^٢.

أما أهم خزائن كتب المدارس فكانت خزانة كتب القبة المنصورية، وهي أحد ثلاث عمائر متجاورة أنشأها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م (مدرسة وقبة ومارستان) وقد وصَّفَ النويري هذه الخزانة بقوله:

«ويخزانة كتبها من الخُتَمَاتِ الشريفة والرُّبَعَاتِ المنسوبة الحُطَّ وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء شيء كثير»

وأضاف أنه رُتِّبَ لخازن كتبها في كل شهر أربعون درهماً^٣.

أما المقرئ الذي كَتَبَ بعد النويري بأكثر من قرن فيذكر أن:

«بهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم مما وقَّعه الملك المنصور وغيره. وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرَّق في أيدي الناس»^٤.

^١ القريري: الخطط ٢: ٢١٢-٣١، وانظر ابن القرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١١٣٥ المعني: عقد الجمان ٣: ١١٠.

^٢ القريري: الخطط ٢: ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٩، وانظر كذلك عبداللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية، بحث في كتاب دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ٨٦-١.

^٣ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٣١: ١١١.

^٤ القريري: الخطط ٢: ٣٨٠.

ومن بين كتب هذه الخزانة وصل إلينا الجزء الأول من كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها» للوزير الحسين بن علي بن الحسين المغربي الكاتب المتوفى سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م، وهو محفوظ اليوم في المكتبة العامة بمدينة بورصة التركية. وجاء على ظهر صفحة العنوان:

«هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المحزونة في خزانة القبة المنصورية بمصر المحروسة للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه، ورحم الله تعالى امرأً يوصّل هذا الكتاب لقره بعد اندراجي إلى رحمة الله تعالى وأنا المحتاج إليه ويسى عفا الله تعالى عنه».

وقطعة من كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار محفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول برقم ١١٤١ كتب في أعلى صفحتها الأولى فوق عنوان الكتاب ما نصه:

«وَقَفَّ لَهِ سَبْحَانَهُ

وَمَقَرَهُ بِالْقَبَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ»

وخزانة كتب مدرسة الأمير جمال الدين الأستاذار برّحية باب العيد التي بدئ في بنائها يوم السبت خامس جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م، يقول المقرئ:

«كان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التي كانت بالصورة تجاه الطبلخانة من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكّنت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكّنت ومن المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة، فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجي بن الأشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك وتقلّها إلى داره وكان مما فيها:

«عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها

بخطوط منسوبة ولها جلود في غاية الحسن معمولة في أكياس الحرير الأطلس، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوَقْف ذلك ومقرّه في مدرسته^١.

ولما قبضَ السلطان الناصر فرج بن برقوق علي جمال الدين الأستاذار وقتله خَنَقًا في سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، محى من هذه المدرسة اسمه ورُكبه وكتب اسمه هو بدائر صحتها وعلى قناديلها وبسطها وسقفها، ثم نظر في كتبها العلمية الموقوفة بها فأقرّ منها جملةً يظاهر كل سفر منها فصلٌ يتضمن وَقْف السلطان له، وحَمَلَ كثيراً من كتبها إلى قلعة الجبل، وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجمالية^٢.

ولم يقتصر إنشاء خزائن الكتب على المدارس المملوكية وحدها بل عرفتها الجامعات والخوانق والرُيُط والزوايا، فعندما أنشأ الأمير عز الدين أيدمر الخطيري جامع ببولاق سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م «جَعَلَ فيه خزانة كتب جلييلة نفيسة . . . ووَقَف عليه عدة أوقاف جلييلة»^٣، كما كانت هناك خزانة كتب في كل من الخانقاه البكتيرية ورباط الآثار الواقع خارج مصر على النيل^٤.

وإذا كان المقريري لا يذكر لنا شيئاً عن بعض المدارس التي تعلم أنها كانت تحتوي على خزائن كتب نفيسة، فإن حُجُج الأوقاف التي وصَلت إلينا والخاصة ببعض المدارس المملوكية تشير إلى وجود خزائن هامة بهذه المدارس مثل: المدرسة الصرغتمشية بجوار الجامع الطولوتي ومدرسة السلطان الناصر حسن

^١ المقريري: الخطوط ٢: ٤٠١.

^٢ نقبه: ٢: ٢٠٤.

^٣ نقبه: ٢: ٣١٢.

^٤ نقبه: ٢: ٤٢٤، ٤٢٩.

بخط سوق الخيل بالقلعة^١، والمدرسة المؤيدية بجوار باب زُوَيْلَةَ التي تُحَدِّدُ لنا حُجَّةَ وَقْفِ المؤيد شيخ موقع مكتبتها وتصفه بأنه:

«دهليز به شبابيك نحاس يدخل منه إلى قاعة يرسم الكتب تشتمل على إيوان ودور قاعة مفروشة بالبلاط الكدان بها شبابيك نحاس»^٢.

ويضيف المقرئ في وصف المكتبة نفسها قائلاً:

«ثم نزل السلطان في عشرين للمحرم [سنة ٨٢٠هـ] إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التي عملت هناك وقد حَمَلَ إليها كتباً كثيرة في أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقَدَّمْ له ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار، فأقر ذلك بالخزانة وأتَمَّ على ابن البارزي بأن يكون خطيباً وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته»^٣.

وأيضاً المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان بُرْسَبَاي بالخريين بالقاهرة (٨٢٧هـ / ١٤٢٤م)، ومدرسة الأشرف قايتباي بالصحراء الشرقية (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م)، وأخيراً مدرسة الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري بخط الجرايشيين بالقاهرة (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م)^٤.

كذلك فقد أوقف كبار الأمراء في عصر قايتباي وقانصوه الغوري على مدارسهم مكتبات هامة مثل قجْمان الإسحاق أمير آخور كبير، والأتابكي أزيك من طَطُخ، ويَتَشَبَّك من مَهْدَى الدوادار الكبير، والسِّيْفِي قاني باي قرأ الرَّمَاح أمير آخور كبير، والأمير خاير بك بن مال باي، والسِّيْفِي بيبرس بن عبدالله الخَطَّاط^٥.

١ عبداللطيف إبراهيم: المكتبة المنورية ٢٢ - ٢٣.

٢ نفسه ٢٩.

٣ المقرئ: المخطوط ٢: ٣٢٩.

٤ عبداللطيف إبراهيم: المكتبة المنورية ٣٠ - ٣٥.

٥ نفسه ٢٢ - ٢٣، ٣٦.

ومن حسن الحظ فقد وصّلت إلينا العديد من المصاحف المملوكية التي أوقفها سلاطين المماليك على مدارسهم والتي نقل أغلبها إلى دار الكتب المصرية، وكذلك الكتب التي كتبت برسم خزائنهم أو التي أوقفوها عليها^١. وقد شرطوا جميعاً أن لا يُخرج خازن الكتب شيئاً من الكتب والمصاحف من هذه المدارس برهن ولا بعارية ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه.

وكانت خزانة الكتب في المدرسة المملوكية تحتل مركزاً رئيسياً كجزء لا يتجزأ من المدرسة فهي ليست قائمة بذاتها في مبنى مستقل أو ملحق بالمدرسة، بل توجد ضمن عمارة المدرسة نفسها في مكان متوسط ومناسب من البناء كله بين الإيوانات الأربعة التي كانت بها مساكن الطلبة ليسهل الوصول إليها وليكون موقعها وظيفياً، وغالباً ما تكون خزانة الكتب في إيوان القبلة بالذات وذلك حتى تكون كتبها في متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين في مختلف الإيوانات في المدرسة المملوكية ذات التصميم المتعامد *Cruciform*، فكانت دائماً قريبة من مساكن الطلبة بها وفي مكان مرتفع عن أرضية الشارع وبعيدة في الوقت نفسه عن دورات المياه والرطوبة، لذلك كان إيوان القبلة الذي به المحراب هو أنسب مكان لها^٢.

وقد حرص واقفو خزائن الكتب في المدارس والمساجد الجامعة على أن يضمنوا لها من الشروط والأحكام ما يضمن ذخايرها من الضياع، وضمنوا وقفياتهم أو تحبيساتهم شروطاً دقيقة كان من أهمها حظر إخراج الكتب منها.

^١ راجع: Moritz, B., *Arabic Palaeography*, Cairo - Wien 1905; James, D., *The Qur'ān of the Mamluks*, London 1977.

^٢ عبد اللطيف إبراهيم: الكتبة المملوكية ٤٠ - ٤٢.

ولم تقف عنايتهم عند هذه الشروط بل وضعوا للمتفتحين بها والمترددین علیها حدوداً وأدباً يلتزمونها فی استعارة الكتب والاطلاع علیها والاستنساخ منها وإعادتها، وغیر ذلك من الأمور التي تعتبر نموذجاً رفیعاً لما يُعرف الآن به الخدمة المكتبيّة^١.

ومن حسن الحظ فقد وصل إلینا نصٌ بالغ الأهمية عن مكتبة فی القاهرة مخصصة للاطلاع ولاتتبع إعارة الكتب خارجها، كتبه المحافظ جلال الدین السیوطی سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م خاص بـ «المدرسة المحمودیة» التي كانت تقع فی حُطّ الموازین بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة خارج باب زُوَيْلَة، ومكانها اليوم الجامع المعروف بجامع الكردي الواقع فی آخر شارع قصبَة رضوان من أول الحَیْبَة من جهة باب زُوَيْلَة^٢.

يقول المقریزی فی وصف هذه المكتبة :

«ولا يُعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون فی المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر»^٣.

وقد أنشأ هذه المدرسة عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م الأمير جمال الدین محمود بن علی الأستاذار . وكانت كتبها كثيرة جداً، كما يقول ابن حجر، وتعد من أنفس الكتب الموجودة فی وقته بالقاهرة وهي من جمیع القاضی برهان الدین أبی إسحاق إبراهيم بن عبدالرحیم بن محمد بن جماعة الكتاني الحموي المقدسي المتوفى سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م فی طول عمره، واشتراها محمود الأستاذار من تركته بعد موته ووقفها وشرط أن لا يخرج منها شيء من مدرسته^٤.

^١ فؤاد سید : «نصان قديمان فی إعارة الكتب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨)، ص ١٢٥ .

^٢ نشره فؤاد سید فی المقال السابق .

^٣ المقریزی : الحُطّ ٢ : ٣٩٥ .

^٤ ابن حجر : إنباء القمَر ٣ : ٢٩٩ و ٣٥٦، فؤاد سید : المرجع السابق ١٢٨ .

يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة القاضي ابن جماعة:

«تخلف من الكتب النفيسة ما يعجز اجتماع مثله لأنه كان مغرمًا بها، فكان يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسَن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخط المصنفين ما لا يُعبر عنه كثرةً، ثم صار أكثرها إلى جمال الدين محمود الأستادار فوقها بمدرسته بالموازين وانتفع بها الطلبة إلى هذا الوقت»^١.

وقد جاء نص وقفية جمال الدين الأستادار على جميع كتب المكتبة على المثال التالي:

«الحمد لله حقَّ حمده

وقَفَ وَحَيَّسَ وَسَبَّلَ الْمُقَرَّبَ الْأَشْرَفَ الْعَالِي الْجَمَالِي مُحَمَّدَ أَسْتَادَارَ الْعَالِيَةِ الْمَلِكِي الظَاهِرِي أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ جَمِيعَ هَذَا الْمَجْلَدِ وَمَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَجْلَدَاتِ مِنْ كِتَابِ سِيرِ النَّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ وَعِدَّةٌ ذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ مَجْلَدًا مُتَوَالِيَةً أَوَّلُهَا الثَّلَاثُ وَأَخْرَجَهَا الرَّابِعَ عَشَرَ وَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مَفْقُودَانِ وَقَفًّا شَرْعِيًّا عَلَى طَلِبَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ وَيَحْتَكِلَ بِمَقَرِّ ذَلِكَ بِالْحِزَانَةِ السَّعِيدَةِ الْمُرَصَّدَةِ لِذَلِكَ بِمَدْرَسَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِخَطِّ الْمَوَازِينِ بِالشَّارِعِ الْأَعْظَمِ بِالْقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ، وَشَرَطَ الْوَاقِفُ الْمَشَارِقَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ ذَلِكَ وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِرَبْحٍ وَلَا بَغْيٍ. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَرَأَى أَمَّهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنْ اللَّهُ سَمِعَ عَلَيْهِمْ. بِتَارِيخِ الْخَمَاسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ».

ويذكر شمس الدين السخاوي في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» عند الكلام على وظائف شيخه ابن حجر

أنه كان بيده خزائن الكتب بالمدرسة المحمودية بعد أن عزل عنها خازنها القمّرخ عثمان المعروف بالطاغي في سنة ست وعشرين وثمانمائة لكونها نقصت

^١ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣٥٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ٣١٢.

بتفريظه المُشتر، وهو أربعمائة مجلدة، لأن كتبها كانت أربعة آلاف مجلدة. ولفاسه كتبها رغب شيخنا [يعني ابن حجر] في مباشرتها بنفسه، وعمل لها فهرساً على الحروف في أسماء التصانيف ونحوها وأخر على الفنون، وقد انتفع بذلك وتقع الله به فإنه كان يقيم بها في الأسبوع غالباً يوماً، وفي مدة الأسبوع يكتب في قائمة ما يحتاج لمراجعته منها بسببه في تصانيفه وغيرها ليتذكره في يوم حلوله بها كما شاهدته، وتيسر على يده عود أشياء مما كان ضاع قبله، واستمرت بيده حتى مات^١ (توفي ابن حجر سنة ٨٥٢هـ).

ورغم أن ابن حجر يذكر أن مجموع كتب هذه الخزانة كان نحو أربعة آلاف مجلدة فلم يتبق منها في نهاية القرن الماضي، عندما جمعت الكتب الموجودة في المدارس والمساجد لثقت إلى المكتبة الخديوية، سوى ثمانية وخمسين كتاباً فقط^٢.

ومن بين المخطوطات التي كانت بهذه المكتبة نسخة كاملة في ستة مجلدات من كتاب «تجارب الأمم وعواقب الهيم» لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ. كتبت سنة ٥٥٢هـ عليها توقيف من المقر الأشرف العالي الجمالي محمود أستاذار العالية على طلبة العلم بمدرسته بخط الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة مؤرخ سنة ٧٩٧هـ. وقد استقرت هذه المخطوطة اليوم بمكتبة آيا صوفيا باستامبول تحت رقم ٣١١٦ - ٣١٢١، ونشرها كابتاني Caetani مصورة مع مقدمة وملخص بالإنجليزية في سلسلة جب التذكارية بين سنتي ١٩٠٩ - ١٩١٧.

ومن بين كتب هذه المكتبة كذلك التي انتقلت إلى تركيا نسخة من «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري محفوظة في مكتبة كوبريلي برقم ١٣٣٣ - ١٣٣٤، ونسخة من «معجم البلدان» لياقوت الحموي أيضاً في مكتبة كوبريلي برقم ١١٦١ - ١١٦٥، ونسخة من «تاريخ الإسلام» للذهبي يخطه كتبها سنة ٧٢٦هـ وعليها قراءة بخط الصقدي مؤرخة سنة ٧٣٥هـ محفوظة في مكتبة آيا

^١ ابن حجر: إنباء القمري ٣: ٢٩٩ و ١٣٥٦، فواد سيد: المرجع السابق ١٢٨.

^٢ فواد سيد: المرجع السابق ١٢٣.

صوقيا باستانبول برقم ٢٠٠٥ - ٣٠١٤، ونسخة ناقصة من «سير أعلام النبلاء» للذهبي أيضاً كتبت سنة ٧٣٩هـ عن نسخة المؤلف في حياته محفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٢٩١٠، ونسخة من كتاب «المعرفة والتاريخ» لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي محفوظة في مكتبة روان كشك في تركيا تحت رقم ١٤٤٥، ونسخة من «ديوان البُحْثري» كتبت في تبريز سنة ٤٢٤هـ / ١٠٣٣م بخط علي بن عبيد الله الشيرازي محفوظة في مكتبة كويريلي تحت رقم ١٢٥٢.

وقد ظَلَّتْ مكتبات المدارس في مصر تشتهر بنفاسة كتبها وقيمتها حتى الفتح العثماني لمصر، يقول ابن إياس الحنفي عند وصفه حوادث الفتح في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م:

«ثم إن الوزراء استخرجوا لأخذ الكتب النفيسة التي في المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرفيتية، وغير ذلك من المدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها، ولم يعرفوا الحرام من الحلال في ذلك»^١.

وقد أدى سقوط الدولة المملوكية واستيلاء العثمانيين على السُلْطَة إلى حدوث تغيّر جيوبولتيكي بالغ الأهمية أدى إلى نقل محور الارتكاز وزعامة الدولة الإسلامية من القاهرة إلى استانبول، وإلى تحويل المذهب الفقهي الرسمي للدولة نهائياً إلى المذهب الحنفي.

وهكذا أخرج العثمانيون من مصر ومن سائر البلاد العربية التي فتحوها ثروة ضخمة من المصاحف والمخطوطات النادرة حملوها معهم إلى تركيا، كانت نواة للمجموعة الضخمة من المخطوطات العربية التي تحتفظ بها الآن مكتبات تركيا والتي تزيد على ثلاثمائة ألف مخطوط^٢. وأخرجوا كذلك باعتبارهم ورثة

^١ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥: ١٧٩.

^٢ راجع، نعمت بيرقدار ومهين لورغال: بيبوغرافيا مكتبات المخطوطات في تركيا وانتشارات الصادرة حول المخطوطات المحفوظة فيها، استانبول - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ١٩٩٦.

الدول الإسلامية السابقة العديد من المَحَلِّقات النّبوية والممتلكات الثقافية التي يَزخرُ بها الآن متحف طوب قيو سراي باستانبول .

وطوال العصر العثماني ونتيجة لتقهقر موقع مصر من دولة مستقلة إلى مجرد ولاية في الإمبراطورية العثمانية وكذلك سائر الدول العربية، ونتيجة لتردد العديد من الرحالة والمغامرين وعن طريق قناصل الدول، خرجت منها بطرق غير شرعية أقرب إلى السرقة والنهب الكثير من المخطوطات والممتلكات الثقافية التي استقرت في مكتبات ومتاحف أوروبا. ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر لتستولي كذلك على العديد من المخطوطات النادرة التي عرفت طريقها إلى المكتبة الأهلية في باريس .

ومع ذلك فلم تُعَدِّم مصر في العصر العثماني من وجود العديد من المخطوطات والكتب الهامة التي ظلَّت محفوظة في المدارس والجوامع والزوايا وأروقة الأزهر وعند الأفراد والعلماء على امتداد القطر المصري . ومن بين هذه المكتبات نشير إلى واحدة من أشهر مكتبات المساجد العثمانية في مصر إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي هي مكتبة الأمير محمد بك أبي الذهب التي وقَّعها على طلبه العلم بجامعه المعروف في ميدان الأزهر بالقاهرة . وقد وَصَلَتْ إلينا حُجَّةٌ وقَّفت هذه المكتبة وهي محفوظة في الأرشيف التاريخي بوزارة الأوقاف بالقاهرة تحت رقم ٩٠٠ ومؤرخة في ٨ شوال سنة ١١٨٨ هـ وهو أيضاً تاريخ الانتهاء من عمارة جامعهم بميدان الأزهر . وتوقَّر على دراستها ونشرها عالم الوثائق المعروف الدكتور عبداللطيف إبراهيم^١ .

وقد اعتنى محمد بك أبو الذهب بتكوين مكتبته فضَمَّ إليها الكتب التي أخذها من الشيخ أحمد بن محمد بن شاهين الراشدي الشافعي الأزهري الذي اشتهر بأنه كانت لديه مجموعة طبية وكبيرة من الكتب الصحيحة المُخدومة وعلى الأخص كتب الحديث ، يقول على مبارك :

^١ عبد اللطيف إبراهيم : «مكتبة عثمانية - دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» البحث الخامس في كتابه دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ، ١ - ٣٥ .

«وقد جَمَلَ في خزانة كتبه نحو مئمة وخمسين كتاباً منها جملة واقرة من كتب التفسير ككتاب الفخر الرازي والكشاف والذُرر المنثور والبحر والبيضاوي والجلالين وحواشيه وأبي السعود وغير ذلك.

وجملة من كتب الحديث كالسُنن الستة وشروحها والشفاء والجمع بين الصحيحين والمواهب اللدنية وغير ذلك.

وجملة من كتب القراءات، وجملة من كتب التصوف وفقه المذاهب الأربعة، وكتب النحو والمعاني والبيان والصرْف واللغة والنطق والتوحيد والفرائض والتواريخ، وغير ذلك»^١.

ويُبلِّغ من اهتمام الأمير محمد بك أبي الذهب بتزويد مكتبته بالمؤلفات القيمة أنه اشترى من السيد محمد بن محمد المعروف بمُرْتَضَى الرِّيْدي شرحه للقاموس المسمى «تاج العروس» بمبلغ مائة ألف درهم فضة ووَضَعَهُ في مكتبته لتنفرد بذلك دون غيرها^٢.

وكانت المكتبة تقع بجوار قبر الأمير محمد بك أبي الذهب وقبر ابنته عديلة هانم زوجة إبراهيم بيك الألفي^٣، يقول الأثري الراحل حسن عبدالوهاب في وصف الجامع:

«وفي الطرف الشرقي البحري للرواق الخارجي سياج كبير من النحاس المَصْرُوع بأشكال جميلة توجد خلفه تربة المنش... مجاورها حجرة المكتبة وعليها سياج نحاسي، وما زالت محتفظة بأرففها المحلاة بنقوش مذهبة يفصلها عن المدفن سياج نحاسي به باب، وهذا القسم كان كله مُتَّصِماً للمكتبة»^٤.

^١ علي مبارك: المخطوطات الترفيحية الجديدة ٥: ١٠٨ (٢٤٦).

^٢ الجبوتي: عجائب الآثار ١: ٤٠٩ و ٢: ١٩٦ - ١٩٩ عبدالمطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٠.

^٣ علي مبارك: المخطوطات الترفيحية الجديدة ٥: ١٠٤ (٢٣٨).

^٤ حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٣٥٥.

ويكفّ رصيده المكتبة في القرن الثالث عشر الهجري ١٢٩٦ مجلداً عدا المصاحف المذهبة القيمة^١.

وقد جاء في حُجَّة وَكْف الأمير محمد بك أبي الذهب فيما يخص المكتبة:

«إن مولانا الأمير محمد بيك الواقف المشار إليه أعلاه وكفّ أيضاً وحسب وسبيل وتصدق لله سبحانه وتعالى بجميع الكتب الشريفة الجليلة المعتبرة التي حوت القرآن وأنواع الفنون من تفسير وحديث وفقه وشروح ومتون وغير ذلك مما يأتي ببيانته فيه المشتملة بدلالة دفتر المكتبة في شأن ذلك على...»^٢.

واشترطت الحُجَّة كذلك

«أنه إذا ضاع شيء من الكتب الموقوفة المذكورة فيكون على كل من يكون خازناً بالكتب المذكورة القيام بنظيره من ماله وليس على جهة الوكف المذكور القيام بشيء من ذلك»^٣.

وقد وصل إلينا من الكتب التي أوقفها محمد بيك أبي الذهب نسخة من كتاب «الأمالي النحوية» لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦ نحو، ومصحف مغربي محفوظ أيضاً بدار الكتب تحت رقم ٢٥ مصاحف، وفي كل صفحة منها ختم الأمير ونص يوقفه صيغته:

«وقف المرحوم محمد بيك بجامعه».

^١ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٣٥٢.

^٢ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٨- ١٩، ١٩.

^٣ نفسه ١٢، ٣٥.

هَوَاةُ الكُتُبِ والمكتبات الخاصة

من المؤسف أن المؤرخين العرب والمسلمين لم يُفردوا مؤلفات خاصة بتاريخ المكتبات العربية وكل ما ذكروه جاء عَرَضًا في كتب التاريخ والتراجم التي أشارت إلى العديد من المكتبات الخاصة التي جمعتها العلماء وهواة الكتب سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي أو التي وقفوها على طلبية العلم، فقد كان لكل عالم أو مؤلف مكتبة لاستخدامه الشخصي تتفاوت قيمة كتبها تبعاً لأهمية العالم وقيمه العلمية. فمن ذلك ما ذكره ابن التديم عن محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، قال:

«قرأت بخط عتيق قال: خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قَمَطَرٍ كَتَبًا كل قَمَطَرٍ منها حمل رجلين. وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار، وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار»^١.

و عن مكتبة أبي الحسين عبدالعزيز بن إبراهيم بن حاجب النعمان التي «لم تشاهد خزائنه للكتب أحسن من خزائنه لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عيّن ودبوان قرء بخطوط العلماء المنسوبة»^٢.

وما ذكره كذلك عن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي بَعْرَةَ والذي كان بمدينة الحديثة بالعراق يقول عنه:

«كان جماعاً للكتب له خزائنه لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب الغربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي، وكان نفوراً ضئيلاً بما عنده وخائفاً من بني حمدان، فأخرج إلي قَمَطَرًا كبيراً فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس

^١ ابن التديم: الفهرست ١١١.

^٢ نفسه ١٤٩.

مصري وورق صيني وورق تهاشي وجلود آدم وورق خراساني، فيها تعليقات لغة عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم. وذكر أن رجلاً من أهل الكوفة، ذهب عنه اسمه، كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصّته بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضل من محمد بن الحسين عليه ومجانسة بالمذهب فإنه كان شيعياً، فرأيتها وقلّبتها فرأيت عجباً إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها وأحرفها، وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توضيح بخطوط العلماء واحد إثر واحد يذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع توقيع آخر، خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها مصححاً بخط خالد بن أبي الهيثج صاحب علي رضي الله عنه، ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حسن رحمه الله، ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين. ورأيت عدة أمانات وعهود بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل: أبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه والفرّاء والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث مثل: شُهبان بن عُبيّبة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم، ورأيت ما يدلّ على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها:

هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحت هذا خط النضر بن شُبَيْل.

ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه^١.

وأيضاً ما ذكره عن أبي العباس جعفر بن محمد المروزي من أنه:

^١ ابن النديم: الفهرست ٤٦؛ القطبي: إتياء الرواد ١: ٧-٩.

«أحد جَمَاهِي ومؤلفي الكتب في أنواع من العلم وكتبه كثيرة جداً . وهو أول من ألف كتاباً في المسالك والممالك ولم يتم . ومات بالأمواز وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحزاني سنة أربع وسبعين ومئتين»^١ .

وعن أبي محمد الفتح بن خاقان المتوفى سنة ٢٤٧هـ / ٢٦٦م من أنه :

«كانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرةً وحسناً»^٢

وكان لعلي بن المنجم هذا بكَرُكْر من نواحي القفص كما يقول ياقوت :

«قصرٌ جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبدولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى . فقدم أبو سَعْدِ المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم ، فَوَصَّلت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها ، فأقام بها وأحسب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى أُلْهِد»^٣ .

ويُحَدِّثنا الجاحظ كذلك أن يحيى بن خالد البرمكي كانت له خزانة كتب فيها من كل كتاب ثلاث نسخ^٤ ، وأن إسحاق بن سليمان الهاشمي - والي الرشيد على البصرة - كان له بيت كتب فيه «الأسقاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر»^٥ .

وذكر القفطي عن أبي القاسم سهيل بن محمد السجستاني الجشمي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م أنه :

«كان جماعة للكتب وكان يتجر فيها»^٦ .

^١ ابن النديم : الفهرست ١٦٧ ياقوت : معجم الأدياء ٧ : ١٥ .

^٢ نقله ١٣٠ نفسه ١٦ : ١٧٤ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء ١٥ : ١٥٧ .

^٤ الجاحظ : الخيران ١ : ٦٠ .

^٥ نقله ١ : ٦٦ .

^٦ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٥٩ .

وأضاف :

«والتقى أن ابن الليث الصَّفَّار صاحب سجستان ملك بعد موت أبي حاتم شيراز والأهواز، وخاف منه أهل البصرة أن يستولى على بلدهم . وسمع ابن الصَّفَّار بموت أبي حاتم واشتاق نفسه إلى كتبه فسَيَّر من ابتاعها من ورثته ووقف أهل البصرة عن الزيادة فيها خشية من ابن الصَّفَّار ومصانعة له، فابتيعت بقيمة أربعة عشر ألف دينار ونقلت إلى يعقوب لم يترك منها شيء»^١.

وذكر كذلك عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هانئ النيسابوري أنه :

«كان جماعة للكتب كثير الحفظ لها إلى أن صارت جملة عظيمة وأبيعت بأربعمائة ألف درهم . وكان قد أعد في حياته داراً لكل من يقدم من المستفيدين فيأمر بإنزاله فيها ويزيح عنه في النسخ والورق ويوسع الثقة عليه»^٢.

ويذكر الخطيب البغدادي والصفدي أن الحافظ أبا الحسن محمد بن العباس ابن أحمد بن محمد بن الفرات البغدادي المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م :

«كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد في زمانه وكان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ وخلق ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً غير ما سرق له وأكثر ذلك بخطه، وكانت له جارية تعارض معه ما يكتبه وكان مأموراً ثقة . . . وكتابه هو الحجة في صحة النقل وجودة القبط»^٣.

كما أن أبا الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م .

^١ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٦٤ .

^٢ نفسه ٢ : ١٢٧ ، الصفدي : الرافعي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

^٣ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣ : ١٢٣ ، الصفدي : الرافعي ٣ : ١٩٦ .

«كان يشتري من الوراقين الكتب التي لم يكن سمعها ويسمع فيها نفسه... واحترقت كتبه دَقَمَات وروى شيئاً كثيراً»^١.

كذلك فإن أبا بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس الصولي الشَّطْرَجِي المتوفى سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م

«كان له بيتٌ عظيمٌ مملوء كتباً، وكان يقول: كل هذه الكتب سماعي»^٢.

وكان من جملة ما اعتلوه به الوزير صاحب إسماعيل بن عبيد المتوفى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م إلى الملك نوح بن منصور الساماني صاحب خراسان عندما أرسل إليه سرا يستدعيه إلى حضرته ويرغبه في خدمته، أن عنده «من كتب العلم خاصة ما يُحتمل على أربعمئة جمل أو أكثر»^٣.

وقد أنشأ نوح بن منصور الساماني نفسه مكتبةً كبيرةً في بخارى استفاد منها الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الذي قال في وصفها:

«فسأته يوماً دخولي دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب، فأذن لي، فدخلت داراً ذات بيوت في كل بيت صناديق كتب منضّدة بعضها على البعض؛ في بيت العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكل بيت كتب علم مفرد. فطلعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه، ورأيت هناك من الكتب ما لم يقع إليّ اسمه، قرأت تلك الكتب وطلعت بفوائدها»^٤.

كذلك أنشأ عضد الدولة بن بويه بمدينة شيراز داراً زارها الجغرافي الشهير المقدسي البشاري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وقال: «لم أر في شرق ولا غرب مثلاً» جعل بها خزانة كتب ضخمة وصفاً بقوله:

^١ ابن الجوزي: المتكلم ٦ : ٣٧٠.

^٢ نفسه ٦ : ٣٥٩.

^٣ باقوت : معجم الأديباء ٦ : ٢٥٩، السيوطي : الزهر ١ : ٩٧.

^٤ الصفي : الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٤. وذكر حاجي خليفة أن هذه المكتبة كانت بأصبهان وتُعرف بـ «سوران الحكمة»، وأن الشيخ الرئيس أخذ الحكمة من كتب هذه المكتبة التي وجد فيها كتاب «التعليم الثاني» للقرابي ولقَّص منه كتاب «الشفاء»، ثم أن هذه الخزانة أصابها آفة فأحترقت كتبها وأنهم ابن سينا بأنه أخذ منها مصنفاته ثم أحرقها حتى لا يُطلع عليها أحد (كشف الظنون ٣ : ٩٩).

«وخزانة الكتب حجيرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صُنّف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحصله فيها. وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزان من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق. عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضّدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجيه»^١.

ونحن نعرف أن أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء أبا حَيَّان الشوحدي المتوفى سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م قد أحرق كتبه لقلّة جدواها له وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته^٢، وأضاف السيوطي قائلاً:

«لعل الشّخّ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخرّجت عنه قبل حرقها»^٣.

وربما كان اشتغاله بالشّخ وتأليفه كتبه وتقديمها إلى بعض رؤساء عصره أملاً في مجازاته عليها سبباً في بقاء العديد منها ونجاته من الحرق.

وعندما أقدم أبو حَيَّان على ذلك كتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يَعدُّله على صنيعه ويُعرفه قُبْح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه أبو حَيَّان معتذراً عن ذلك بكتاب مؤرخ في شهر رمضان سنة أربعمئة / مايو ١٠١٠ م يذكر فيه كيف سبقه إلى هذا الفعل علماء كبار، وبذلك ضاع عنّا علم كثير وقد دنا بإحراقها العديد من المخطوطات النادرة، يقول في الرسالة:

«ويُعدُّ فلي في إحراق هذه الكتب أسوءَ بأئمة يُقَدِّدى بهم، ويُؤخَذُ بهديهم، ويحشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر».

^١ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٤٤٩.

^٢ باقوت: معجم الأدباء ٦٥ : ١٦٦ السيوطي: بغية الرعاة ٣٤٩.

^٣ السيوطي: بغية الرعاة ٣٤٩.

وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زهدًا وفقها وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال بناجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناءٌ وذهولٌ ونبلاءٌ وعُمولٌ.

وهذا يوسف بن أسباط، حَمَلَ كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسدَّ بابَه، فلما عُوتِبَ على ذلك قال: دَلْنَا العلم في الأول ثم كساد يُضِلُّنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.

وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في ثَنُورٍ وسَجَّرَها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.

وهذا سفيان الثوري: سَرَّقَ ألف جزءٍ وطَبَّرَها في الريح وقال: ليت يدي قُطعت من ها هنا بل من ها هنا ولم أكتب حرفًا.

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء، قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طَمَمَةً للنار. ومَاذَا أقول وسامعي يصدق أن زمانًا أخرج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمع له العين حزناً وأسى، وَيَقْطَعُ عليه القلب غيظًا وجوىً وضناً وشجىً، وما يصتَعُّ بما كان وحَدَّثَ وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شاف كاف، وإن احتجت إليه للناس ففي المصدر منه ما يملأ الفرطاس بعد الفرطاس، إني أن تفي الأنفاس بعد الأنفاس^١.

وكانت بطراييل الشام في القرن الرابع الهجري خزائن كتب وقفها ذوو اليسار من أهلها تَرَدَّدَ عليها أبو العلاء المَعَرِّي وأخذ منها ما أخذ من العلم^٢، حتى أنه عندما زار ببغداد خزائنة الكتب التي بيد عبد السلام البصري وعَرَضَ عليه أسماءها لم يستغرب منها شيئاً لم يره بخزائن الكتب بطراييل سوى «ديوان تيم اللات» فاستعاره منه وخَرَّجَ من بغداد وقد سها عن إعادته، ولم يذكره حتى صار بالمعرة، فأعاده إليه وفي صحبته قصيدة ثانية يعتذر بها عن ذلك^٣.

^١ ياقوت: معجم الأدياب، ١٥ : ١٥ - ١٧.

^٢ القطبي: إنباء الرواه، ١ : ٥٠.

^٣ القطبي: إنباء الرواه، ٢ : ١٢٧؛ الصفدي: الرائي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ - ٥٢٦.

وهذه الخزانة غير دار العلم المعروفة بطرابلس والتي أنشأت سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م بعد وفاة أبي العلاء المَعْرِي بأربع وعشرين سنة .

أما محمد بن يحيى الغافقي المعروف بـ «ابن المَوْصُول» المتوفى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م فيذكر ابن الأبار أنه :

«كان أديباً كاتباً جَماعاً لدقاتر العلم من لدن صباه منتقياً لكرامتها بصيراً
بخيائها عارفاً بخطوطها يُحْكَم إليه في ذلك ، مؤثراً لها على كل لذة ، حتى
اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة» .

وكان عنده «إصلاح المنطق» بخط أبي علي القالي ، و«الغريب المُصَنَّف»
أصل أبي علي ، و«نوادير» ابن الأعرابي بخط أبي موسى الخامض و«تاريخ» أبي
جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي^١ .

كما جمع الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم
الفقهي المتوفى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م مكتبة ضخمة قُصِدَ بها من الآفاق وعاونه
ياقوت الحموي في جَمْع جزء كبير منها ويقول عنها :

«لم أر مع اشتغالي علي الكتب وبقي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه
بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان
مقيماً بحلب»^٢ .

وأضاف الصَّفدي أنه :

«أوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين ألف دينار ،
وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب»^٣ .

ومن بين خزائنه مجموعة من كتب التراث اليمنى كانت ضمن تركة والده
الذي توفي في ذي جبلة باليمن سنة ٦٢٤هـ وأرسلت إلى القاهرة .

ويقول ياقوت الحموي عن عضد الدين أبي الفوارس مُرْهَف بن أسامة بن
مُرشد بن علي بن مَقْلَد بن نُصْر بن مُنْقذ المتوفى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م :

^١ ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، القاهرة ١٩٥٥ ، ١٢٢ .

^٢ ياقوت : معجم الأديباء ١٥ : ١٨٨ .

^٣ الصَّفدي : الرائي ٢٢ : ٣٣٨ .

«فارقت في جمادى الأولى سنة اثني عشرة وستمائة بالقاهرة يحيا ولقيته بها وهو شيخ ظريف واسع الخلق شائع الكرم جماعاً للكتب وحضرت داره واشترى مني كتباً . وحدثني أن عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره إلا أنه ذكر أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكية لحفته فلم يؤثر فيها . وسألته عن مولده فقال ولدت سنة عشرين وخمسمائة»^١.

وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من كتاب «البياب الآداب» له بخطه تحت رقم ٨٣٩ أدب .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن أبا المظفر نصر بن محمود بن المَعْرَف

«كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه وكان في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ . ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتَبَ على ظهره مَلْحَمًا ونوادير مما يتعلَّق بالعلم الذي صنَّف ذلك الكتاب فيه . ورأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تماثيل مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب»^٢.

وكان الأمير أبو الوفاء المَيْسَر بن فاتك المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م أحد أدياء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها ، من أكبر هواة جمع الكتب في مصر الفاطمية عاصر خلافتي الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله الفاطميين بمصر ، قال ياقوت :

«ملك من الكتب ما لا يُحصى عدده كثرة»^٣.

وقال ابن أبي أصيبعة :

^١ ياقوت : معجم الأدياء ٥ : ٢٤٣ ، وانظر كذلك التقري : التكملة لوفيات النقلة ٢ : ٣٦١ .

^٢ ابن أبي أصيبعة : حيون الأدياء ٢ : ١٠٨ .

^٣ ياقوت الحموي : معجم الأدياء ١٧ : ٧٧ .

«كان المُنشَر بن فائق قد اقتنى كتباً كثيرة جداً، كثيرٌ منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له يفرق أصابه . وحدثني الشيخ سعيد الدين المطفي بمصر قال : كان الأمير ابن فائق محبباً لتحصيل العلوم وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده ؛ وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة ، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجوار معها إلى خزائن كتبه ، وفي قلبها من الكتب وأنه كان يشغل بها عنها ، فجعلت تنديه وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كسيرة في وسط الدار هي وجوارها . ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها ، فهذا سبب أن كتب المُنشَر بن فائق يوجد كثيرٌ منها وهو بهذه الحال»^١.

وكان الإمام الأديب شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل العسقلاني المصري المتوفى سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م جماعةً للكتب ، قال الصّفي :

«تخلّف على ما أخبرني به شهاب الدين البوتيجي الكتبي بالقاهرة ثمانية عشر خزنة كتباً نفائس أدبية . وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب ، وبعيت تباع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وأخبرني البوتيجي أنه كان إذا لمس الكتاب وجسّه قال : هذا الكتاب الفلاني وهو لي ملكته في الوقت الفلاني . وكان إذا أراد أي مجلد كان ، قام إلى خزنة وتناول منها كأنه الآن وضعه هناك بيده»^٢.

كذلك فإن تاج الدين أبا سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون المتوفى سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م كان من الأدباء والعلماء الذين شاهدتهم ياقوت الحموي وصحبهم وخدمت صحبته لهم ، قال عنه :

«كان من المحبين للكتب واقتناها والمبايعين في تحصيلها وشراؤها ، وحصل له من أصولها المتفتنة وأمهاتها المُمَيَّنة ما لم يُحصَل أحدٌ للكثير ، ثم تقاعد به الدُخْر وبطل عن العمل ، فرأيتُه يخرجها ويبيعها وعيناه تترقان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبابه الأوتاء . فقلت له : هَوِّن عليك -

^١ ابن أبي أصيبعة : عيون الأبياء ٢ : ٩٩ .

^٢ الصّفي : الوافي بالوفيات ١٦ : ٧٨ .

أدام الله أيامك - فإن الدُّعْر ذو دُوك، وقد يُنمف الزمان ويساعد وترجع دولة العزّ وتُعاود، فستخلف ما هو أحسن منها وأجود. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وحب أن المال يتيسر والأجل يتأخر - وهيئات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق الذي ليس بعده تلاق، وأشد بلسان الحال:

هب الدُّعْر أرضساني وأعسب صسرُقه
وأعسب بالأسسنى وقك من الأسر
قسن لي بأيام الشيباب التي مسفت
ومن لي بما قد سر في البؤس من عمري
ثم أدركت منته ولم يزل أمنيته . . .

وأضاف يا قوت:

«وكان مع اغتباطه بالكتب ومناقشته ومناقشته فيها جواراً بإعارتها، ولقد قال لي يوماً - وقد عجبت من مسارعه إلى إعارتها للطلبة: ما بخلت بإعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهناً، ولا أعلم أنه مع ذلك فقد كتاباً في عارية قط. فقلت: الأعمال بالنيات وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك. وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار السروية، وقابلها وصححها وسمعها على المشايخ»^١.



وإذا عبرنا الفترة الأيوبية والمملوكية في مصر^٢ التي أشرت إليها فيما سبق والتي اشتهرت بكثرة مكتبات المدارس التي أنشأها السلاطين والأمراء ووقفوها على طلبه العلم بها سنجد من أهم المكتبات وأغناها في مصر في القرن الحادي

^١ يا قوت: معجم الأدياب: ٩: ١٨٥ - ١٨٨.

^٢ وعن مكتبات الشام راجع مقال محمد كرد علي: «مصائب الكتب والمكتبات في الشام»، مجلة القنطف (١٩٢٩) ٣٨٥ - ٣٨٨ و«الكتب والمكتبات في الشام - أقدم الخزانة والنفس الكتب»، مجلة القنطف ٧٤ (١٩٢٩) ٥٠٥ - ٥١١.

عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مكتبة العالم اللغوي عبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م صاحب كتاب «خزانة الأدب» ولبّ لباب لسان العرب» الذي يُعدّ أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة، كما يقول المحيبي^١.

وكان البغدادي قد رحّل إلى مصر سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وهو في العشرين من عمره حيث اتّصل بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م صاحب كتاب «ريحانة الألباء» وكانت له مكتبة كبيرة كان لها فضلٌ عظيم على البغدادي في أثناء حياة الشهاب بمقتضى ملازمته له، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م لأن البغدادي تملّك أكثر كتبه، يقول المحيبي:

«ولما مات الشهاب تملّك أكثر كتبه، وجَمَعَ كتبًا كثيرة غيرها. وأخبرني عنه بعض من لقيه أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة»^٢.

وقد ذكر البغدادي في مقدمة كتابه في نحو عشر صفحات «المواد التي اعتمد عليها وانتقى منها مادة كتابه»^٣. وكان منها ما يرجع إلى علم النحو وإلى شروح الشواهد وإلى دقاتر أشعار العرب والمجاميع وفن الأدب وكتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وطبقات الشعراء وكتب اللغة وأغلاط اللغويين وكتب الأمثال وكتب الأماكن والبلدان، ودائمًا ما يذكر أن هذا الكتاب أو ذلك في خزانة كتبه أو أنه اطّلع عليه.

لذلك فإن ثبت مكتبة البغدادي.. كما يقول الأستاذ عبدالسلام هارون.. مما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والدهشة لما حواه من نواذر التصنيف وعجائب التأليف، وقد حصر هذه الكتب فوجدها نحوًا من ٩٤٥ عنوانًا، ثم قال:

«إذا ضُمَّت إلى تلك العناوين شروحها والكتب المؤلفة في تلخيصها أو نقدها تجاوزت أربعة آلاف كتاب كثير منها قد فقد أو ضاع»^٤.

١ المحيبي: خلاصة الأثر ٢: ٤٥٠.

٢ نفسه ٢: ٤٥٢.

٣ البغدادي: خزانة الأدب ١: ١٨ - ٢٧.

٤ عبدالسلام هارون: مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ١: ٧.

وكما كان للشهاب الخفاجي فضّل عليّ البغدادي في أول حياته فإن الوزير أحمد باشا محمد كوبريلي صاحب المكتبة التي تحمل اسمه اليوم في استانبول كان له فضّل آخر عليه عندما اتصل به في تركيا فأدناه وأكرمه وأفاد من مكتبته الشيء الكثير مطالعة وإفادة ونسخاً^١.

ويدلُّ حديث البغدادي في سرد مصادره أنه كان محتفياً بكتب أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح عثمان بن جني وأنه جمع مؤلفاتهما جميعاً. ومن أهم النسخ التي أشار إليها البغدادي في كتابه نسخة من «أبيات المعاني» للأشثانداني بخط ابن جني وعليها إجازة أبي علي له^٢، ونسخة من «المنسويين إلى أمهاتهم» للحلواني بخطه^٣، و«إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي بخط أبي الفتح عثمان بن جني^٤، وشرح لديوان زهير بخط مهلهل بن أحمد^٥.

ورغم أن ما يفصل بيننا وبين عصر البغدادي لا يزيد على ثلاثة قرون، فإن ما وصل إلينا من كتب مكتبته يُعدُّ نذراً قليلاً مُفرّقا بين دار الكتب المصرية ومكتبات استانبول ومكتبات أوروبا^٦.

فمن ذلك نسخة من كتاب «قرحة الأديب» لأبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود العنُدجاني محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ مجاميع م بين كتب مصطفى فاضل باشا كتبها البغدادي لنفسه وجاء في آخرها:

«تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه القفور عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي، كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده، وكان بدء الكتابة في يوم الأحد وأخراها في ضحوة يوم الاثنين التاسع

^١ عبدالعزیز أحمد الرفاعي: «تراثر الخطوط الأدبية في خزنة البغدادي»، في كتاب أعمية الخطوط الإسلامية، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٢، ١٩٨.

^٢ البغدادي: خزنة الأدب ١: ٢٠.

^٣ نفسه ١: ٢٤.

^٤ نفسه ٣: ٥ و ٣٣، ١٤٣.

^٥ نفسه ٢: ٣٣٤.

الكتاب العربي المخطوط

عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة، وكان تاريخ الأصل الذي كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة. هكذا رأيت مؤرخاً وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وعلى هامش الصفحة «فيكون مدة كتابته تسعة أيام مع أشغال عاقبة والحمد لله عليه».

ونسخة من كتاب «المعمرين والوصايا» لأبي حاتم السجستاني محفوظة في مكتبة جامعة كامبردج تحت رقم Q9n°285 وهي نسخة ترجع إلى القرن الرابع الهجري وتحمل صفحة عنوانها سماعاً مؤرخاً في سنة ٤٢٨هـ، وتأكيداً بنسبة الكتاب لصاحبه كتبه شهاب الدين الخفاجي وآخر بخط عبدالقادر البغدادي نصه:

«أبو روق ينقل في هذا الكتاب عن أبي حاتم وينقله في أماكن كثيرة، فالظاهر أنه تأليف أبي روق والله أعلم بالصواب. وقد ظهر فيما بعد أن أبا روق راوي الكتاب عن أبي حاتم».

ونسخة من «معجم البلدان» لياقوت الحموي بخطه محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول برقم ١٨٢١ عليها بخط عبدالقادر البغدادي:

«من فضل الله على عبدالقادر البغدادي في سنة ١٠٧٣هـ».

ونسخة من «مَجْمَع الأمثال» للميداني محفوظة في مكتبة بانكيبور بالهند عليها بخط البغدادي:

«من نعم الله على عبده الفقير إليه عبدالقادر بن عمر البغدادي».

ونسخة من كتاب «الرجال» لثقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي في المكتبة التيمورية برقم ٤٧٥ تاريخ عليها تملك للبغدادي مؤرخ سنة ١٠٩١هـ. ونسخة من «مختصر جمهرة النسب» عن ابن الكلبي لم يُعلم مختصره في مكتبة راعب باشا باستانبول برقم ٩٩٩.

كما أن النسخة التي اعتمد عليها مارجوليوت في نشر «معجم الأدباء» لياقوت الحموي كانت في ملك عبدالقادر البغدادي فسجل بخطه على هامش ترجمة أبي الحسن الخصري القيرواني صاحب «زهر الآداب»:

«وله عندي كتاب الجواهر والملح والنوادر، كتبه عبدالقادر البغدادي».

كذلك فقد وصلت إلينا مسودة البغدادي لكتاب «شرح شواهد التحفة الوردية في النحو» وهي النسخة التي أهداها إلى الوزير مصطفي بن أحمد بن محمد كويريلي وهي محفوظة في مكتبته برقم ١١١٣ وجاء في آخرها:

«تم في ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء في شرحها في اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل في جميع الأمور».

وذكر البغدادي في «الخرزانه» أن لديه نسختين من كتاب «إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي إحداهما بخط ابن جني والثانية قرئت على أبي علي وعليها خطه . يؤكد ذلك أن نسخة كتاب «إيضاح الشعر» المحفوظة في مكتبة برلين تحت رقم ٦٤٦٥ وهي نسخة بقلم نسخي صحيح مضبوط بالشكل الكامل ، قرع من كتابتها أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن موسى يوم الثلاثاء ثالث رجب من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، نقلت عن نسخة بخط ابن جني ، فقد جاء على هامش الكتاب في آخر باب الصلوات والأسماء الموصولة:

«في الأصل هذا آخر الجزء العاشر من أجزاء أبي علي رحمه الله ، نقلته من خط أبي الفتح بن جني».

ويرى الدكتور محمود الطناحي الذي نشر كتاب الشعر لأبي علي الفارسي أن هذه النسخة تتفق اتفاقاً كاملاً مع ما حكاه البغدادي عن النسخة التي كانت في ملكه بخط ابن جني والتي يرجح أن تكون الأصل الذي نقلت عنه نسخة برلين^١ . وإذا قرأنا مقدمة العالم اللغوي السيد محمد بن محمد المعروف بمرتضى

^١ محمود الطناحي : مقدمة كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ، ٨٨ ، ١٠٢ .

الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م لكتابه «تاج العروس شرح القاموس»
فسنجد أنه اعتمد في كتابه على نُسخ نادرة فقد أغلبها اليوم كانت محفوظة في
خزائن المدارس الكبرى بالقاهرة، منها:

- نسخة من «لسان العرب» لابن منظور في ثمانية وعشرين مجلداً، يقول:
«وهي النسخة المنقولة من مُسَوِّد المؤلف في حياته».

[وهذه النسخة محفوظة الآن في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦ لعدة وتقع الأجزاء الأول والثاني
والثامن والعشرين، وكانت أصلاً في خزنة الأشرف برسباني]

- نسخة من «تهذيب التهذيب» لأبي الثناء محمود بن أبي بكر بن حامد
التنوخني الأرموي الدمشقي الشافعي في خمس مجلدات

«وهي مُسَوِّد المصنف من وُكِّف السيساطية بدمشق ظفرت بها في
خزنة الأشرف [برسباني] بالعبرانيين».

- نسخة من «الجمهرة» لابن دريد، قال الزبيدي:
«ظفرت به في خزنة المؤيد».

- نسخة من كتاب «المعرب» للجواليقي، قال الزبيدي:

«مجلد لطيف ظفرت به في خزنة الملك الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى».

- نسخة من «شرح ديوان الهذليين» لأبي سعيد السكري وعليه خط ابن
فارس صاحب المجلد.

- الأول والثاني والعاشر من معجم ياقوت قال الزبيدي:

«ظفرت به في الخزنة الحمودية».

- نسخة من «تبصير المنتبه» بـ [تحرير المشته] للحافظ بن حجر العسقلاني
يخط سبطه يوسف بن شاهين.

- «معجم الصحابة» للحافظ تقي الدين بن قُهد يخطه.

^١ وبقيت هذه النسخة موجودة اليوم في مكتبة كوبربلي في استانبول برقم ١١٦١ - ١١٦٥.

- «الكامل [في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث] لابن عَدِّي في ثمان مجلدات من خزانة المؤيد . [وقد وصل إلينا من هذه النسخة خمسة مجلدات مثبت على غلاف اثنين منها وقَفِيَة برسم الملك المؤيد شيخ على جامعها بباب زويلة وبأعلى غلاف أحد أجزائها من اليسار خط العلامة أحمد بن علي المقرئزي، وعلى بعض أوراق المجلد الأول مطالعات بخط السيد مرتضى الزبيدي، وهي محفوظة الآن في دار الكتب المصرية بأرقام ٩٣، ٩٤، ٩٥ مصطلح حديث].

- وذكر كذلك أنه وقَف على نسخة من كتاب «العُباب» وأخرى من «التكملة على الصحاح» وهما للصابغاني، قال الزبيدي:

«ظفرت بهما في خزانة الأمير صَرَعْتَمَش»^١.

[وقد وصلت إلينا هذه النسخة من كتاب «التكملة والذيل والصلِّة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية»، وألت إلى دار الكتب المصرية من خزانة الأمير صَرَعْتَمَش وهي محفوظة بها تحت رقم ٣ لغة (ومنها مصورة على الفوتوستات برقم ٨٠٥ لغة). وهذه النسخة تقع في ستة مجلدات كتبها سنة ٦٤٢ هـ (أي في حياة المصنف) محمد بن عبدالمعز بن عثمان بن عبدالملك بن عبدالله الدماغيري المعروف بابن أفضل الكرجي، وكتب على هامشها:

«بلغ مقابلة على مؤلفه».

وفي آخر كل جزء من النسخة عبارة مُوقَّع عليها باسم السيد محمد مُرتَضَى الزبيدي نصها:

«أقرغه مطالعة واستنباطاً لغرائبه الفقير إلى الله تعالى محمد مرتضى

الحسيني عفا الله عنه».

وجاء في آخر النسخة:

«الحمد لله وحده بلغ مقابلة هذا الكتاب ومعارضته على شرحي على القاموس من أوله إلى آخره في مجالس آخرها ثاني ربيع الأول سنة ١١٩١ هـ فصح إنشاء الله بصحته. وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني نزيل مصر غفر له بجنه وكرمه حامداً لله مصلياً على رسوله وآله مستغفراً».

^١ الزبيدي: تاج العروس ١: ٤.

ويذكر السيد مرتضى الزبيدي كذلك في مادة (عبد) نقلاً عن شيخه أبي الطيب الفاسي أنه راجع أكثر من خمسين نسخة من «الصَّحاح» ليتأكد إذا كان الجَوْهَرِيُّ قد ذكر في العبادلة ابن مسعود، وأضاف أنه رأى في بعض النُسَخِ النادرة زيادة ابن مسعود في الهامش كأنها ملحقة تصليحاً^١، كما ذكر الزبيدي في مقدمة «التاج» كتاب «الصَّحاح» للجَوْهَرِيِّ باعتباره المصدر الأساسي الذي بنى عليه في كتابه وقال:

«وهو عندي في ثمانين مجلداً بخط ياقوت الرومي وعلى هوامشه التقييدات النافعة لأبي محمد بن برِّي وأبي زكريا الثبريزي ظفرت به في خزنة الأمير أرتك»^٢.

وللأسف فقد قُذِّدَت كل هذه النُسَخِ النفيسة الآن والتي لا يفصلنا عنها سوى نحو مائتي سنة، ولا شك أنها استقرت في بعض المكتبات الخاصة أو أُلْتِ إلى مكتبات غير مفهرسة وعندما نصل إلى الفهرس الشامل للكتاب العربي المخطوط فلا شك في أننا سنقف على نوادر لمخطوطات تجهل عنها اليوم كل شيء.

وفي العصر الحديث اهتم العديد من رجالات العصر الأثرياء المشتغلين بالعلم بتكوين مكتبات ضخمة حَسَمَت العديد من نوادر المخطوطات العربية والنُسَخِ النفيسة وقفوها بعد وفاتهم أو أهدوها إلى المكتبات العربية الكبرى احتفظت فيها بوحدتها وخاصة دار الكتب المصرية.

ومن أهم هذه المجموعات «مكتبة الأمير مصطفى فاضل باشا» شقيق الخديوي إسماعيل وهي تشتمل على ٣٤٥٨ مجلداً كلها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب بينها ٢٤٤٣ مجلداً عربياً و ٦٥٠ مجلداً تركياً و ٣٣٥ مجلداً

^١ الزبيدي: تاج العروس ٢: ٤١٧-٤١٨
^٢ نفسه ١: ٣-٤..

فارسياً . وقد اشترى هذه المكتبة من ماله الخصب بمبلغ ١٣ ألف ليرة عثمانية الخديوي إسماعيل بعد وفاة شقيقه في استانبول سنة ١٨٧٦ وضمها إلى المكتبة الخديوية «دار الكتب المصرية» ويرمز لرصيد هذه المكتبة في فهرس دار الكتب اليوم بالرمز (م).

وتشتمل هذه المكتبة على أقدم مخطوط عربي كتب على الكاغد وصل إلينا وهو نسخة من كتاب «الرسالة» في أصول الفقه للإمام محمد بن إدريس الشافعي التي كتبها الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي من إملاء الشافعي في حياته، أي قبل عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م، ثم لما تقدّم به العمر وتجاوز التسعين في سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٩م كتب عليها بخطه بعد أن اضطرت يده إجازة بتسخن الكتاب نفهم منها أنه كان ضئيلاً بهذا الأصل لم يأذن لأحد في نسخه من قبل، يقول: «أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه».

وتداول هذه النسخة بالقراءة والاطلاع والتملك علماء أجلاء، وكل الذين تملكوا هذه النسخة كانوا في دمشق وآخرهم القاضي محيي الدين عمر بن موسى بن جعفر سنة ٦٥٦هـ، لذلك فإننا لا نعرف ما كان من أمر هذه النسخة منذ هذا التاريخ إلى أن دخلت في مكتبة مصطفى فاضل باشا وانتقالها بعد ذلك مع مكتبته إلى دار الكتب المصرية حيث حفظت بها تحت رقم ٤١ أصول فقه م.

و«مكتبة علي باشا مبارك» التي أضيفت إلى دار الكتب المصرية في عام ١٨٩٥ بعد سنتين من وفاته، وبين كتبها جزء من «الوافي بالوفيات» للصفدي بخطه محفوظ في الدار تحت رقم ١٢٥ تاريخ.

و«مكتبة أحمد تيمور باشا» وهو العلامة أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور المولود بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، وهو من بيت فضل ووجاهة كردي الأصل. كان من أحرص الناس على اقتناء المخطوطات يبذل في سبيلها

مالاً كثيراً وكان يُزوِّدُه بها الكتبي المعروف أمين أفندي الخانجي . ويصف الأديب والمحقق الكبير محمود محمد شاكر حب تيمور باشا للكتب بقوله :

«الذي لاحظته عليه ليس جمع الكتب بل شيء آخر وهو أنه إذا أخذ الكتاب بين يديه تَغَيَّرَت أسارير وجهه واستضاءت وكان توركا قد سطع بمجرد إمساكه المخطوط إذا جاءه أمين أفندي بمخطوط جديد»^١.

كان تيمور باشا من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية ، قال عنه العلامة خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام :

«كان رضي النفس ، كريماً ، متواضعاً فيه انقباض عن الناس . توفيت زوجته وهو في التاسعة والعشرين فلم يَتَزَوَّج بعدها مخافة أن نسيء الثانية إلى أولاده . وانقطع إلى خزانة كتبه يتنقَّب فيها ويُعَلِّق ويُبَهِّرس ويُؤَلِّف إلى أن أصيب بقرحة ابن له اسمه محمد سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م ، فجزع ولازمته نوبات قلبية انتهت بوفاته عام ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م . وتألقت بعد وفاته لجنة لنشر مؤلفاته تُعرف بـ " لجنة نشر المؤلفات التيمورية " أخرجت العديد من مؤلفاته»^٢.

وكان عدد كتب مكتبة تيمور باشا حتى عام ١٩٢٣ ، ١١٨١٦ كتاباً نحو نصفها مخطوط ، بينها من المخطوطات القديمة التي كتبت قبل الألف الهجري ٩١٩ كتاباً أقدمها الجزء الأول من شرح أبي الحسن علي بن محمد الفارسي على «الغاية في القراءات العشر وعللها» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م كتب سنة ٤١٣هـ وكتاب «إعراب القرآن» لمكي بن حمّوش المتوفى سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م كتب سنة ٤٩٠هـ ، وسبعة عشر كتاباً كتبت بعد

^١ محمود محمد شاكر : «ذكريات مع محبي المخطوطات» في كتاب أعمدة المخطوطات الإسلامية ، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٩٩٢ ، ٢٥ - ٢٦ .
^٢ الزركلي : الأعلام ، ١ : ١٠٠ .

الخمسائة، وتسعة وثلاثون بعد الستمائة والباقي بعد ذلك إلى سنة ٩٩٩ هـ، وبينها أيضاً ٢٧٤ كتاباً بخطوط علماء وأمرأه مشهورين أو عليها خطوطهم، و١٦٧ بخطوط المؤلفين.

ويبلغ عدد المخطوطات التي جمعتها تيمور باشا حتى وفاته سنة ١٩٣٠ م، ٨٦٨٣ مخطوطاً كان قد نقلها في أواخر عمره إلى قصره بمدينة قويسنا بالمنوفية، ثم أهدت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته. وقد دَوَّنَ تيمور باشا بخطه على أغلب مخطوطات مكتبته ما يفيد اطلاعه عليها وسَجَّلَ على أول المخطوط بخطه «قرأناه». وكان يُعدُّ لكل مخطوط قرأه فهرساً بموضوعاته ومصادره وأحياناً لأعلامه ومواضعه، مع ترجمة لمؤلف الكتاب بخطه.

ويكفُّ من عشق تيمور باشا للمخطوطات العربية وحبها أن كتب في عام ١٩١٩ مقالا هاماً خصَّ به مجلة «الهلال» المصرية عن المخطوطات النادرة وقيمتها وأماكن وجودها^١، كما كتَبَ أثناء وجوده في استانبول سنة ١٩١٣ برسالة إلى صديقه جرجي زيدان مؤرخة في ٢ مايو ١٩١٣ يذكر له فيها بعض ما وقَّع عليه اختياره من كتب مكتبات استانبول^٢.

ووضَّع تيمور باشا فهرساً ورقياً بخطه لمكتبته وجعل لكل فن فهرساً مستقلاً خاصاً^٣. وكانت هذه الفهارس موجودة في قاعة المخطوطات بمبنى دار الكتب

^١ أحمد تيمور باشا: «تراجم المخطوطات وأماكن وجودها»، «الهلال» ١٨ (١٩١٩)، ٤٩ - ٦٥، ٢٠٩ - ٢١٩، ٣١٨ - ٣٣١، وأعاد نشره صلاح الدين المنجد وصدر في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٨٠ نشرها صلاح الدين المنجد تحت عنوان «رسالة من أحمد تيمور إلى جرجي زيدان - المختار من المخطوطات العربية في الأستانة»، بيروت - دار الكتاب الجديد ١٩٦٨.

^٢ راجع، محمد كرد علي: «الحزبة التيمورية ومهرست مخطوطاتها»، مجلة المقتبس ٧ (١٩١٢) ٤٣٧ - ٤٤٨، عيسى إسكندر الملقوف: «خزائن الكتب العربية: من نقاش الحزبة التيمورية»، مجلة الجمع العلمي العربي ٣ (١٩٢٣) ٢٢٥ - ٢٣٠ و ٣٣٧ - ٣٤٤ و ٣٦٠ - ٣٦٦، أحمد تيمور: «بيان ما عثرتنا من المخطوطات في القاهرة والدخان والشاي والحشيش ونحوها» في كتاب رسائل متبادلة بين الكرملني وتيمور، بغداد ١٩٧٤، ٢٠٥ - ٢٠٨.

القديم بباب الخلق متاحة للباحثين، وللأسف الشديد فقد دُشِّتْ هذه الفهارس وفقد أغلب أوراقها نتيجة لسوء النقل من المبنى القديم إلى المبنى الحالي الكائن على كورنيش النيل عام ١٩٧٣^١.

فمن خطوط العلماء والأمرء التي تحتفظ بها المكتبة خط الإمام الحافظ عبدالعظيم المُنْذَرِي، والإمام محمد بن أبي جعفر القرطبي، والحافظ شمس الدين السخاوي، والسيد محمد مرتضى الزبيدي، والشيخ حسن والد المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، والإمام عز الدين بن جَمَاعَة، والحافظ ابن حَجَر العَسْقَلَانِي، والسيد عبدالقادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، والحافظ جلال الدين السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والأمير جوامرد الناصري، والملك داود بن يوسف الرسولي ملك اليمن، والشيخ إبراهيم البقاعي، والعلامة يوسف بن عبدالهادي، والمُطَرِّزِي شارح المقامات الحريرية، وجلال الدين السَّحَلِي، وعلم الدين السخاوي صاحب سفر السعادة، والشيخ نصر الهوريني، والشيخ حسن العطار شيخ الأزهر.

ومن خطوط المؤلفين الجزء الثاني عشر والعشرون من كتاب «عيون السواروخ» لابن شساكر الكتبي بخطه تحت رقم ١٣٧١ تاريخ، و«ذيل الدرر الكامنة» لابن حَجَر العَسْقَلَانِي بخطه تحت رقم ٦٤٩ تاريخ و«تقريب التهذيب» لابن حجر أيضاً كتبه سنة ٨١٧هـ وفي آخره كتابة بخط السيد مرتضى الزبيدي نصها:

«جميع الكتاب بخط مصنفه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونفع به أمين. وكتب محمد مرتضى الحسيني حامداً ومصلياً وسلملاً ومستفراً».

و«النهاية في اتصال الرواية» في الحديث بخط مؤلفها الشيخ يوسف بن عبدالهادي وبآخرها ثلاث إجازات بخطه أيضاً برقم ٢٢٢ حديث، و«سِرُّ الرُّوح» للشيخ إبراهيم البقاعي بخطه برقم ٥٨ غيبيات، ومنتخب «نزهة الألباء

^١ أمين فؤاد سيد: دار الكتب المصرية - تاريخها وتطورها ٧٤ - ٧٦.

فيما يروى عن الأدباء لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة كتبها بخطه سنة ٧٦٥هـ برقم ٤٠١ شعر، ومجموعتان نفيسة للشيخ شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الصالحي بخطه ومن تأليفه: إحداهما فيها ١٤ رسالة منها «الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام» و«البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي»، والثانية فيها تسع رسائل منها «تيسير الأعلام لمذاهب الأئمة الأعلام».

ومن خطوط العلماء في المكتبة كتاب «خلق الإنسان» لثابت بن أبي ثابت وراق أبي عبيدة نسخة نفيسة كتبت سنة ٥٣٩هـ رقمها ١٦٦ لغة، و«شرح نوادر أبي زيد» كتبها سنة ٦٧٥هـ ابن منظور صاحب لسان العرب. كما تحتفظ المكتبة بنسخ أخرى نفيسة منها «شرح اللّمع» لابن جنّي كتبت سنة ٥٨٤هـ، ونسخة نفيسة جداً من كتاب «الجمل» للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩هـ وشرح ابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٣هـ عليه كتبت سنة ٧٤٧هـ.

وتشتمل المكتبة على مجاميع كثيرة ذات شأن من أهمها «مجموع في أمراض العين ومداواتها» يشتمل على ثماني كتب ورسائل لجالينوس وحنين بن إسحاق ويحيى بن ماسويه المتطبب وثابت بن قرة يشتمل على بعض الرسوم التوضيحية لأجزاء العين، والنسخة بخط عبدالرحمن بن يونس الأنصاري قرع من كتابتها في ست وعشرين ربيع الآخر سنة ٥٩٢هـ، وهي برقم ١٠٠ طب.

ثم «مكتبة أحمد زكي باشا» المعروف بشيخ العروبة والذي سافر إلى أوروبا واستانبول في سبيل البحث عن المخطوطات العربية القديمة، وكون مكتبة ضخمة وقفها في حياته على قبة السلطان الغوري، ثم نقلت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته سنة ١٩٣٥، ويبلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة ١٤٨٢ مجلداً^١.

^١ محمد كرد علي: «مكتبة أحمد زكي باشا وأهم مخطوطاتها العربية»، القتبس ٥ (١٩١٠) ٧٨٩ - ٧٩٣؛ نفسه: «المقارنة الزكية ومجموعة كتب أحمد زكي باشا المصرية»، القتبس ٧ (١٩١٢) ٥٩٣ - ٦٠٤ و ٨ (١٩١٤) ٣٩٣ - ٤٠٤.

كان أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا يتسابقان في حَلَبَةِ المخطوطات، كلاهما يتتبع عمل الآخر وما اقتناه ويريد أن يفوقه ولكن يختلف الحلقان، يقول العلامة محمود محمد شاكر:

«تيمور باشا كان سخياً لا يرضن على أحد بشيء، أما أحمد زكي فكان ضيقاً بالطبع - لا أريد المذمة - كان ضيقاً وكان لا يتورع عن سرقة الكتاب. ومن الطرائف أن في آخر حياته وقف مكتبته ونقلت إلى قبة الغوري القريبة من الأزهر، وعُتِبَ لها صديق لنا كان أيضاً محباً للكتب هو الشيخ محمود زياتي، فأخبرته عن خُلُقِ زكي باشا أنه يسرق الكتب فحاذر. فقال: كيف يعني؟ كيف يسرق الكتب؟ قلت: طيب يا شيخ محمود جَرِّبْ بنفسك. فتحدثني أن أحمد زكي باشا غافله في يوم من الأيام وأخذ كتاباً ووضع تحت إبطه - أخفاه - فقال له الشيخ محمود عند انصرافه: تعال يا باشا طلع الكتاب. يسرق نفسه! كانت أخلاقاً ظريفة»^١.

والكثير من مخطوطات المكتبة الزكية مصورات لمخطوطات نادرة أصلها في مكتبات استانبول وأوربا، ومن بين المخطوطات الأصلية النادرة في مكتبته أربعة أجزاء من «تاريخ دمشق» لابن عساكر بخط الحافظ البيروني.

أما «مكتبة أحمد طلعت بك» المتوفى سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م فتعدّ من أغنى المكتبات الخاصة في الشرق بَدَلْ طلعت بك في جمعها من أنحاء العالم جهداً كبيراً ومالاً كثيراً، وكانت عنايته بالمخطوطات وجمعها عناية فائقة حتى إنه ضمّ إلى مكتبته الكثير من المخطوطات النفيسة والمصاحف الرائعة من تركة السلطان عبد الحميد الثاني وما حصل عليه من تركات أمراء العثمانيين بعد سقوط الخلافة العثمانية. فأصبح في مكتبته من اللوحات الخطية الجميلة والأشعث الرائعة والمصاحف الكريمة المكتوبة بخطوط مشاهير الخطاطين الموجودين والمنقوشة

^١ محمود محمد شاكر: المرجع السابق، ٢٦.

بالذهب والألوان عدداً ضخماً يبلغ الخمسمائة . ومن بينها ما هو بخط ياقوت المستعصمي ، وحمد الله بن الشيخ ، والحافظ عثمان ، ومبارك شاه ، ودرويش الشكري ، وسليمان الوهبي ، ومصطفى ذهني ، ودرويش علي ، وشكر زاده ، ونزهت ، ونظيفي ، ومصطفى راقم وغيرهم . ومنها مصحف على رَقِّ بآخره أنه بخط الحسن البصري سنة ٧٧هـ^١ .

وقد أنفق أحمد طلعت بك على أمين أفندي الخانجي ما يشاء لِيَتَسَوَّقَ له المخطوطات ، فجال في البلاد العربية وتركيا وأحضر له الكثير من الكتب^٢ .

وقُدِّرَ عدد المخطوطات الموجودة في مكتبة طلعت بك بعشرين ألفاً من المجلدات وُرِّعَت على دار الكتب المصرية وغيرها من المكتبات الأخرى في الدولة ، كان نصيب دار الكتب منها ٩٥٤٩ مجلداً من بينها نحو ١١٠٠ مخطوط (مجاميع) تحوى أكثر من عشرة آلاف رسالة وكتاب^٣ .

ومن نوادر هذه المكتبة نسخة من كتاب «الحجّة في قراءات الأئمة السبعة» لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ بقلم نسخ مضبوط بالحركات فُرِّغَ من كتابتها في ذي الحجة سنة ٣٩٦هـ ، رقمها في المكتبة ١٣٤قراءات .

ونسخة من «ديوان شعر الحاضرة» بخط ياقوت المستعصمي ، ومجدولة ومجلاه بالذهب ، رقمها في المكتبة ٤٥٦٥ أدب .

ونسخة نادرة من «مقامات الحريري» المتوفى سنة ٥١٦هـ قرئت على المؤلف سنة ٥٠٤هـ وعليها خطه بالإجازة لبعض علماء عصره ممن سمعها عليه ، وعليها أيضاً سماعات وقراءات مختلفة في عصور مختلفة ، رقمها في المكتبة ٤٤٧٩ أدب .

^١ فواد سيد : «نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣ (١٩٥٧) : ١٩٧ .

^٢ محمود محمد شاكر : المرجع السابق : ٢٥ .

^٣ فواد سيد : المرجع السابق : ١٩٧ - ١٩٨ .

ونسخة من «المُفَصَّل في شرح المُفَصَّل للزمخشري» لعلم الدين علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ، الجزءان الأول والثاني بقلم معتاد سنة ٦٢٧ هـ وعلى الورقة الأولى خط المصنف، رقمها في المكتبة ٣٨٦ نحو.

ونسخة من «قَسْر القَسْر من ديوان المتنبي» للزَّوْزَنِي كتبها أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالله بن الفضل بن العباس بن خالد سنة ٤٧٥ هـ رقمها في المكتبة ٤٤٨٠ أدب.

ونسخة من «كتاب الجمعة» لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ رواية الحافظ أحمد بن سعيد السيواسي عن آخرين عن المصنف، بقلم قديم من خطوط القرن الخامس الهجري وعليها سماعات مؤرخة سنة ٤٧٠ هـ و٥١٤ هـ، رقمها في المكتبة ٤٨٥ حديث.

وبالطبع فإن سائر البلاد العربية لم تَعَدِّمْ خزائن الكتب الخاصة التي أمدتتنا بالكثير من النسخ النفيسة والنادرة، وخاصة في اليمن والعراق والشام وتونس والمغرب.

ففي اليمن تم اكتشاف تراث المعتزلة الذي كان لوالدي المرحوم فؤاد سيد قُضِل التعريف به مثل: كتاب «المُعْتَزِلِي فِي أَبْوَاب التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ» للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي و«قُضِل الاعتزال وطبقات المعتزلة» له أيضاً، و«مقالات الإسلاميين» لأبي القاسم البلخي، وذلك بالإضافة إلى تراث الزيدية والإسماعيلية والعديد من المصادر المبكرة حيث تحتفظ اليمن بأقدم نسخة معروفة من «الكتاب» لسبويه^١.

^١ خليل يحيى نامي : البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن، القاهرة - وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢ فؤاد سيد: «مخطوطات اليمن»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٩٤ - ٢١٤ : المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى الجمهورية العربية اليمنية» مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ٣-٨٢.

وتعد العراق أكبر المراكز العربية التي كانت تشتمل على مخطوطات نفيسة ولكنها تعرّضت على امتداد التاريخ لغارات بربرية أدت إلى تدمير وفناء هذه المخطوطات وعلى الأخص في أعقاب غارات المغول في منتصف القرن السابع الهجري^١. ومع ذلك فما تزال تحتفظ بالعديد من المخطوطات الهامة التي استقر أغلبها الآن في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ومكتبات الأوقاف العامة، بالإضافة إلى مجموعات خاصة كثيرة انتقل عدد منها إلى مكتبة المتحف العراقي مثل مكتبات محمود شكري الألوسي وبهجت الأثري وعباس العزراوي وأنتاس ماري الكرّملي ويعقوب سرّيس وكوركيس عواد وقاسم الرجب^٢. أما بلاد الشام فقد ظلت حتى مطلع هذا القرن تحتفظ بالعديد من المخطوطات النفيسة التي استقرت في المكتبة الظاهرية «مكتبة الأسد» بدمشق وفي بيوتات العلم في دمشق وحلب وغيرها^٣.

^١ كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق، بغداد- مطبعة المعارف ١٩٤٨ وانظر كذلك علي الحاشاني: «الآثار المخطوطة في العراق»، الكتاب المصري ١ (١٩٤٥) ٤٤٤ - ٤٤٥، حسين علي محفوظ: «المخطوطات العربية في العراق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ١٩٥ - ٢٨٥، ميخائيل عواد: «من نوادر المخطوطات في العراق»، المورد ١٣/٢ (١٩٨٤) ١٥٣ - ١٥٨.

^٢ أسماء ناصر القشبيدي: «مخطوطات الخزانة الأتوسية في مكتبة المتحف العراقي»، المورد ١/٤ (١٩٧٥) ١٧٥ - ٢٠٦، نفسه: «مخطوطات كوركيس عواد في المتحف العراقي»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣ (١٩٨٩) ٣٩ - ١٨٦، كوركيس عواد: «مدينة البصرة - مكتباتها ومخطوطاتها»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٦٣ - ١٦٩، محمد حسين الهاللي: «المتحف من مخطوطات التحفة»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٠ (١٩٧٤) ٣ - ٥٠.

^٣ راجع، حبيب الزيات: خزائن الكتب في دمشق وضواحيها، القاهرة ١٩٠٦ وأعيد نشره في دمشق سنة ١٩٨٣، عيسى إسكندر الملقوف: «مكتاب حلب ودمشق»، الهلال ١٩ (١٩١٠)، ٤٩١ - ٤٩٣، محمد راجب الطيغ: «دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً»، مجلة للمجمع العلمي العربي ١٥ (١٩٣٧)، ٢٩٩ - ٣١١، P. Sbah, «Choix de livres qui se trouvaient dans les bibliothèques d'Alep au XIII^e siècle», MIE 49 (1946) ١٤، محمد أسعد طلس: «المخطوطات وخزائنها في حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١١ (١٩٥٥) ١ - ٨، ٢ (١٩٥٦)، ٢٤٦ - ٢٦٣، «نوادر مخطوطات الخزانة الخاصة بدمشق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩)، ٢١١ - ٢٢٤، سامي الكيال: «مخطوطات حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧)، ٢١١ - ٢٢٣.

كذلك فتحتفظ تونس بالعديد من المجموعات الخاصة التي ضُمَّت إلى مكتبتها الوطنية مثل مكتبة حسن حسني باشا عبدالوهاب الصمّادحي ومكتبة الشيخ محمد الفضل بن عاشور^١.

كما كشفت بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب عن العديد من المخطوطات القديمة النادرة التي يحتفظ المعهد بصور ميكروفلمية لها^٢.

وفي مطلع هذا القرن كان هناك رجلٌ ولد بحلب وانتقل إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ هو محمد أمين عبدالعزيز الخانجي كان عالماً بالمخطوطات وأماكن وجودها زار العراق وأستانبول بحثاً عن المخطوطات لشرائها والمتاجرة بها، وكان نعم العون لكل من أحمد تيمور باشا وأحمد طلعت بك وأحمد زكي باشا في تكوين مجموعاتهم الضخمة^٣، وساعد كذلك على وصول الكثير من المخطوطات النادرة إلى مكتبات أوروبا وخاصة مكتبة شستر بيتي بديلن بأيرلندا وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م^٤.

أما السيد أحمد عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق والذي توفي سنة ١٩٨٠م عن عمر يناهز المائة فكان كما يقول العلامة الزركلي: «من أعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعاتها وأتاح له مطالعة مجموعة مما ظفّر به من قديم المخطوطات ونادرها واستخرج له المخطوط المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها»^٥.

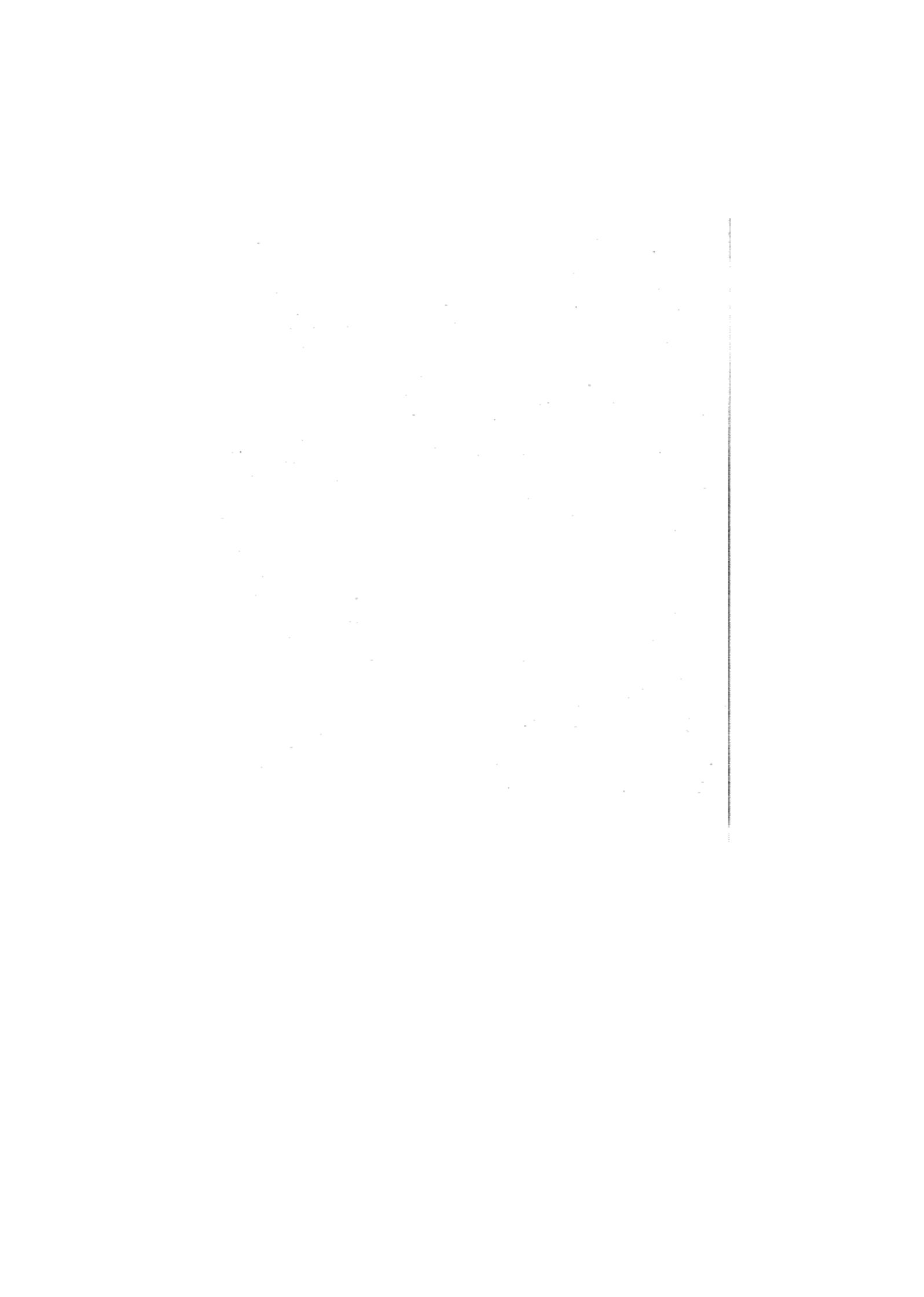
^١ صلاح الدين النجد: «بعثة معهد المخطوطات إلى تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦)، ٣٩١ - ٣٩٤. Schacht, J., «On Some Manuscripts in the Libraries of Kairouan and Tu- nis», *Arabica* 14 (1967), pp. 225 - 258 «نقاس للمخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٨ (١٩٧٢) ٣ - ٨٠.

^٢ Muhammad al-Past, «Les bibliothèques au Maroc et quelques-uns de leurs manuscrits», *Hesperis Tammuda* II (1961), pp. 135-144 «الخطوط في المغرب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩) ١٦١ - ١٩٤ «المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى المملكة المغربية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ١٧٥ - ٢١٠.

^٣ الزركلي: الأعلام ٦: ٤٤.

^٤ انظر مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي.

^٥ الزركلي: الأعلام ١: ١٧.



LE MANUSCRIT ARABE

ET

LA CODICOLOGIE

Tous droits réservés

1^{ère} édition 1997

© AL-DĀR AL-MIṢRIYYA AL-LUBNĀNIYYA - LE CAIRE
Dépôt légal 9019 / 97
ISBN 977 270 376 9

LE MANUSCRIT ARABE

ET

LA CODICOLOGIE

par

AYMAN FU'AD SAYYID

Docteur-es-lettres

I

AL-DĀR AL-MIṢRIYYA AL-LUBNĀNIYYA
Le Caire
1997